سلسلة أنا هي الحرب

لأنها كيارا





لأنها كيارا

ⓒ مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع، ١٤٤٥هـ

العتمي، سما سامي
لأنها كيارا / سما سامي العتمي - ط٢ - الدمام، ١٤٤٥هـ
٤٧٢ ص ؛ ١٤ سم

رقم الإيداع: ١٤٤٥/١٦٩٠١
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٤١١-٩٣-٣

مصمم الغلاف: محمد الصويدر
(0555813348)

مركز الأدب العربي للنشر و التوزيع

الموقع الإلكتروني :
Www.Adab-Book.Com
مركز الأدب العربي
@Services_Book
@ServicesBook1
مركز الأدب العربي
adabarabic7
services_book@outlook.sa

مسؤول النشر :
للتواصل
0597777444

المملكة العربية السعودية- الدمام
لطلب إصدارات مركز الأدب العربي
00966594447441

دولة الإمارات العربية المتحدة مكتبة الأدب العربي 00971569767989

جمهورية مصر العربية مركز الأدب العربي 00201120102172

لأنها كيارا

سما سامي

@samasami2828

الطبعة الثانية

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

شكر وتقدير

شكراً لعائلتي وزوجي الذين شجعوني على النشر وساعدوني خطوة بخطوة..

شكراً لـ (شهد قربان) صديقتي الأقرب التي بدأت معها مشوار الكتابة يدًا بيد..

اتمنى لكم النجاح في جميع مساعيكم..

إهداء

لأصحاب الخيال الواسع..

لمحبي السفر لعوالم مختلفة، عوالم خيالية..

لمن يريد الهرب من الواقع للحظات لذيذة..

استرِحْ وابدأ بالقراءة..

احتراق

فتحت كيارا كتاب *«الثعلب ذو الأذيال التسعة»* بعد أن استيقظت من حلم غريب، وبدأت تقلب الصفحات وتتنقل بعينيها بين السطور التي تركت على رؤوسها علامات تميزها.

رمز للسلام والازدهار...... قوته الحكمة والمحبة...... كل القصص التي تصفه كرمز للقتال غير صحيحة.

قلبت الصفحة متجنبة الخرافة التي حولته تدريجيّاً إلى شيطان، وخرافة أخرى ادّعت أنه يستخدم جماله لسحر البشر وسرقة أرواحهم، ثم طوت عدة صفحات على عجل.

«كيارا!!» صاحت آمبر التي تستخدم السرير المجاور لها في الغرفة ذات الأسرّة العشرة، في ميتم هاربر. انتفضت كيارا قبل أن تكمل آمبر: «إنها الخامسة فجراً أيتها المزعجة!! توقفي قبل أن أبلغ الآنسة ميلر»

قالت كيارا بنظرة معتذرة: «آسفة، سأكون هادئة».

غمغمت آمبر متذمرة قبل أن تغطي وجهها بالغطاء وتكمل نومها فأكملت كيارا تصفح كتابها ببطء حتى وجدت ما كانت تبحث عنه.

كما أنه علامة للحب، ويقال إنه عندما يشهد الثعلب ذو الأذيال التسعة على حب حقيقي بين رجل وامرأة، دائماً ما ينتهي قدرهما بالزواج وإنجاب الكثير من الأبناء والأحفاد.

أعادت القراءة عدة مرات؛ تحاول تفسير حلمها. أمسكت بقلم وبدأت تكتب رؤوس أقلام ما رأت في الحلم.

ثعلب أبيض ضخم بثمانية أذيال، امرأة تغطيها الدماء وتحمل طفلاً رضيعاً، ورجل يبكي بينما تأكله النيران.

تساءلت ما الذي يعنيه كل ذلك؟ وعندما لم تجد إجابة هزت رأسها محاولةً تصفية أفكارها ثم أعادت كتابها لصندوق تحت سريرها؛ تحتفظ فيه ببقية كتبها. توقفت تتأمل كتبها التسعة متذكرةً فانكا صاحب متجر الأثريات (أثريات فانكا) الذي يهديها هذه الكتب كل سنة. ذكّرت نفسها أن تمر بمتجره بعد المدرسة، ولكن عليها العودة للنوم الآن رغم معرفتها أنها لا تستطيع النوم بعد الأحلام الغريبة.

بعد عدة محاولات، استسلمت أخيراً بعد شعورها أن جسدها على وشك الاحتراق، لذا قررت أخذ حمام سريع قبل استيقاظ بقية الفتيات، وبعد أن انتهت وقفت أمام المرآة تحدق بجسدها المحمر بالرغم من مياه الصنبور الباردة. ارتدت ملابسها، وقبل أن تخرج التفتت ورفعت قميصها تنظر للوحمة الغريبة أسفل ظهرها.

«تحدقين بوحمتك الوهمية مرة أخرى؟» قالت آمبر من خلفها، انتفضت كيارا لصوت آمبر مرة أخرى وكادت أن تقع أثناء التفاتها لاتجاهه لكنها تمالكت نفسها في آخر لحظة فأكملت آمبر بامتعاض: «لا أعلم إن كنت أكره غرابتك أكثر أم رد فعلك المبالغ فيه؟ ربما أكرهك أنت فحسب».

ابتسمت كيارا لتخفي تضايقها من كلمات آمبر وقالت مدعيةً اللا مبالاة: «شكراً آمبر، كلماتك دائماً مريحة للآذان».

شخرت آمبر بسخرية بينما توجهت كيارا للغرفة وبدأت تجهز حقيبتها وهي شاكرة للسبب الذي جعل مديرة الميتم ترسلها لمدرسة خارجية بعيداً عن فتيات الميتم اللئيمات، مع أن المدرسة لم تكن بذلك الاختلاف، لكن على أقل تقدير كانت خفية بالنسبة للآخرين غالباً، وحين يلاحظون وجودها ويستهزئون منها تعض على لسانها وتمضي في طريقها.

خرجت من المنزل في وقت مبكر فالمدرسة ليست قريبة، لكنها تستمتع بالنزهة الصباحية التي تمارسها يومياً. تعثرت بخطواتها عدة مرات وتداركت جسدها من الوقوع، فقد اعتادت خراقتها، لكن مؤخراً يبدو وكأن الأمر يزداد يوماً بعد يوم.

وصلت للمدرسة ونظرت للزحام أمام البوابة، وبينما تنقلت بعينيها بين الطلاب وقع نظرها على أليكس هيل، أو بالأحرى ظهر أليكس هيل، يستطيع الجميع تمييز أليكس بملابسه السوداء دائماً ورأسه المغطى بالقلنسوة وعينيه العسليتين، ولكن رغم جاذبيته لا أصدقاء لديه، هذا بالإضافة إلى نومه الكثير؛ ينام في معظم الحصص وفي الكافتيريا وفي المكتبة وأينما وجد سطحًا يضع رأسه عليه.

لاحظت كيارا أن خراقتها تزداد كلما وُجدت حول أليكس ولم تجد سبباً أو مبرراً لذلك، كان الأمر قسرياً بشكل غريب ولا حيلة لها

به، لذا قررت تجنب أليكس دائماً، لكنها اليوم ذهبت ووقفت خلفه وسط الزحام لوجود رايتشل في الجهة الأخرى، ولم تشعر أنها تستطيع التعامل مع تعليقاتها الآن بعد أن أخذت جرعة من كلمات آمبر سلفاً.

سرحت بأفكارها وهي تخطو للأمام، كانت تتقدم ببطء كلما تقدم أليكس ولم تنتبه عندما وصلت للباب حيث تعثرت بالعتبة الصغيرة واصطدمت بظهره الذي كانت تحدق به وكادت أن تقع لولا تشبثها بملابسه، تعالت الضحكات خلفها والكلمات المعتادة:

«خرقاء»

«يا إلهي ما أغباها»

«بوجود أليكس مرة أخرى»

«أقسم أنها تتعمد جذب انتباهه»

التفت أليكس بهدوء إلى كيارا ووجه عينيه إلى الأسفل ليقابل نظراتها المرتبكة ثم قال بلا تعابير ونبرة منخفضة لا يسمعها أحد سواها: «هل أنتِ بخير؟»

«آ... آ.. آسفة.... مرة أخرى» قالت بإحراج وحاولت رسم ابتسامة اعتذار على وجهها لكنها لم تستطع.

رد بالنبرة نفسها: «لا بأس، اعتدت الأمر».

«سأكون أكثر حذراً» وعدته ثم تذكرت أنها وعدته ذلك من قبل.

«سمعت ذلك سابقاً» أجابها فابتسمت بوجه متورد محرج. بينما

استمر الطلاب بتعليقاتهم، شعر أليكس بقليل من الشفقة تجاهها، فأكمل ببروده المعتاد: «ليس عليك المحاولة بشدة، هذه طبيعتك فحسب» ثم أعطاها ظهره ومضى في طريقه متوجهاً لأولى حصصه.

حينها تواجهت كيارا مع رايتشل التي قالت مُحقرة لها: «هل ستتوقفين عن كونك خرقاء في يوم ما يا كيارا؟ أم سيستمر عرضك حتى انتهاء حياتك؟»

(ربما عندما تتوقفين عن كونك لئيمة) قالت كيارا في رأسها لكنها لم تجرؤ على إخراج الكلمات، فابتسمت وحيّت رايتشل بتهذيب: «صباح الخير لك أيضاً يا رايتشل».

اغتاظت رايتشل لكنها تمالكت نفسها سريعاً ورسمت على وجهها ضحكة ساخرة: «أجل، هذا الصباح جميل لي، لن أفسده بمحادثة معك».

زفرت كيارا بارتياح عندما رحلت رايتشل وبعد ذلك مضى يومها سريعاً...

بعد انتهاء الدوام المدرسي مشت في طريقها المعتاد لـ (أثريات فانكا) لتجده مغلقاً على غير العادة. قرأت اللوحة المعلقة على الباب: (مغلق للتصليحات) فغمغمت بتكدر ثم عادت أدراجها للميتم بعد أن تعكر مزاجها. استيقظت قبل الفجر في الوقت نفسه الذي استيقظت فيه الليلة السابقة بعد أن راودها الحلم ذاته، لم تتحرك من مكانها هذه المرة

فهي تعلم جيداً ما الذي ستجده في الكتاب، لا شيء جديداً سيخبرها بمعنى ذلك الحلم. تقلبت قليلاً لكن ألماً حاداً ومفاجئاً أسفل ظهرها جعل جسدها يقفز من فوق السرير، توجهت سريعاً لدورة المياه ثم رفعت قميصها أمام المرآة لتجد أن وحمتها قد تغير لونها من البني للأحمر القاتم والجلد الذي يحيط بها محمر وكأنه أصيب بالتهاب.

ذُعرت وأرادت التوجه للآنسة ميلر، لكنها تذكرت كل مرة عاقبتها فيها على الكذب، وأن لا وجود لهذه الوحمة سوى في رأسها. عضت على شفتها مع تزايد الألم وانهمرت دموعها بغزارة وهي تفكر: (ربما لا وجود لهذه العلامة حقاً، ربما لا وجود لهذا الألم، لكن لماذا يتكرر الأمر كل سنة قبل ميلادي بأيام قليلة؟ هل وصل جنوني لهذه الدرجة، هل أعوض نقص عائلتي برسم خيالات غريبة لا يراها أحد سواي كما يقولون؟ لكن ظهري يؤلمني حقاً! ماذا أفعل بهذا الألم؟)

لم تستطع كيارا تحمل الحرارة التي تزداد داخلها وشعرت أنها على وشك الاحتراق، لذا وقفت أسفل الدش وتركت الماء البارد يطفئ الألم الذي تشعر به، ساعدها الأمر قليلاً لكن تلك الوحمة الغريبة ما زالت تحترق، سمحت لعينيها أن ترتاحا قليلاً لكنها ندمت عندما استيقظت على صراخ الآنسة ميلر:

«لقد استنفدت مخزون بقية الشهر من المياه! متى ستتوقف مشكلاتك؟» صرخت الآنسة ميلر وهي تجر كيارا المبللة من ذراعها وتصعد بها درجات الميتم بسرعة.

فتحت الباب الوحيد في أعلى الدرج، باباً تحفظه كيارا جيداً. دفعتها الآنسة ميلر للداخل وقالت قبل أن تغلق الباب بقوة: «يبدو أنك لا تملين من هذه العلية أبداً يا كيارا».

لم تملك كيارا القوة للرد، استلقت مكانها واحتضنت ساقيها ثم أغمضت عينيها مرة أخرى بعد أن انسابت دمعة على خدها وعندما استيقظت وجدت أن الظلام قد حل، استغربت كيف نامت طوال النهار، لكنها لم تعد مبللة على الأقل، تذكرت المدرسة وقبل أن تهم بطرق الباب لاحظت صينية الطعام بجانبه، ثم لمحت ورقة يبدو أنها دفعت من تحت الباب، التقطتها ثم قرأت خط الآنسة ميلر: «لم يرحني عقاب العلية وحده لذا قررت أن أعاقبك بما تحبين، ممنوعة من المدرسة لثلاثة أيام ووافقت المديرة على ذلك».

طوت الورقة وتنهدت بحسرة ثم سحبت الصينية نحوها وبدأت تتناول الطعام البارد، شعرت بالتعب مرة أخرى ورغم استغرابها من أمر النوم المستمر قررت أن لا شيء أفضل لفعله في العلية سوى النوم، لذا استلقت مرة أخرى بالوضعية نفسها التي تتخذها كلما أحست بالوحدة رغم أنها وحيدة دائماً إلا أن هناك أوقاتاً تشعر فيها أن وحدتها هي ما يعرضها للألم، فضمت ساقيها وغطت في نوم عميق.

استيقظت عند بزوغ الفجر بعد أن رأت الحلم نفسه، وقبل أن تجد الوقت لتفكر في الأمر عاد الألم مرة أخرى... الاحتراق! عضت على شفتها مرة أخرى وكتمت صوت نشيجها، لا ماء بارداً ليخفف عنها

اليوم، بدأت ترتعش من شدة الألم لكنها تعلم أن لا فائدة من طلب المساعدة، لن يصدقها أحد. توجعت في مكانها حتى أضيئت العلية بنور الشمس، ثم سقطت نائمة.

استيقظت على وكز أحدهم لكتفها، فتحت عينيها ووجهتهما للنافذة الصغيرة قبل أن تنتبه لمن أيقظها، لاحظت أن السماء مظلمة وأدركت أنها نامت طوال النهار مرة أخرى. التفتت لتجد الآنسة ميلر واقفة عند الباب تضع صينية العشاء على الأرض وتحمل صينية الغداء فوق صينية الإفطار اللتين لم تلمس أيًا منهما.

قالت الآنسة ميلر بازدراء: «تناولي وجباتك بدلاً من الأنين، تجويع نفسك لن يخفف عقوبتك» ثم صرعت الباب خلفها.

أرادت كيارا العودة للنوم لكنها شكّت أن الوهن الذي تشعر به سببه الجوع، تحاملت على نفسها وسحبت الصينية وأكلت ما تستطيع ثم دفعتها واستلقت مرة أخرى، هذه المرة استيقظت على الألم بدلاً عن الحلم، ظنت أن الأمر سينتهي لكنه يزداد شدة كل ليلة وهذا ما لم يحدث في السنوات الفائتة، احتضنت نفسها بقوة وبدأت تئنّ رغماً عنها.

«اتركيها تخرج» همس أحدهم خلفها، التفتت بذعر لكنها لم تجد شيئاً.

«اكسري القيد» همس الصوت نفسه مرة أخرى من اتجاه آخر، التفتت مرة أخرى لكن لا أحد.



«أنتِ من يقيدها» تكررت الهمسات بينما تكررت التفاتات كيارا بخوف متصاعد حتى بدأ الصوت يكرر كلمة واحدة:

«اكسريها... اكسريها... اكسريها» تردد الصوت من عدة جهات ولم تعلم كيارا أين تنظر، سحبت جسدها حتى الحائط وخبأت وجهها خلف ركبتيها لكنها ما أن فعلت ذلك حتى صرخ الصوت بنبرة حادة:

«دعيها تخرج!!» غطت كيارا أذنيها بيديها وشعرت أنها ستنفجر، وصل الرعب حتى حنجرتها ولم تعد تستطيع حبس صوتها أكثر، وقبل أن تتمكن من الصراخ زادت حدة الصوت حتى فقدت وعيها.

استيقظت على يد تمسد شعرها، فتحت عينيها بصعوبة لتجد وجه الممرضة تريشا المبتسم، وجه جميل يبدو في مقتبل العمر بالرغم من أنها تجاوزت الأربعين، لكن جمالها لم يقتصر على وجهها، بل ظهر في شعرها الأحمر كذلك، الذي تسرحه للخلف دائماً حاجبةً به أذنيها، انتهاءً بعقدة ملفوفة بشكل جميل.

قالت تريشا بلطف: «مساء الخير».

قالت كيارا بوهن وهي تلتفت لنافذة غرفة التمريض: «مساء؟ هل نمت طوال النهار مرة أخرى؟» ثم وجدتَ الإجابة في ضوء غروب الشمس البرتقالي.

«نعم» أجابتها تريشا ثم أكملت: «صعدت لزيارتك بعد أن سمعت بما حدث، لقد كنت في حالة يرثى لها، آسفة يا كيارا» اعتذرت تريشا بصدق.

سألت كيارا بدون رفع عينيها عن النافذة: «لماذا تعتذرين؟»

أجابت تريشا بأسىً: «كان يجب أن أكون هنا لإيقاف الآنسة ميلر».

قالت كيارا بنبرة تخلو من المشاعر: «ليست مسؤوليتك، كما أنني أستحق ذلك».

قالت تريشا بانفعال: «كلا! أنت لا تستحقين أياً مما يحصل لك هنا يا كيارا، لا تدعي كلماتهم ترسخ بداخلك» ثم هدأت فوراً عندما قالت كيارا:

«أريد بعض الراحة فقط».

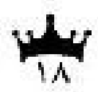
أجابت تريشا بابتسامة: «حسناً» ثم وقفت وتوجهت نحو الباب.

أكملت كيارا تأملها للغروب وبعد أن أظلمت السماء تذكرت ما حدث الليلة الماضية، كشرت بحاجبيها؛ فكلما فكرت في الأمر ازداد ألم رأسها، تنهدت أخيراً وقالت ساخرةً من حالها:

«من الميتم لمستشفى المجانين، لا فرق».

اضطجعت على جنبها الأيسر ثم تركت عينيها تنجرفان للنوم وكأن هناك من يقوم بتخديرها بشكل مستمر، سمعت صوت إغلاق الباب ففتحت عينيها لتجد صينية عشاء بجانبها تُعلمها أن تريشا أتت وتركت لها الطعام، اعتدلت في جلستها ونظرت للساعة الرقمية فوق مكتب تريشا تشير للثانية عشرة إلا ربعاً.

ابتسمت بمرارة للطريقة التي ترحب بها بعيد ميلادها كل مرة،



وهذه السنة كانت الأسوأ والأشد غرابة، أرادت الاستحمام لكنها تعرف أنها لن تصمد للوقوف بهذا الجوع، أمسكت بصينية الطعام وبدأت تأكل، حاولت دفع طعامٍ أكثر هذه المرة وكان النجاح ضئيلاً.

أعادت الصينية لمكانها وقبل أن تهم بالنهوض انتبهت أن يوم ميلادها سيدخل بعد دقيقة واحدة فقط، انتظرت مكانها لربما تشعر بدفعة أمل جديدة من أول يوم لها في سن الثامنة عشرة. نظرت للساعة بصبر ثم رن منبه الساعة في اللحظة نفسها التي اندلعت فيها النيران بجسدها.

شهقت بقوة ووضعت يدها على فمها قبل أن تفلت الصرخة من بين شفتيها، كان الألم أشد من قبل وأسوأ بكثير، تلوّت في مكانها تحاول تخفيف حدته لكن بلا فائدة، وقعت من السرير للأرض لكن الألم الذي يغزو جسدها كان أقوى من أن تشعر بارتطامها، مضت عدة ساعات حتى بدأ الألم يخف تدريجيّاً وعندما نظرت للساعة وجدت أنها الرابعة فجراً.

ضحكت بجفاء وقالت بتهكم: «عيد ميلاد سعيد».

توجهت للحمام واستحمت بماء بارد لكن احمرار جسدها لم يختف أبداً، ارتدت ملابسها وأخذت حقيبتها ثم توجهت للمدرسة مبكراً بعد أن تركت ملاحظة لتريشا حتى لا تقلق. وصلت للمدرسة قبل الجميع وجلست على مقعدها في الصف تحدق خارج النافذة ولم تنتبه للطلاب وهم يملؤون المقاعد.

«هذا مكاني» قال صوت من جانبها ميزته على الفور... أليكس.

التفتت ونظرت إليه، انتظرها أليكس بصبر حتى استوعبت أنها ليست على كرسيها، قفزت من فوق المقعد لتعطيه مكانه لكن قدمها علقت خلف قدم الكرسي وترنحت في مكانها على وشك السقوط. أمسك أليكس بذراعها قبل أن تسقط ثم أمسك بذراعها الأخرى وأزاحها من طريقه بهدوء فجلست على الكرسي المجاور له، وادعت أنها لا تستمع لرايتشل وهي تتمتم مع الفتيات:

«أليكس مرة أخرى... أخبرتكن أنها تدعي ذلك».

ثم تدخل لوك الذي يحوم حول رايتشل دائماً: «وما الفرق؟ الاثنان غريبان، أليكس كذلك، غريب أطوار ولا أجد فيه الوسامة أو الجاذبية اللتين تتحدثن عنهما...»

«هل يغار لوك من أليكس؟» تساءلت كيارا ثم اتسعت عيناها على مصاريعهما عندما انتبهت أن سؤالها لم يكن داخل رأسها، بل سمعه الجميع، لم تعلم إن كان إرهاقها سبب قلة حذرها أم أن تعليقات لوك ضايقتها، عمّ الهدوء ولم تملك الجرأة للنظر باتجاههم لكنها شعرت بعيني رايتشل تخترقان وجهها.

التفتت لرؤية أليكس الذي ما زال ينظر إلى النافذة عاقداً ذراعيه ولاحظت زاوية فمه وهي ترتفع، حمحم لوك ثم بدأ بالتحدث عن أمور أراد إبهار رايتشل بها حتى يغير الموضوع.

وضعت كيارا رأسها على الطاولة أمامها بعد أن امتص التوتر ما

تبقى من طاقتها، أرادت إغلاق عينيها قليلاً لكن ذلك جعلها تتذكر الليالي السابقة وما حدث فيها من أمور غريبة.

قطع حبل أفكارها صوت أليكس المنخفض مرة أخرى: «لم كنت غائبة؟»

رفعت رأسها لتقابل عينيه العسليتين الساحرتين واستعجبت لذم لوك السابق له، كان أليكس في وضعيته نفسها عدا أن وجهه التفت إليها.

أكمل أليكس عندما طال صمت كيارا: «لثلاثة أيام».

قالت بلا وعي: «كنت معاقبة» لكنها صححت نفسها سريعاً: «أقصد... مريضة».

حدق بها أليكس قليلاً وضاقت عيناه بارتياب لكنه قال ببرود: «تبدين مريضة بالفعل» ثم التفت للنافذة مرة أخرى.

دخل الأستاذ دافيس وبدأ حصة التاريخ فور دخوله، ثوانٍ قليلة حتى وضع أليكس رأسه على الطاولة أمامه، انتبه الأستاذ وزفر باسمه لكنه تابع فوراً.

انتهى اليوم الدراسي وتوجهت كيارا لمتجر (أثريات فانكا) ووجدته لا يزال مغلقاً باللافتة نفسها، عادت للميتم لتجد هدية تنتظرها عند تريشا، سحبت تريشا كيارا لغرفة التمريض وأقفلت الباب خلفها.

قالت وهي تمد الهدية المغلفة أمامها: «خفت أن تصادرها الآنسة ميلر».

التقطتها كيارا بريبة؛ فلا أحد يرسل لها الهدايا، لا عائلة لديها أو أصدقاء، ظنت أنها مزحة ثقيلة من أحد ما لكن ما أن فتحتها حتى علمت مصدرها... فانكا، الكتاب العاشر من السلسلة التي تمتلكها تحت سريرها، لكن لِمَ أرسلها هذه المرة؟

بعد أن خلد الجميع للنوم بعد العشاء، أمسكت كيارا الكتاب الذي كُتب على غلافه بخط مزخرف كبير: «*طائر العنقاء*»، بدأت تقرأ وتقلب في صفحاته باهتمام بالغ حتى وصلت إلى صورة كتب أسفلها:

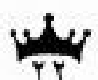
تتميز هذه المخلوقات بعلامة النجم على صدورهم منذ الولادة.

اضطربت نبضاتها فهي تعرف هذه العلامة جيداً، حملت الكتاب على عجل وتوجهت للحمام تقارن بين العلامة أسفل ظهرها والموجودة في الصورة.

سمعت صوت الباب يُفتح، وشهقت ملتفتة لكن لم يكن هنالك أحد، خرجت من الحمام ونظرت للردهة الساكنة، حينها رأت ظل أحدهم عند الدرج، ذهبت وهبطت الدرجات بسرعة لتجد أن لا أحد هناك كذلك، سمعت صوتاً من الممر المتجه لباب الميتم الأمامي.

قالت بصوت مرتجف بعد أن بدأ الخوف يتسلل إليها: «من هناك؟»

لكن لم يجبها أحد، بدأت تشعر بحرارة غريبة تتقد داخلها، اقتربت



ببطء من باب الميتم وكانت حرارتها تزداد مع كل خطوة، وغريزتها تخبرها أن تعود أدراجها، لكنها تعلم أن ليلتها لن تخلو من الكوابيس إن فعلت ذلك، لذا أرادت التحقق أن لا أحد هناك.

فتحت الباب ثم تقدمت للأمام بعد أن اصطدم نسيم الليل البارد بجسدها الملتهب، التفتت عدة مرات للتحقق وأخيراً تنفست الصعداء.

التفتت لتعود أدراجها وإذا بها تُفاجأ برجل ضخم البنية، أسود البشرة، ذي ملامح غليظة يقف أمامها، ارتعد جسدها وعندما همت بالصراخ وضع إصبعين على جبينها لتخور قواها وتفقد وعيها فوراً، ثم حملها الرجل بين ذراعيه واختفى في الهواء ليأخذها لمكان لم تتخيل رؤيته في أسوأ كوابيسها.

إعدام

في غابة مظلمة بعيدة عن الميتم وعن أي معالم بشرية، ظهر رجل من الخفاء وفي يده استلقت كيارا، مشى الرجل بخطاً خفيفة باتجاه أضواء النيران خلف الأشجار حتى وصل لوجهته، ساحة رملية واسعة توسطت الغابة، لا يمكن لأحد توقع وجودها في هذا المكان، كواحة توسطت الصحراء.

سورتها الأشجار بشكل دائري كبير، كذلك الجذاء المشتعلة الطافية في الهواء.

وُجدت في ذلك المكان عشيرة سحرة كاملة مستعدة لإعدام فتاة لا علم لها بما يحصل، وقف الرجل أمام عشيرته قبل أن تتكلم امرأة عجوز في المنتصف تدعى إستل.

قالت إستل بصوتها الأجش: «ضعها على الوتد يا دريزور».

تقدم دريزور لمنتصف الساحة حيث تم رصّ عصيّ الأخشاب بعضها بجانب بعض على شكل مستطيل كمنصة للعرض الذي سيحدث، في منتصف تلك المنصة نُصِبَ وتد سميك وطويل لربط كيارا به. نفذ دريزور مهمته وعاد لمكانه وسط العشيرة.

وقف شاب في آخر الصفوف، يقضم أظافره بتعابير مرتابة متوترة، ينتظر انتهاء الأمر بتردد، مكرراً كلمات يحاول إقناع نفسه بها: «هي السبب في موت أمي، يجب أن تموت» لكنه ينهي كلماته بالسؤال المحتار نفسه: «أليس كذلك؟»

قالت إستل في المقدمة مقاطعةً جداله الذاتي: «رو! تعال إلى هنا».

تقدم الشاب بخطاً ثقيلة متوقعاً ما ستطلب منه، وقف بجانب إستل التي بدأت بالكلام حالما رأته: «ستُشعِل النيران يا رو».

تسمر رو مكانه وشعر بالقشعريرة تسري في سائر جسده، قشعريرة عميقة يكاد أن يشعر بها في عظامه، قشعريرة أثبتت له أن ما يحصل الآن غير صحيح، لذا هزّ رأسه بالرفض فقط.

قالت إستل بتعجب: «لكنها السبب في موت والدتك!» لم يجد رو إجابةً لها فاكتفى بالصمت لتردف إستل بازدراء: «عد للخلف إذاً».

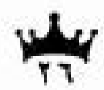
عاد رو لمكانه وهو غير مرتاح أبداً، هزت إستل رأسها لدريزور كإشارة للبدء، رفع دريزور إصبعيه لجبين كيارا مرة أخرى لكسر التعويذة التي أغشتها.

استيقظت كيارا بذعر وكأن أحدهم سكب الماء البارد عليها ثم سرعان ما انتشرت الحرارة في جسدها منبئةً بالخطر، نظرت حولها برعب تحاول استيعاب ما يحدث.

قالت بصوت مرتجف وهي تحاول تحرير نفسها من الحبال الملتفة حول الوتد: «ما الذي يحدث؟ أين أنا؟»

«كيارا جرانت!» قالت إستل بصوت جهور معلنةً ابتداء مراسم الإعدام، ثم أكملت: «تم الحكم عليكِ بالموت حرقاً وذلك للتجاوز الحاصل لعدة محرمات».

نظرت إليها كيارا بعدم فهم، ثم التفتت لتلك المجموعة القروية



من الناس ثم للرجل الذي اختطفها، أنزلت عينيها ناظرةً للخشب المصفوف أسفلها والوتد الذي ربطت عليه بطريقة لا تعني إلا أمراً واحداً لتصدمها الحقيقة.

رفعت عينيها باتجاه إستل وقد اتسعتا لمصاريعهما وتمكن منها هول الموقف -بالموت حرقاً- لم تكن تلك الشمطاء تخطرف!

صرخت كيارا من مكانها: «أ... أنت مخطئة! لقد أخذتم الشخص الخطأ!»

لكن إستل تجاهلتها وأكملت تعدد التجاوزات المزعومة: «أولاً، انشقاقك عن العشيرة لثمانية عشر عاماً».

قاطعتها كيارا صارخة مرتعبة: «اسمي كيارا هاربر وليس جرانت! أنتم مخطئون!!»

أردفت إستل عاقدة حاجبيها: «ثانياً، اختباؤك عن العشيرة وتجاهلك للتعليمات!»

لكن كيارا قاطعتها مرة أخرى: «أي تعليمات! أنا يتيمة بلا عائلة عن أي عشيرة تتحدثين!»

زادت حدة صوت إستل عندما أكملت وصبرها ينفد: «عصيانك المباشر للأوامر!»

قالت كيارا باستغراب: «أي أوامر؟»

إستل بحدة: «كشف هوية عالمنا للبشر!!»

كيارا باكية: «عن ماذا تتكلمين؟!»



صرخت إستل: «هذا يكفي!» التفتت لدريزور وقالت آمرة: «نفِّذ!»

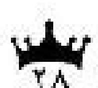
رفع دريزور قارورة الغاز من الأرض وتوجه للمنتصف حيث كيارا، ألقى نظرة من فوق كتفه باتجاه رو للاطمئنان عليه والتحقق من أنه لن يرتكب أي حماقة، بينما كان يشقّ طريقه، بدأ بصب الغاز على الخشب أسفل كيارا وهي تراقبه والهلع يتمكن منها، ولوهلة أرادت منه أن يصب الغاز عليها لتلتهمها النار سريعاً فلا يطول عذابها لكنها تراجعت عن ذلك في أمل للنجدة إن لم تقتلها النيران بسرعة.

حينها تذكرت ما قاله الأستاذ دافيس عن طرق الإعدام التي شهدها التاريخ، محاضرة طويلة مرعبة لأسوأ الطرق التي يمكن أن يقتل بها المرء قبل أن ينهيها بقول: «لكن الموت حرقاً أسوأ الطرق للقتل، أبشع أنواع العذاب والألم، ويتصدر الاحتراق قائمة أكثر أنواع الألم شدة».

انتابت كيارا نوبة هستيريا لما سيحدث لها بعد قليل، بدأت بالصراخ والترجي بشكل يثير القشعريرة، لكن لم يتأثر بحالها أحد من الموجودين... عدا رو.

نظر لها بشفقة وتأنيب ضمير بعد أن اختفت كل ملامح الضغينة بداخله، أدرك حينها أن تلك الضغينة لم تكن في محلها، لم تكن كيارا سبب موت والدته لكن ذلك ما أرادت العشيرة منه أن يصدق.

خفض رأسه بندم لأنه سبب عذاب هذه الفتاة البريئة فلولاه لما



وجدوها أبداً، لكن تأخر الأمر الآن، يعلم رو جيداً أن إستل ستربطه بجانب كيارا لو تكلم الآن أو حاول منعهم.

حينها عاد دريزور أدراجه ونظراته مثبّتة على رو حتى امتثل أمام إستل قائلاً: «إنها جاهزة».

أومأت له إستل ليبتعد عن طريقها، تقدمت عدة خطوات باتجاه كيارا الباكية، رفعت يديها أمامها وبدأت بإلقاء تعويذة لإشعال النار.

صرخت كيارا برجاء: «لا! لاااا! أرجوكِ أرجوكِ!» خفضت إستل يديها قليلاً والتقت عيناها بعيني كيارا، حينها أكملت كيارا بصوت متوسل تحاول استعطاف التي أمامها: «أرجوكِ!»

حدقت بها إستل للحظات وكأنها تنظر لشخص تعرفه، فبدأت تتأمل كيارا أنها لن تموت اليوم، وعندما لاحظت إستل ذلك الأمل في عينيها ابتسمت بمكر ورفعت يديها وألقت تعويذتها لتشتعل النيران أسفل كيارا.

أخذت النار ثوانيَ قليلة حتى وصلت لقدمي كيارا التي شعرت أنها الدهر كله، وصلت النار لباطن قدميها وامتزجت مع ثوبها في لمح البصر، صرخت وهي تشعر بجلدها يُكوى وزادت حدة صرخاتها عندما بدأ يتقشر، ووصلت النيران لأعصابها وعضلاتها حتى شخصت عيناها.

ورغم الألم الهائل الذي كانت تمر به وصرخاتها المفزعة للسامعين تقبلت كيارا قدرها بالموت الحتمي وانتظرته بكل ثانية شعرت أنها أطول مما يجب.

استغرب رو أن كيارا لم تفقد الوعي إثر حالة الصدمة التي من المفترض أن تدخل بها بعد ثوانٍ بسيطة من اشتعال النيران بجسدها، حينها أدرك أن إستل لها يد في ذلك وأنها أرادت لكيارا أن تتعذب لأطول فترة ممكنة.

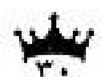
فكر في قتلها بتعويذة سريعة لكن ذلك سيكون معارضاً للحكم الذي أصدرته إستل، عذبه ضميره أكثر لكل صرخة سمعها ولم يستطع إيقاف يده عن الارتفاع أمامه وإلقاء تعويذة زادت من قوة النيران التي تعذب كيارا حتى سبعة أضعاف.

اهتاجت النيران وارتفعت متعديةً طول الأشجار التي تسوّر ساحة الإعدام، أطلقت كيارا صرخة ألم طويلة آلمت رو بشدة لكن الهدوء الذي تبع تلك الصرخة أراحه جزئياً.

التفت أفراد العشيرة بعضهم إلى بعض بتساؤل عمن فعل ذلك، عدا اثنين: دريزور الذي رمق رو بإشفاق، وإستل التي نظرت باتجاهه شزراً.

تبدلت نظرات دريزور من شفقة لاحتراز عندما انتبه لنظرات إستل تجاه رو، في المقابل توجهت إستل لرو بحنق متوعدة له بأشد العقوبات لكن دريزور وقف أمامها في منتصف الطريق قائلاً: «تم الحكم».

نظرت له إستل بتجهم ليكمل الآخر: «ماتت حرقاً، لم يكن مستوى النيران جزءاً من الحكم».



فهمت إستل قصده فلم تكن كامل العشيرة مقتنعة بهذه المحاكمة، لكن لم يجرؤ أحد على المعارضة، وقتل رو سيكون الشرارة الأخيرة المنتظرة من بعضهم.

تنفست إستل بعمق لتعيد موازينها قبل أن تكمل بصوتها الأجش: «انتهت المحاكمة، عودوا أدراجكم».

وفي لحظة اختفى الجميع وبقي في تلك الساحة إستل ودريزور ورو، ألقت إستل نظرة حاقدة باتجاه رو فقال دريزور قبل أن تفعل أي شيء: «تعلمين أنه حساس ومرهف المشاعر».

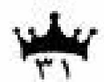
فتحولت نظراتها للاستحقار قبل أن تختفي هي الأخرى، التفت دريزور باتجاه رو لكن الآخر لم يزح عينيه عن النيران وهي تأكل ما تبقى من جسد كيارا.

اقترب دريزور منه بخطوات بطيئة ووضع يده على كتفه قائلاً برأفة رغم صوته الغليظ: «أعلم أنك تشعر الآن أنك بلا عائلة، لكن أريدك أن تعلم أنني ما زلت أراك كأخ صغير لي».

التفت له رو بابتسامة مكسورة: «شكراً دريز».

«عد لمنزلك، عليّ الانتظار حتى النهاية لتنظيف المكان، لا تنتظرني» قال دريزور وهو يشير للنيران.

أجابه رو سريعاً: «لا» أكمل راجياً عدم رفض دريزور: «أريد التنظيف بنفسي» علم الآخر أنه يريد أخذ رمادها لنشره بطريقة تريح ضميره وترفع عنه الحزن قليلاً لذا أومأ له بالموافقة.



قال دريزور: «سأعود بعد خمس ساعات» رغم علمه أن جسد كيارا سيتحلل خلال وقت أقصر لكنه أراد إعطاء رو وقته، شد دريزور على كتف رو مرة أخيرة قبل أن يختفي في الهواء.

تقدم رو باتجاه النيران التي استطاع ملاحظة جسد كيارا المتفحم من خلالها، وقف على مساحة قريبة أشعرته بالحرارة اللاسعة لكنه تجاهل الأمر، ثم نزلت دموعه قبل أن يستطيع منعها وهو يفكر في والدته التي ضحت بحياتها لحماية هذه الفتاة، كيف ذهب موت والدته هباءً! كيف ضحت بكل شيء فقط ليتسبب ابنها بموت الفتاة في النهاية، كيف ضاعت كل التضحيات بسببه! وبسبب الهراء الذي صدقه من إستل!

لطالما تمنى وجود عائلة تحيط به، وبحث عن ذلك الإحساس باستماتة في كل مكان، لكن عشيرته رفضت اقترابه منهم للدم الذي يجري في عروقه، سقط على ركبتيه أمام النيران ودفن وجهه في كفيه عالماً أنه تسبب بقتل آخر فرد من عائلته، وأنه وحيد تماماً الآن، بقي على وضعه بينما أخفى أجيج النار شهقاته المختنقة.

عاد دريزور بعد حوالي الساعتين، كانت النار قد انخفضت وملأ المكان صوت فرقعة الخشب المتبقي، وجد رو على ركبتيه ينظر لرماد كيارا المختلط بقطع عظامها التي لم تتحلل، علا وجهه تعبير صامت... الخدر، علم دريزور أنه تخطى مرحلة الحزن والندم.

اقترب منه ووضع جرة صغيرة بجانبه للرماد، ربت على كتفه ليلتفت رو للجرة بجانبه، أومأ رو بهدوء ثم اختفى دريزور مرة أخرى.

تنهد رو بحرقة رغم ظنه أنه فقد أحاسيسه للحظة، رفع يديه أمامه باتجاه الرماد وألقى بتعويذة ارتفعت على إثرها قطع العظام المتبقية، وبينما طفت في الهواء شعر بغصة في حنجرته لكنه أكمل وألقى بتعويذة أخرى طحنت بقية العظام وحولتها لرماد.

نزلت حبيبات الرماد من الهواء تزامناً مع وقوع يديه لحجره، خفض رأسه بأسىً لما انتهت عليه الأمور ثم قلب كفي يديه للأعلى ناظراً إليهما باشمئزاز

«بعد أن أقسمت أنك لن تلطخ يديك بالدماء...» قال ثم ضحك بتهكم مكملاً: «لتذهب وتقتل ابنة خالتك».

رفع وجهه للسماء حتى لا تسقط دموعه لكنها انزلقت بسرعة، مسحها بظهر يده ووقف على قدميه أخيراً، تنهد للمرة الأخيرة ثم انحنى ورفع الجرة بين يديه.

تأمل رماد كيارا قليلاً ليقطع سكون المكان صوت بكاء مكتوم! تلفّت حوله باستغراب واختفى من بقعته في لمح البصر بقدرة الانتقال الذاتي التي يملكها السحرة مفلتاً الجرة من بين يديه، ثم ظهر في أقصى الجهة الشمالية للساحة قبل أن تصل الجرة للأرض. نظر باتجاه الغابة بتركيز لكن اتجاه الصوت اختلف تزامناً مع اختلاف مكان وقوفه.

التفت للخلف حيث أتاه الصوت من اتجاه جديد ثم اختفى وظهر في أقصى الجهة الجنوبية، ليختلف اتجاه الصوت تزامناً معه مرة أخرى.

اختفى وظهر في عدة أماكن مختلفة يمشط المكان بعينيه في كل بقعة

ينتقل لها، وبعد عدة محاولات ارتفع الصوت وأصبح واضحاً، فتاة تبكي، لكن الصوت مكتوم وكأن أحدهم قام بتكميمها، استطاع تحديد اتجاه الصوت لكنه حاول تجاهل الأمر والمحاولة مرة أخرى.

وبعد عدة محاولات تحقق أن الصوت قادم من حيث أُحرقت كيارا، لوهلة شكّ رو أنها روح والدته تبكي على الفتاة المظلومة، ارتعش لتلك لفكرة فليس لديه الجرأة لمقابلة والدته بعد الذنب الذي اقترفه.

هز رأسه طارداً تلك الفكرة من رأسه واقترب لمنتصف الساحة ببطء ينظر بثبات لاتجاه الصوت حتى استقرت عيناه على الرماد في الأرض، اتسعت عيناه بصدمة خالطها الخوف فقد بات الصوت واضحاً وهو بالقرب من الرماد.

عدة لحظات مرت لم ينقطع فيها البكاء ولم يتزحزح فيها رو عن مكانه بقدر أنملة، ثم حدث شيء آخر جعله يقفز للوراء... تحرك الرماد.

همس رو بشك: «هل يعقل؟» لكن شكه لم يطُل عندما بدأ شيء بالظهور من منتصف كومة الرماد يدفع نفسه للأعلى، بدا كحجر في البداية لكن ذلك الشيء كافح للخروج حتى اتضح أنه رأس بشعر بني متسخ بالرماد، ثم عدة شهقات مكتومة حتى خرج الرأس كاملاً وتحرر الصوت ليصبح صوت أنينٍ واضحاً.

«كيارا!» قال رو بإعجاب للتي أمامه تشق طريقها بجهد لتنهض من جديد.

انشقاق

لم تلحظ كيارا رو أمامها، فقد كانت تبكي وتناضل للخروج بينما اتسخت عيناها بالرماد كذلك ولم تتمكن من الرؤية جيداً.

بعد أن أخرجت قدميها بقيت جاثية على ركبتيها تحاول تنظيم أنفاسها، لكن ذلك لم يكن سهلاً عليها وهي تتذكر ما حدث للتو، حاولت أن تتوقف عن البكاء لكن ذكرى الألم ما زالت حديثة.

انتابها الخوف عندما تذكرت ملامح المرأة التي أحرقتها، رفعت رأسها بسرعة لترى إن كانت لا تزال هناك لكن عينيها التقتا بعيني رو.

قال رو بامتنان: «أنتِ حية!» بينما قفزت هي على قدميها استعداداً للهروب، فرفع يديه ليطمئنها قائلاً: «انتظري لحظة» لكنها سحبت نفسها للخلف بخطوات مرتبكة خائفة بينما أكمل بصوت منخفض ليهدئ من روعها: «أستطيع مساعدتك».

توقفت كيارا مكانها بعد أن انتابها إحساس غريب بالثقة، لم تعلم من الذي أمامها لكن صوتاً بعيداً في رأسها يخبرها أنه سيضحي بحياته لإنقاذها لو لزم الأمر.

قال رو محذراً: «سيستطيعون العثور عليك أينما ذهبتِ» ثم أكمل بابتسامة مطمئنة: «لكني أستطيع مساعدتك».

شعرت بالراحة لكن ما حدث معها اليوم منعها من الاتكال تماماً على إحساس الثقة الغريب الذي تشعر به تجاهه.

تأملت ملامحه بحذر قبل أن تتجه عيناها لشخص ظهر من الغابة خلفه، اتسعت عيناها برعب عندما تذكرته، الرجل الذي اختطفها من الميتم.

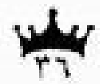
تتبع رو نظراتها الخائفة ليجد دريزور واقفاً هناك والصدمة تملأ وجهه قائلاً: «ما الذي فعلته يا رو؟!»

انتابت كيارا حرارة غطت كامل جسدها، تلك الحرارة التي باتت تعلم مغزاها الآن... الغريزة.

أجاب رو بسعادة: «لست أنا، بل القدر».

وجّه دريزور نظراته لكيارا محاولاً فهم ما يقصده رو، وبنظرة فاحصة قصيرة انتبه لاختلاف الهالة حولها، فالبشر يحملون هالة باهتة، ضعيفة، متشابهة في عمومها عدا اختلافاً بسيطاً يميز كل شخص عن الآخر، وهذا ما رآه حولها سابقاً، بينما تحمل المخلوقات غير البشرية هالات مختلفة وأكثر قوة، لكن ما لم يفهمه دريزور هو كيف لإستل أن تغفل عن أمر كهذا؟ علت ملامحه نظرة حائرة لم تدم طويلاً، هزّ رأسه وقال بغضب: «لا يهم! أوامر إستل كانت واضحة! تم الحكم عليها بالموت!»

«لقد نهضَت يا دريز، انتهى الأمر» قال رو من بين أسنانه بعد أن شعر بغضب عارم تجاه دريزور جعله يريد إيذاءه حتى لا يفكر بالاقتراب من كيارا، استغرب رو مشاعره الجياشة وحاول تمالك نفسه متذكراً أن دريزور أخ له.



أجابه دريزور: «إستل هي من تحدد انتهاء الأمر» ثم بدأت تتحول عروق وجهه إلى اللون الأسود استعداداً لقتال كيارا.

شد رو على قبضتيه مزمجراً ثم التفت إلى كيارا التي كانت تحدق بوجه دريزور برعب وقال على استعجال ناقلاً نظراته بينها وبين دريزور: «اهربي وأنا سأردعه».

نظرت كيارا للغابة التي تحيطهم من كل الجهات ثم أعادت نظرها لرو تسأله بنبرة لم تخف خوفها: «إلى أين؟»

ثبّت رو عينيه بعينيها لوهلة قبل أن ترتفع زاوية فمه بابتسامة جانبية: «لا تقلقي، طالما الطيور تتنفس لن تنتهي أبداً».

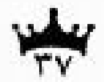
«ماذا تقـ..» بدأت كيارا لكن جذب انتباهها الدخان الأسود الذي بدأ بالتشكل على يدي دريزور، التفت رو لدريزور بوضعية دفاعية قبل أن يقول كلماته بسرعة:

«اذهبي سريعًا! فكري فقط في مكان آمن».

التفتت كيارا للخلف وبدأت بالركض، حينها تذكرت وتوقفت قائلة: «لكن... من أنت؟»

بدأ دريزور استجماع سحره ليصيح رو باتجاهها: «سأجدك لاحقاً! لا وقت الآن! اركضي يا كيارا وبسرعة!»

أكملت كيارا ركضها بينما أكمل رو بصوت مرتفع: «مكان آمن! لا تنسي» ثم اختفت كيارا بين ظلمة الأشجار.



قال دريزور محذراً: «أنت ترتكب خطأ كبيراً يا رو»

أجابه رو فوراً: «الخطأ الكبير كان قتلها» ثم أكمل محذراً بنبرة دريزور نفسها: «ومحاولة قتلها مرة أخرى خطيئة مشؤومة، أنت تعلم ذلك يا دريز».

زمجر دريزور بغضب: «أنا أتبع الأوامر، وعليك أنت اتباعها كذلك».

أجابه رو بهدوء: «ليست كل الأوامر صحيحة، أحياناً علينا اختيار ما هو صحيح بأنفسنا» وأكمل بتقزز: «خصوصاً عندما تكون الأوامر قادمة من شخص كإستل».

صاح دريزور بغضب يتنفس بصعوبة لكي يحتوي السحر الأسود المحيط به: «لا تنسَ لمن يعود ولاؤك!!!»

«صحيح... لن أنسى لمن يعود ولائي» قال رو بثقة قرر تفسيرها لاحقاً لكنه أكمل: «ولائي لها حتى رمقي الأخير... كيارا!!»

تجهم دريزور قائلاً: «أفهم حاجتك للعائلة لكنك تجاوزت كل الحدود!!»

«لا.. الأمر أكبر من ذلك، لا أستطيع وصفه ولن تفهمه، لكنك لن تتجاوزني» خلال ذلك ولأول مرة اشتعلت نيران قرمزية قاتمة تكاد تكون سوداء بيدي رو.

ارتبك دريزور قليلاً لكنه فهم الأمر حينها، سبب ولاء رو المفاجئ



لكيارا ودفاعه عنها، علم كذلك أن رو سيضحي بحياته بالفعل من أجل حمايتها، رو لم يقم باختيار كيارا كما يظن، بل هي فطرته، لكن لم يبد لدريزور أن رو يعلم ذلك بعد، جزء منه أراد المضي بالأمر وتسليم كيارا لإستل لكن جزءاً آخر لم يرد قتل رو أبداً.

قال دريزور بحزن حاول إخفاءه لكنه ظهر في عينيه وهو ينظر لرو: «لا أريد قتالك يا رو، نحن إخوة قبيلة واحدة».

أوحت كلمات دريزور بفكرة لرو الذي لم يشغل تفكيره سوى سلامة كيارا، فكرة ستماطل دريزور حتى تكتشف كيارا طريقة هروبها.

«صحيح نحن ما زلنا إخوة قبيلة واحدة» استقام رو في مكانه والنار تشتعل في كفيه، حرك إحدى يديه في الهواء ليرسم حلقة نارية مفرغة أمامه، ثم بداخل الحلقة رسم بيده الأخرى حلقة مشابهة صغيرة الحجم ثم أكمل: «لذلك...»

صرخ دريزور محاولاً إيقافه عن تهوره: «لا!!!... رو! توقف!!» لكن رو كان مصمماً على الأمر وكأنه وجد جميع الإجابات الصحيحة فجأة.

«أنا رو راندكرو...» قبض يديه بقوة وكأنه يحكم القبض على الحلقتين الناريتين القرمزيتين أمامه وأكمل بصوت جهوري واثق: «أعلن انشقاقي عن قبيلة أوشان» ثم فرق يديه على وسعهما لينزع الحلقة الصغيرة من قلب الحلقة الأم كناية عن الانشقاق وتذهب كل حلقة في اتجاه.



أفلت رو قبضتيه لتبدأ الحلقتان بالدوران بسرعة هائلة مسببتين رياحاً قوية حركت الأتربة والأشجار من حولهما، بدأت الحلقة الصغيرة بالاتساع حتى أصبحت قوة قائمة بمفردها، وبعد أن تساوى حجما الحلقتين انطلقتا من جانبي رو للأعلى ثم تصادمتا في الهواء فوق رأسه محدثتين انفجاراً وصل صوته والضوء المنبعث منه لأمتار بعيدة عنهما حتى منتصف الغابة.

تلاشى الغبار شيئاً فشيئاً بين رو ودريزور، بينما كان دريزور لا يزال غير مصدق أن رو أقدم على خطوة انتحارية كهذه، فلا ينشق عن قبيلته إلا ساحر قوي يستطيع الصمود بمفرده ورو بعيد كل البعد عن ذلك.

وقف رو أمامه بثقة وأكتاف مرفوعة وابتسامة انتصار وكأنه لم يشعر بهذا الفخر بنفسه من قبل. ووسط نظراتهما المتبادلة ومض ضوء برتقالي خفيف من الغابة خلف رو أعلمهما بهروب كيارا بنجاح، أو على الأقل بعيداً عن الخطر حاليّاً، اتسعت ابتسامة رو بينما تفاقم غضب دريزور في ثوانٍ، شد على قبضتيه والدخان الأسود يتصاعد من خلفه، أغمض عينيه ليتمالك نفسه حتى تراجع الدخان ببطء وتنفس بانتظام واستعاد هدوءه.

قال دريزور بهدوء دون النظر باتجاه رو: «سأعلم إستل بما حدث غداً صباحاً».

«أنا آسف يا دريز، لكنه الاختيار الصحيح» قال رو بأسف لحالهما

الذي تغير من أخوين لعدوين، لكنه لم يشعر بالأسف للحرية التي يشعر بها الآن.

«ليس بيدك حيلة، أعلم» تردد دريزور قليلاً لكنه قال: «انشقاقك كان بسبب حزنك لموت[1] كيارا... وليس دفاعاً عن حياتها» رفع عينيه ليقابل عيني رو ثم أكمل: «هذا ما ستسمعه إستل».

ابتسم رو بامتنان: «شكراً دريز».

«هذا آخر معروف لك» التفت دريزور وقبل أن يختفي قال من فوق كتفه: «الديك حتى الصباح لتختبئ.... وداعاً رو» ثم تلاشى في الهواء قبل أن يتمكن رو من شكره مرةً أخرى.

عندها قرر رو الذهاب للميتم والبحث عن كيارا حتى يستطيع إخفاءها بعيداً عن مخالب إستل، لكن قبل كل ذلك...

ما الذي حدث لكيارا عندما بدأت بالركض باتجاه الغابة؟

كان الطريق وسط الأشجار وعراً ولم يكن من السهل التحرك بسرعة، شعرت بالألم في قدميها كل مرة داست فيها على حجر أو غصنٍ صغير مدبب لكن ذلك لا يقارن بالألم الحارق الذي تجرعته الليلةَ ولم تكن على استعداد لتذوقه مجدداً، لذا ركضت بكل قوتها رغم ألمها وخوفها من المجهول.

كانت الأغصان وأوراق الشجر تصطدم بجسدها أثناء ذلك، لاحظت برودتها عندما اصطدمت بكتفيها وساقيها ولم تفكر بالأمر

حتى خدشها غصن على خصرها، أنزلت نظرها لثانية لمكان الجرح وحينها انتبهت أنها عارية تماماً.

توقفت مكانها وتفقدت جسدها بتركيز، كانت تتعرق بشدة منذ لحظة اختطافها، بسبب ذلك التصق الرماد بجسدها كالغطاء لكن الهواء الذي اصطدم بجسدها أثناء الركض أبعد معظمه، كذلك الأغصان التي ارتطمت بها، كانت الحرارة داخلها في اشتعال دائم لذا لاحظت أيضاً الاحمرار الشديد على بشرتها في الأماكن التي لم يعد يغطيها الرماد.

قال صوت غريب على مقربة منها: «خطر!!»

شهقت كيارا والتفتت لمصدر الصوت لكن لم يكن هناك أحد.

قال صوت آخر غريب على مقربة من مصدر الصوت الأول: «استمري بالركض».

قال الصوت الأول: «لا تقفي هكذا».

قال صوت جديد من مكان مختلف: «أرجوكِ! اركضي».

لم تر كيارا أحداً لكنها انتبهت أن الأصوات قادمة من أعلى الأشجار، وتساءلت إن كانت الأشجار تتكلم، أم أنها جنّت حقاً بسبب حرقها.

ظهر وهج ناري من خلفها باتجاه الساحة التي أحرقت فيها، تذكرت الأمر والخطر والهروب، التفتت وبدأت بالركض مرة أخرى.

لم تتوقف الأصوات لكنها كانت مختلفة في كل مرة، وكأن كل شجرة تحاول دلّها على الطريق، رغم ذلك لم تستفدْ منها كونها تردد الشيء نفسه.

«مكان آمن» كررت الأصوات ذلك بدون توقف.

قالت كيارا بانزعاج من بين أنفاسها المتقطعة بينما واصلت قطع طريقها بين الأشجار: «أجل هذا ما أريده، لكن أين؟»

مع اشتداد الوهج الصادر من خلفها بدأ الرعب يتمكن منها وبدأت تجيب الأصوات بيأس علها تسمع شيئاً آخر يفيدها.

«مكان آمن».

صرخت كيارا: «أين؟!!»

«مكان آمن».

صرخت مرة أخرى: «أين؟!!»

«مكان آمن».

«مكان آمن».

«مكان آمن».

«مكان آمن» تكررت هاتان الكلمتان مع ازدياد الهلع الذي يتملك كيارا.

حينها صدر صوت انفجار من خلفها وهبّت رياح تطاير على أثرها شعر كيارا وتطايرت حبات الرماد التي علقت به.

كان الصوت قوياً والضوء الذي أتى معه أضاء أمتاراً بعيدة أمامها، غابة عميقة مظلمة لا يبدو أن لها مخرجاً، عندها بدأت كيارا بالبكاء وهي تركض، تتذكر أيام الميتم التي سئمتها وتتمنى عودتها الآن، تتذكر المدرسة وأليكس ورايتشل، كانت على استعداد لتلقي كل أنواع الإهانات منها مقابل أن تعود الحياة لما كانت عليه، الآنسة ميلر وآمبر والخطر الذي شعرت به تجاهها وكيف لا يضاهي هذا الخطر.

قالت كيارا باكية: «أريد العودة للميتم».

«مكان آمن» أجابتها الأصوات بحدة لكن لم يعد يتكلم كل صوت على حدة، بل تداخلت أصواتهم بعضها في بعض بالكلمتين أنفسهما.

انتحبت كيارا: «أريد أن أعود».

«مكان آمن».

«مكان آمن».

قالت كيارا وهي تتذكر الممرضة تريشا وطيبتها معها: «أريد الذهاب لغرفة التمريض».

رددت الأصوات بتزامن مفزع أخاف كيارا: «مكان آمن!!»

صرخت كيارا بكل قوتها وهي تتمنى الوصول لأي مكان تشعر فيه بالأمان: «أريد مكاناً آمناً!!!!»

ظهر ضوء برتقالي ساطع مفاجئ أمام عينيها، أغمضت عينيها بقوة ثم شعرت بدفء يحيط جسدها عكس هواء الغابة البارد، واختفت

كل الأصوات، ليس فقط الأصوات الغريبة، بل جميع الأصوات، صوت احتكاك الأغصان، صوت حشرات الغابة، صوت الهواء، وكأنها غطست في بركة دافئة، شعرت بالاختناق قليلاً لكنها لم تحدد إن كان السبب خوفها من الضوء المفاجئ أم أنها تغرق بالفعل.

فجأة...

وقعت على وجهها، ظنت أنها تعرقلت بجذر إحدى الأشجار لكنها عندما فتحت عينيها وجدت أنها في مكان مختلف تماماً.

نظرت حولها لتجد أنها في ساحة خلفية لبيت لم تره من قبل، انتبهت للبيوت الأخرى في الشارع المقابل وتعرفت عليها في الحال، لذا علمت أنها ما زالت في بلدةِ ريفر ريتش لأنها ترعرعت هناك وتعرفها جيداً، لكنها شكت بالأمر لوهلة كونها لم تر بيتاً مشابهاً للذي وقعت فيه الآن، كان الهدوء يعم المكان لتأخر الوقت، ولأنها لم تعلم إن كان الخطر قد انتهى أم لا؛ بقيت على وضعها تدور بعينيها حول المكان فقط.

التفتت للخلف لتجد أن الغابة قريبة، فتساءلت إن كانت ما زالت قريبة من المكان الذي تحاول الهرب منه، بدأت أنفاسها بالاضطراب لتسلل الخوف إليها، ولكن قبل أن تصاب بالهلع سمعت صوت خطوات أحدهم قادمة من زاوية المنزل، كانت متيقنة أنه صاحب المنزل الذي لا بد أنه انتبه لوجودها رغم أن صوت وقوعها لم يكن عالياً.

بقيت في مكانها بترقب وهدوء محاولةً تجميع أنفاسها، طال انتظارها وكأن الوقت يمضي ببطء شديد، ثم بدأت ترى ظل ذلك الشخص لكنه لم يظهر بعد.

ثلاث خطوات، وثانيتان، حتى رأت قدميه اللتين توقفتا حالما رآها، رفعت عينيها برعشة، وتمنت لو أنها تستطيع الاختفاء مرة أخرى والذهاب لمكان آخر، لكنها لا تعرف بعد كيف فعلت ذلك في المرة الأولى.

حينها التقت عيناها بعينين تعرفهما جيداً، وجه لم يكن غريباً، شخص كانت تحاول تجنبه لتجنب الحرج منه، لكن أي حرج هذا الذي تشعر به الآن؟

أليكس...

مكان آمن

أليكس....

كيف وصلت لبيته هو من بين كل بيوت العالم؟ ظنت أنها لن تشعر بإحراج أكبر مما شعرت من قبل، لكن الظهور في ساحته عارية وملوثة ومغطاة بالعرق كان كفيلاً لإثبات عكس ذلك، هل توجد كلمات وافية تصف ما تشعر به كيارا وأليكس يقف أمامها بصمت ويتفحصها باستغراب بالغ؟

حدقت به بصدمة وإحراج تحاول التفكير فيما ستقوله عن حالها، تعلم أنه لن يصدقها بالطبع، ثم لاحظت تحرك فتحتي أنفه وكأنه يشتم رائحتها، استغربت الأمر لوهلة قصيرة قبل أن يقاطع تعجبها أليكس بصوته البارد

سأل بنبرة متعجبة لم تسمعها منه من قبل: «كيارا؟!» رغم انخفاض صوته وهدوئه إلا أنها لاحظت تعجبه، فظنت أن أليكس ليس واثقاً أن التي أمامه بالفعل فتاة يراها كل يوم.

جلست كيارا وضمت ركبتيها لصدرها تحاول إخفاء ما تستطيع إخفاءه من جسدها، حاولت أن تبقي عينيها باتجاهه لكنها لم تستطع رفع وجهها، أرادت النهوض والهرب لكنه لم يزحزح عينيه عنها أبداً ولم ينطق بكلمة أخرى.

بعد عدة لحظات سمعت كيارا أليكس وهو يتنهد، رفعت رأسها

للنظر إليه لكنه كان قد اتجه لداخل منزله قبل أن ترى وجهه والتعبير الذي رسم عليه، تساءلت إن كان قد ذهب ليتصل على الشرطة، وضايقتها تلك الفكرة لكن أي وضع ستكون فيه الآن أفضل مما كانت عليه سابقاً، نظرت حولها وقد راودتها فكرة الهرب ثم محتها سريعاً، فإلى أين ستذهب في هذا الوقت المتأخر وفي هذه الحالة؟

سمعت صوت خطوات أليكس قادمة واضطربت نبضاتها بتوتر مما قرر فعله معها، كانت خطوات أليكس كالمعتاد، رغم ثباتها واتزانها بالكاد تسمع، وكأنه لا يزن شيئاً يذكر، راقبت قدميه ووقع خطواته فلم تجرؤ على النظر لعينيه، توقف أمامها بإنشات قليلة، وعندما لم ترفع رأسها قال بنبرته اللا مبالية المعتادة:

«غطي جسدك!»

رفعت رأسها لتجد أنه أحضر غطاءً لها، شعرت بالامتنان له وقالت لنفسها إنه وإن اتصل بالشرطة ما زال مراعياً لوضعها. حاولت مد يدها لالتقاط الغطاء لكنها كلما تحركت وجدت أن جزءاً منها ينكشف، حاولت بإحراج عدة مرات لكن جسدها لم يطاوعها على ذلك، أغمضت عينيها بقوة وقد قررت أن تمد يدها على أي حال، لاحظ أليكس ذلك وتقدم إليها ليفرد الغطاء في الهواء ثم وضعه فوق كتفيها.

رفعت رأسها بدهشة لتجد أن أليكس قام بإعطائها ظهره، وقفت ولفت الغطاء حولها جيداً ولم تجد ما تقوله، فحدقت بظهره كما كانت

تفعل عادةً في المدرسة، التفت أليكس بهدوء حتى التقت عيناه بعينيها، تشابكت النظرات للحظات ضمت خجل كيارا وتساؤلات أليكس الصامتة، ورغم توترها وإحراجها لم تكره الأمر أبداً، مما أثار استغرابها أكثر، ورجحت أن السبب هو إحساس الألفة الذي يبثه أليكس بداخلها، ولم تهتم للقرار الذي سيتخذه الآن لاعتدائها على منزله بتلك الطريقة؛ فقد شعرت بالأمان.

أخذ أليكس نفساً عميقاً قطعه في المنتصف بتكشيرة صغيرة، أنزل عينيه لقدميها وأخذ نظرة خاطفة ثم أدار وجهه باتجاه المنزل وكتم أنفاسه لكنه أبقى على حركة كتفيه حتى يبدو تنفسه طبيعيًا، تبعت كيارا نظرات أليكس السريعة لقدميها لتنتبه لشيء لم تشعر به حتى الآن... قدميها الداميتين.

تذكر أنها تألمت أثناء ركضها لكنها لم تتخيل أن يكون الأمر بهذا السوء، عدة جروح وكدمات ستزداد سوءاً على الأغلب، تنزف دمًا من عدة أماكن تبدو فيها الجروح غائرة أكثر من غيرها، كما كانت قذرة بالأتربة وأغصان صغيرة عالقة أسفل جلدها فعلمت أنها ستنزف بالتأكيد حال إخراجها، وظفر الإصبع الكبير يتعلق بمكانه بصعوبة.

كشرت أنفها بتقزز لذلك المنظر وتأوهت باشمئزاز بصوت منخفض، التفت أليكس بفضول لكنه تحول لاستنكار، فكيف لها أن تشعر بالقرف بدلاً من الألم؟

«تعالي للداخل» قال ثم اتجه لداخل منزله وكيارا تلحقه، لم تأخذ

سوى خطوة واحد داخل منزله قبل أن تتوقف وتحدق بذهول لم تهتم بمحاولة إخفائه، لاحظت من قبل حب أليكس للون الأسود كونه لم يرتدِ أي لون آخر في المدرسة من قبل، لكن لم تظن أن الأمر سيطال كل ركن من أركان منزله.

كان منزله ذا طابع عصري حديث، جميلاً جداً وأنيقاً لأبعد درجة، كل شيء مفتوح، توسط المنزل حائط حمل الدرج المؤدي للطابق العلوي من جهة، والمطبخ من جهته الأخرى، كان المطبخ مطلًّا على غرفة المعيشة ولا يفصل بينهما سوى طاولة الطعام الكبيرة.

منزل فاتن وأعطاه اللون الأسود نوعاً من الجاذبية الغامضة، لم يكن كل أثاثه باللون الأسود لكنه كان اللون الغالب، فإن لم يكن الأسود كان رمادياً أو أزرق قاتماً أو بنياً كالخشب المحترق والقليل من اللون الأبيض في أماكن بسيطة، كان منزله يشبهه تماماً، ولو رأته دون أن تعلم صاحبه لأقسمت أنه لأليكس.

لم تلحظ اختفاء أليكس حتى قطع ذهولها بمنزله صوت خطوات نزوله من الدرج، كان الدرج من النوع المعلق المفتوح، دهشت لخطواته الثابتة بينما كان ينظر إليها، فلو كانت مكانه لالتصقت بالحائط خوفاً من السقوط من الجهة الأخرى المفتوحة، وثبتت عينيها بالدرج حتى لا ينتهي بها الأمر بالوقوع، هزت رأسها من تلك الأفكار وتقدمت باتجاهه حتى التقيا في المنتصف.

مد يده اليمنى بمنشفة سوداء اللون بالطبع، وعندما تناولتها مد

يده اليسرى بقطعتي ملابس رماديتي اللون، تساءلت إن كان حقاً لا يملك سوى هذه الألوان، عندها انتبهت لما كان يرتدي، منامة ببنطال طويل فضفاض أسود وقميص قطني أزرق غامق ظنته أسودَ في البداية، كان أليكس لا يلبس إلا الملابس الواسعة في المدرسة لكن هذا القميص التصق بصدره جيداً، فتأملت منظره وذراعيه اللتين تراهما لأول مرة وقد نسيت أن الذي تتأمله يحدق بها.

حمحم أليكس ليعيد تركيزها، رفعت رأسها بسرعة وعينين متسعتين حرجتين، أمال رأسه للجانب قليلاً ومنع ابتسامة كانت على وشك الظهور، أشار بإصبعه لباب كان في الجهة الأخرى من مكان وقوفهما ثم قال:

«هناك حمام داخل تلك الغرفة، استخدميه، المفتاح على الباب، يمكنك إقفاله» أنهى كلامه ثم بدأ يتفحصها من رأسها حتى قدميها، في الوقت الذي كانت تفكر فيه بقصده عن إقفال الباب، فهي لا تشعر بالخطر معه أبداً، لِمَ ظن أنها تريد المفتاح دون أن تطلبه هي؟ لحظات قليلة حتى استنتجت الأمر، من وجهة نظر ثالثة، وجود فتاة وحدها -وفي حالة كيارا... عارية- مع فتىً لا تعرفه جيداً في منزله، يجعل من الفتاة ضحية سهلة، أليكس فتىً في النهاية، لكنها أتت بنفسها -أو كما يظن أليكس- لذا كونه مراعياً لما قد يخيفها أمر غريب.

تنهد أليكس حالما ثم اتجه لطاولة القهوة والتقط هاتفه من فوقها وبدأ بإدخال رقم ما، بينما ظلت كيارا تراقبه.

لمح أليكس تعابير كيارا القلقة لذا أعلمها بهدوء: «سأحضر الطبيب.... لقدمك»

أومأت برأسها بارتياح، وتوجهت للباب حيث أشار لها، دخلت الغرفة وأغلقت الباب خلفها، أضاءت جميع المصابيح ثم نظرت للمفتاح المعلق بالقفل وفكرت بما قاله أليكس لكنها لم تشعر بأي رغبة لإقفال الباب، لذا تركته مغلقاً فقط، التفتت لتجد أنها في غرفة مخصصة للضيوف، أو زائر غير متوقع مثلها، لم يختلف طابع الغرفة عن باقي المنزل، بل حتى فراش السرير الكبير كان لونه أسود، كانت منضدة السرير ذات طابع خشبي معتق لكن المصباح الذي فوقها كذلك باللون الأسود ولولا أن مصابيح السقف كثيرة وعالية الإنارة؛ لتحولت الغرفة لتابوت كبير.

توجهت للباب الآخر بافتراض أنه الحمام، وعندما فتحت الباب هربت ضحكة صغيرة منها، أسود كذلك... لكن رغم ذلك أنيق جداً، مزوّد بكل شيء قد يحتاجه أي ضيف، مستلزمات النظافة والاستحمام كاملة، مما جعلها تتساءل إن كان يحظى بالكثير من الزوار.

في خارج الغرفة رفع أليكس الهاتف لأذنه وعندما فُتح الخط الآخر قال كلمة واحدة بنبرة منقبضة: «تعال».

وفي ثانيتين ظهر رجل أمامه، ذو عينين زرقاوين حادتين، وحاجبين عريضين وشعر مموج أسود كالليل يصل إلى كتفيه.

قال الرجل بصوته الغليظ قليلاً: «ما الأمر؟»

بدأ أليكس يتكلم بسرعة وهدوء يخبر صديقه الساحر بما حصل: «هناك فتاة تذهب للمدرسة معي».

لكن الرجل قاطعه ضاحكاً: «المدرسة، لقد نسيت أنك تذهب للمدرسة!»

كشر أليكس منبهاً: «ركز يا وارويك».

لاحظ وارويك جديته فاختفت ابتسامته وأومأ لأليكس ليكمل.

أكمل أليكس: «فتاة عادية، تأتي من الميتم، بشرية تماماً، بل خرقاء دائماً» عقد وارويك حاجبيه بعدم فهم لما يرمي له، التفت أليكس باتجاه الغرفة حيث كيارا والتفت وارويك معه، ثم أعاد نظره وأكمل: «لقد ظهرت قبل قليل في ساحتي الخلفية، بهالة مختلفة» سكت أليكس قليلاً ثم أكمل بصوت منخفض: «كعنقاء....».

التفت وارويك باتجاه الغرفة مستنتجاً أن الفتاة مركز الحديث هناك، وقال بحيرة: «لكنك قلت إنها بشرية!»

أومأ له أليكس وقال متيقناً: «صحيح، لقد رأيتها في المدرسة كل يوم، كانت بشرية، أنا واثق، لا يمكن أن يفلت مني الأمر لو كانت عنقاء منذ البداية».

قال وارويك واضعاً يده تحت ذقنه مفكراً: «هذا غريب» ثم عم الصمت للحظات طويلة قبل أن يسأل: «ألم تلاحظ أمراً غريباً عليها أبداً؟»

هز أليكس رأسه بالنفي لكنه توقف عندما تذكر شيئاً: «لقد تغيبت الأيام الثلاثة الماضية» عقد وارويك حاجبيه لعدم فهمه كيف لتغيب فتاة عن المدرسة أن يكون أمراً غريباً، لكن أليكس أكمل: «عندما أتت اليوم كانت تبدو مريضة أو مرهقة، لم أرها بهذه الحالة من قبل».

فكر واورويك بالأمر لكنه لم يجد إجابة مقنعة.

سأل أليكس بحيرة: «هل يمكن أن يتحول بشري لم يتم اختياره لعنقاء؟»

أجابه الآخر بحيرة مماثلة: «إن كان ذلك ممكناً فأنت أعلم بذلك».

«أعني هل ابتكر السحرة تعويذة لفعل ذلك؟» سأل أليكس ليهز واورويك رأسه قائلاً:

«لم أسمع بشيء مماثل» ثم اتسعت عيناه وكأنه وجد التفسير الوحيد لما يحدث فقال بحماس: «ربما توجد تعويذة لإخفاء عنقاء، ربما استعانت بساحر ليخفي هالتها».

«هالة العنق قوية، هل توجد تعويذة بهذه القوة؟» استنكر أليكس الأمر فلم يسمع بحدوث ذلك من قبل لكنه في المقابل لم يسمع بتحول بشري لعنقي كذلك، كما أنه لاحظ أن هالة كيارا بدت ضعيفة بالفعل وبالتالي لن يكون إخفاؤها بالصورة المستحيلة التي يتوقعها البعض، لذا وجد أن إخفاءها لهالتها هو الاختيار الأرجح.

قال واورويك بتردد: «ربما في السحر الأسود، إذا تم التضحية بدم نقي من أجل تعويذة ما يمكن أن تصبح التعويذة قوية جداً».

سأل أليكس باستهجان: «دم عذراء؟»

هز وارويك رأسه وأجابه: «دم أطفال».

هز أليكس رأسه معارضاً: «لا أظن ذلك، لا تبدو كيارا كهذا النوع من الأشخاص».

رد عليه وارويك: «لم تبد كعنقاء ظهر اليوم كذلك، ليس الجميع كما يبدون».

نظر أليكس للغرفة حيث كيارا وأفكار مختلطة تدور برأسه ثم قال بشرود: «بدت ضائعة وخائفة» ثم تذكر أمراً آخر فتجهم وجهه وأعاد نظراته لوارويك قائلاً: «كيف استطاعت كسر تعويذة منزلي؟»

نظر وارويك حول المنزل ثم أجابه: «التعويذة على حالها، لم تكسر!»

قال أليكس مشوشاً من كل ما يحدث: «إذاً كيف....؟»

وضع وارويك يده على كتف صديقه مطمئناً: «هناك إجابة لكل سؤال، سنرى بعد قليل».

ثم التفت الاثنان باتجاه الغرفة التي وقفت كيارا داخل حمامها...

وجدت نفسها تعجب بالحمام كلما تأملته أكثر، تذكرت أن أليكس ينتظرها لذا أسرعت لأسفل الدش، شعرت بإغراء كبير من حوض الاستحمام بجانبها فهي لم تأخذ حماماً طويلاً من قبل كون الميتم لا يوفر ذلك النوع من الرفاهية، هزت رأسها للمرة الثانية وفتحت الماء لتتركه يمحو ما علق بجسدها من هذه الليلة الغريبة، أخذت تفكر أثناء ذلك

كيف لأليكس أن يفهم تعابيرها جيداً وعندما فكرت في الأمر مليّاً تذكرت أنها لم تنطق بشيء منذ وصولها.

تعجبت لعدم سؤاله لها عن أي شيء، كيف له أن يحافظ على طبعه الهادئ حتى في موقف مثل هذا؟ فهو ليس كأمر متكرر يحدث كل يوم، قطع أفكارها الألم الذي سببه وصول الصابون لقدميها، هسهست بألم ووضعت قدمها تحت الماء حتى يغسل الصابون بسرعة ثم أكملت حمامها سريعاً.

شعرت بالانتعاش عندما انتهت وتنفست بارتياح، أخذت الملابس التي أعطاها إياها أليكس وبدأت بارتدائها، أدخلت قدميها بحذر وثنت الأطراف حتى تناسب طولها، كانت واسعة كثيراً لكنها وجدت أنه بنطال ذو مطاط للخصر، سحبت المطاط حتى تناسب مع جسدها ثم ارتدت القميص القطني، كانت الملابس خفيفة تتناسب مع الحرارة التي لا تتوقف عن الاشتعال داخلها، كما كانت كبيرة بشكل مضحك لكنها لم تهتم لذلك وشعرت بالامتنان كونها نظيفة وآمنة... حتى الآن.

ما أن فتحت باب الغرفة حتى تكلم أليكس بصوته الهادئ: «انتعلي الخفين حتى لا تتلوث قدماكِ».

نظرت للأرض لتجد أنه وضع خفين أمام الباب من أجلها، ويا للعجب... خفين ذوي لون أسود.

انتعلتهما بحذر لكيلا تؤلم قدمها أكثر وخرجت من الغرفة، عندها

لاحظت أن أليكس كان في الجهة الأخرى من المنزل، ولم يكن منزله صغير الحجم، صُدمت لسماعها صوته عبر كل تلك المسافة! فقد كان صوته هادئاً ككل مرة ولم يصرخ أو يرفعه، هل كان بالقرب من الغرفة ثم اتجه لمكان وجوده الآن؟ لكنها كانت لتسمع خطواته حينها.

استغرب أليكس حيرة كيارا وتنقل نظراتها بين باب الغرفة ومكان جلوسه، رفع يده وأشار لها بالقدوم، تركت كيارا ما كانت تفكر فيه وتوجهت له بخطوات بطيئة حذراً على قدميها.

توقفت فجأة عندما سمعت خطوات شخص آخر لم تره، لوقوفه في المطبخ بينما وقفت هي في الجهة الأخرى للحائط حيث الدرج، نظرت بتوجس لمصدر الصوت حتى ظهر أمامها وارويك الذي ابتسم حالما رآها، التفتت لأليكس وعادت خطوة للوراء بعد أن عادت الحرارة المعتادة منبئةً بالخطر، لاحظ أليكس خوفها واحمرار جلدها فقام من مكانه باتجاه وارويك.

قال مشيراً بيده باتجاه وارويك: «الطبيب الذي اتصلت به من أجل قدميك».

لكن كيارا لم تخفض حذرها، كان الإحساس الذي تشعر به نحوه يشبه الإحساس الذي شعرت به في الساحة تجاه دريزور عندما ظهر فجأة، لكنه بدا مختلفاً، أكثر تحضراً... بل أكثر أناقة، كان يرتدي بدلة رسمية سوداء بقميص أبيض فتح أزراره العلوية، تدلت من رقبته

سلاسل ولفّت أصابعه بعض الخواتم، وبرغم شعورها بالريبة تجاهه وجدت أنه جذاب جدّاً.

قال أليكس مطَمئناً: «إنه صديق قديم» نظرت كيارا له لكنها لم تشعر بالاطمئنان.

تقدم واروِيك خطوة باتجاهها وعادت كيارا مثلها للخلف، فابتسم ووضع يديه خلفه ثم قال بوِد مصطنع: «آسف إن كنت قد أخفتك، أردت التعريف بنفسي» التفت لأليكس ثم لها مرة أخرى بينما أخذ نفساً عميقاً ليزفر كلماته: «أنا واروِيك إيدور، ساحر منشق».

اتسعت عينا كيارا فيما عادت لها ذكرياتها عما قرأته في كتاب السحرة الذي أرسله لها فانكا في عيد ميلادها الحادي عشر، الساحر المنشق إما انشق ليمارس السحر الأسود أو ليبتعد عنه في حال انغمست فيه قبيلته، كانت أفكار كيارا مشوشة، كانت تلك مجرد كتب خزعبلات تمرر بها وقتها، لكن ما حدث معها اليوم أبعد من أن يكون مجرد جنون، إذًا الرجل الذي أمامها حقّاً ساحر... ساحر منشق، أمر يحتمل شيئين، إما طيب انفصل عن الشر أو شرير تفرد لشره، نظرت له كيارا بشك ليقول:

«سمعت أن قدمك مصابة، أستطيع علاجها» توقف قليلاً ثم أكمل باهتمام: «وربما أستطيع مساعدتك».

فكرت كيارا في الاحتمالات أمامها، إن أراد الساحر هذا أذيتها، فسيستطيع ذلك بقوته الجسدية وحدها، أما بسحره فيستطيع قتلها

من مكانه، وبعد التفكير وجدت أن قبول المساعدة هو الخيار الوحيد، وربما إن عالج قدمها ستستطيع الجري على الأقل، لكنها تساءلت كيف يعرف أليكس ساحراً؟ ولماذا اتصل به بدلاً من الشرطة؟

تنهدت لضعف حالها وتعقد الأمور ثم أومأت باستسلام، أشار وارويك لها باتجاه الأريكة وتوجهت كيارا بخطوات حذرة، جلست وجلس وارويك على ركبة واحدة أمامها بينما جلس أليكس على الأريكة المقابلة لها، رفع وارويك إحدى قدميها وقام بإزالة الخف عنها ببطء.

كشر وجهه مصدوماً من حال قدمها، التفت لأليكس لوهلة ثم أعاد نظره لكيارا وقال مبتسماً: «لا تقلقي، سأعالجها».

أومأت له فقط دون قول أي شيء ليبدأ وارويك عمله، رفع يده الأخرى وقام بلفها في الهواء حول قدمها، بدأت تشعر بوخزات خفيفة في قدمها، لم تكن مؤلمة، بل أشبه بتقشير الغراء الجاف عن الجلد، علمت أن جروحها كانت تلتئم.

جلست كيارا وأليكس في صمت يراقبان وارويك ويسترقان بعض النظرات بعضهما باتجاه بعض، بعد عدة لحظات تنهد أليكس بقلة صبر وقال أخيراً:

«هل أنتِ بخير؟» نظرت له بارتباك ليكمل: «لاحظت أنك لم تقولي شيئاً منذ وصولك» تنهد مرة أخرى ثم أكمل بشفقة: «كان حالك مزرياً».

خفضت كيارا عينيها تفكر إن كان من الصواب إخباره، خافت سابقاً أن يظن أنها مجنونة لكن بمقابلتها لصديقه الساحر لم تعد تحمل المخاوف أنفسها، أصبحت مخاوفها الآن في أي صف سيقف أليكس، لكنها تساءلت في أي صف تقف هي؟ وما هي الصفوف المتاحة أصلاً؟ الضياع الذي يلتهم رأسها يسبب لها الصداع ويشوش على قراراتها وتركيزها، فلم تلاحظ عندما قام أليكس من مكانه، لكنها لاحظت عندما جلس بجانبها، رفعت رأسها لتلتقي أعينهما، نظرت له بتردد لكن أليكس تجاهل نظراتها قائلاً برقة:

«ما الذي حدث لك يا كيارا؟»

تبدد التردد في نظراتها وتحول لانكسار، تجمعت الدموع سريعاً وهربت من عينيها، شعرت أن كل ما بداخلها ينفجر فقد كانت ليلة طويلة ومؤلمة، توقف واررويك عن علاجها وهو ينظر لها باستغراب فمن بين كل توقعاته لم يكن حالها واحداً منها، خرجت شهقة بكاء منها جعلتها تضع يدها على فمها لكتم بقية شهقاتها سريعاً.

عقد أليكس حاجبيه رأفةً بحالها، وضع يده على كتفها قائلاً: «ما الأمـ...»

لكن كيارا قاطعته باكية: «لقد قاموا بحرقي!!!»

اتسعت أعين كل من أليكس وواررويك والتفتا بعضهما باتجاه بعض فهذا الاحتمال الذي لم يظنه أحد.

تساؤلات

نظر الاثنان لكيارا مرة أخرى بتعابير مليئة بالأسئلة وأفكار مشوشة.

سأل وارويك بعد لحظات امتلأت بنحيب كيارا: «من هم؟»

حاولت كيارا الكلام بين شهقاتها لكن كل ما خرج من فمها كانت كلمات متقطعة غير مفهومة: «ذلك.. الرجل.. الضخم.. المخيف.. والمرأة.. اللئيمة».

قال أليكس ماسحاً على كتفها محاولاً تهدئتها: «حسناً، حسناً، اهدئي» ليس عليكِ الكلام الآن» التفت إلى وارويك قائلاً: «أكمل علاجها بينما أعد لها الشاي لتسترخي».

ثم أومأ له بإشارة فهِم مغزاها وارويك فوراً، توجه أليكس للمطبخ بينما ركز صديقه الساحر على التي أمامه حتى ومضت حدقتاه باللون الأبيض الوهاج، لم تنتبه كيارا له لكنها شعرت بالارتياح فجأة وكأن ما حدث معها اليوم لم يعنِ شيئاً، توقفت دموعها فلم تعد تشعر بالرغبة في البكاء، بل شعرت بالسلام كذلك، مسحت عينيها ووجهها وحين رفعت بصرها باتجاه وارويك كانت عيناه قد عادتا لطبيعتهما.

ابتسمت بحرج: «آسفة بشأن ذلك».

هزّ وارويك رأسه وبادلها الابتسامة: «لا عليكِ» رفع قدمها التي استرخت في راحة يده قليلاً: «هل أكمل؟»



أومأت كيارا بامتنان ليكمل علاجها، وبينما استمر بعمله؛ تأملت هي ما يفعله بتركيز حتى كسرت الصمت وسألت عاقدةً حاجبيها: «كيف تفعل ذلك؟»

رفع وارويك وجهه باتجاهها كما التفت أليكس من المطبخ كذلك، تبادل وارويك النظرات مع أليكس لوهلة حملت الكثير من الشك ثم سألها: «كم تعلمين عن السحرة؟» نظرت له كيارا باستغراب فأكمل: «أنتِ لا تبدين متفاجئة لكوني ساحراً منشقّاً!»

«آه» أومأت كيارا بفهم لمقصده ثم قالت: «قرأت القليل عنهم».

سأل وارويك باستعجاب: «أين؟»

أجابته ببساطة: «كتاب».

ازداد تعجب وارويك قائلاً: «من أين لكِ بكتابٍ عن السحرة؟»

«هدية» أكملت كيارا إجاباتها البسيطة المختصرة وكأنها تتحدث عن نوع من التوابل لا عن مخلوقات غير بشرية خطيرة.

سأل وارويك وقد ضاقت عيناه بارتياب: «ممن؟»

«وارويك» قاطعه أليكس من أمام طاولة الطعام التي تفصل بين المطبخ وغرفة المعيشة، وضع كوب الشاي الذي أعده لكيارا ثم أكمل مشيراً لقدميها: «هل بقي الكثير؟»

أخذ وارويك نفساً عميقاً ليعيد توازن أفكاره ثم أجاب: «العلاج عملية مؤلمة، إن أسرعت أكثر فقد تتألم أكثر».

قالت كيارا: «لم أشعر بالألم».

قال وارويك رافعاً حاجبه: «حقّاً؟» أومأت له بصمت ليردف: «لنجرب الطريقة الأسرع إذاً».

فرقع بإصبعي يده التي كانت تحوم حول قدمها لعلاجها، ظهرت عروق فضية اللون في عدة أماكن على قدم كيارا وكأنها مس كهربائي، ثم التأمت جروحها في ثانيتين، انتشلت كيارا قدمها بسرعة من يد وارويك بحركة لا إرادية.

سألها أليكس من جانبها: «هل تألمتِ؟»

شهقت كيارا بخفة مندهشةً لوجوده بجانبها بعد أن كان قبل ثانيتين في مكان آخر من الغرفة، أشارت بإصبعها لمكان وقوفه السابق بفم مفتوح لكنها لم تنطق بشيء.

ضحك وارويك حتى يشتت انتباهها ونجح في ذلك، التفت باتجاهه كل من كيارا وأليكس ليقول: «تلك ردة فعل طبيعية لشخص لم يجرب هذا الإحساس من قبل، لقد فاجأنا أعصاب جسدك بعلاجك السريع لكن لا أعتقد أنك تألمتِ، صحيح؟»

أومأت كيارا ثم قالت: «صحيح، لقد كان إحساساً غريباً فقط».

تنهد أليكس بتنهيدة لم يعلم أنه كان يحبسها بداخله، لاحظ وارويك قلق صديقه واستنكره بحاجبين معقودين لكن أليكس تجاهله قائلاً مشيراً لقدمها الأخرى: «حسناً إذاً، أكمل حتى لا يبرد الشاي».



أخرجت كيارا قدمها الأخرى من الخف بروية حتى لا تتألم من ظفرها الذي يكاد أن يخلع.

«أوه» علق وارويك على حال قدمها ثم أكمل رافعاً حاجبه: «هذه ستؤلمك بالتأكيد».

نظرت له كيارا بتوتر وترددت قليلاً، لكنها قالت في النهاية: «لا بأس، لننتهِ من الأمر فحسب».

فرقع وارويك بإصبعيه مرة أخرى ثم ظهرت العروق الفضية مرة أخرى على قدمها، ثوانٍ قليلة لتعود قدمها كما كانت، لم تتفاجأ كيارا هذه المرة، شعرت بالإحساس نفسه لكنها لم تستطع السيطرة على قدمها تماماً فقد أجفلت قليلاً.

سأل وارويك غير مصدقٍ وقد بدأ يتوجس من التي أمامه: «لا ألم؟»

«لا ألم» أجابته كيارا ثم أكملت مبتسمة: «شكراً جزيلاً».

التفتت لأليكس الذي أشار لها بدوره باتجاه طاولة الطعام حيث كوب الشاي المعد لها، وقفت كيارا وتوجهت للطاولة، أخذت مكاناً لها وتناولت الكوب بين كفي يديها، ظنت أنه سيكون بالغ الحرارة بسبب الدخان المتصاعد، لكنها استطاعت إمساكه جيداً بلا مشكلات.

جلس أليكس على الكرسي المواجه لها من طاولة الطعام الطويلة، بينما وقف وارويك مستنداً على الحائط من الجهة الأخرى من الطاولة وقد قرر أنه يجب عليه اتخاذ الحذر حول هذه الفتاة.

أخذت كيارا رشفة من الشاي ثم أخذت نفساً عميقاً بعد أن شعرت بالتوتر يغزو أفكارها، لم تعلم كم عليها إخبار أليكس من الحقيقة، وإن كانت تستطيع الثقة به، لكن ما الخيارات المطروحة عدا هذا؟

لاحظ أليكس توترها فسأل بهدوء: «ألا تريدين إخبارنا بما حصل؟»

رفعت كيارا وجهها لتلتقي أعينهما، حدقت بعينيه العسليتين بينما عادت بها ذكرياتها للمدرسة والمرات التي لا تحصى من اصطدامها به، رغم بروده الدائم كان دائماً يواسيها بقوله: «لا بأس» أو: «لا عليكِ» أو هذا ما ظنته كيارا، داهمتها فكرة أنه ربما لم يهتم أبداً بالأمر، وتلك الكلمات لم تكن لمواساتها بل حتى لا تزعجه بالاعتذار، دفعت تلك الفكرة جانباً فلا فائدة منها الآن، ولسبب ما أرادت أن تثق به، ليس لأنها تعرفه فهي لا تعرفه جيداً، أو لأنه شخص جيد فهي لا تعلم ذلك أيضاً، وليس لأنه الخيار الوحيد، فقط لأنها أرادت ذلك، سرحت بذكرياتها وأفكارها وتساؤلاتها حتى أتاها صوته مرة أخرى:

«كيارا؟»

عادت للحاضر واضطربت نبضاتها بعد أن حسمت أمرها، ستثق به، التفتت باتجاه وارويك وقالت لنفسها إن كان أليكس يثق به فهو محل ثقة أيضاً، لم تشعر أنها تستطيع الثقة به رغم أنه من عالج قدمها، لكنها ستثق بثقة أليكس به، أخذت نفساً عميقاً ثم بدأت:

«لقد كنت أقرأ أحد كتبي بجانب سريري بعد أن نام الجميع، ثم ذهبت لدورة المياه، وبعد لحظات سمعت صوتاً ما من الخارج وتبعته لخارج الميتم حتى....» توقفت كيارا وارتعش جسدها عندما تذكرت خاطفها، شدت قبضتيها على كوب الشاي لتتمالك رعشاتها ثم أكملت: «ظهر رجل ما من خلفي....» حاولت إخفاء الخوف في نبرتها لكنها سمعته بوضوح كما سمعه الاثنان معها.

«هل هو رجل تعرفينه؟» سأل أليكس لتهز كيارا رأسها بالنفي فوراً وتكمل:

«كان ضخم البنية وأسود البشرة، لم أره من قبل....» صمتت قليلاً ثم أكملت: «ثم... فعل شيئاً غريباً» عقدت حاجبيها وهي تفكر في الأمر، لم يكن منطقياً داخل رأسها، لكنها متيقنة أنه حدث لذا أكملت: «وضع إصبعين على جبيني.... ثم تحول كل شيء للون الأسود».

قال وارويك: «لقد ألقى عليكِ تعويذة».

التفتت إليه كيارا وقالت بعدم يقين: «تعويذة!؟»

قال وارويك مؤكداً: «تعويذة أفقدتك وعيك».

قالت محدثةً نفسها وقد وجدت تفسيراً لما حدث: «أوه... لقد فقدت الوعي».

سأل وارويك بابتسامة ساخراً: «ما الذي ظننتِ أنه حدث؟»

عقدت كيارا حاجبيها بانزعاج: «لم أظن أي شيء، لقد كان الأمر برمته مبهماً، لم أفهم ما جرى لي»

صمت ثلاثتهم قليلاً ثم سأل أليكس بصوته البارد: «إلى أين أخذك؟»

هزت كيارا رأسها لعدم معرفتها: «لا أعلم، عندما فتحت عيني كنت مقيدة إلى وتد سميك» تجهم أليكس بينما أكملت: «لقد كانوا مستعدين للأمر، كما لو أنهم.....» ارتعشت مرة أخرى متذكرةً ما حدث، أخذت نفساً عميقاً لاستعادة شجاعتها ثم أخذت رشفة كبيرة من الشاي وأكملت بعدم فهم: «لقد بدا الأمر وكأنهم يدينونني بجرائم... وكأنهم يحاكمونني!»

سأل وارويك بنبرة اتهام: «ما الذي فعلتِه؟»

أجابت بانفعال وهي تتذكر ما حدث: «لم أفعل شيئاً!! لقد أخبرتهم بذلك عدة مرات لكنهم تجاهلوني تماماً!!» بدأت تتأثر بذكرياتها المرعبة بسبب نبرة الاتهام التي تأتيها للمرة الثانية هذه الليلة، والمرة الأولى تسببت بموتها حرقاً، ثم أردفت: «حتى أنني لم أفهم التهم التي وجهوها إلي! لقد بدا الأمر وكأننا في مسرحية ما لولا منصة الإعدام التي قيدت عليها!» أنهت كيارا كلماتها بصوت مخنوق وهي تحاول ردع دموعها عن النزول.

خفضت رأسها محاولةً السيطرة على مشاعرها بينما التفت أليكس باتجاه وارويك مشيراً باتجاهها، تنهد وارويك بانزعاج لكنه استجاب لصديقه ونظر لكيارا ثم ومضت حدقتاه باللون الأبيض الوهاج مرة أخرى جاعلاً إياها تسترخي وتهدأ مرة أخرى.

قال أليكس بصوت هادئ: «هل تذكرين تلك التهم؟»

هزت كيارا رأسها محاولةً تذكر شيء ما: «قالت أمراً عن عشيرة ما، وهو أمر غريب كوني يتيمة».

سأل أليكس: «قالت؟ كانت امرأة؟»

أومأت له كيارا بتكشيرة: «أجل، امرأة خبيثة».

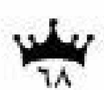
سأل وارويك: «هل قالت اسم العشيرة؟»

«لا...» أجابته ثم صمتت قليلاً قبل أن تضيف: «قالت إنني فعلت شيئاً ما لتلك العشيرة...» صمتت مرة أخرى وهي تفكر في الأمر ثم تكلمت فجأة: «صحيح! انشقاق، قالت إنني انشققت عن العشيرة!»

اتسعت عينا وارويك لما سمعه فكيف لعنقاء أن تكون جزءاً من قبيلة سحرة حتى تنشق عنها؟ لم تلحظ كيارا الدهشة على وجهه عندما تابعت:

«قالت إنني عصيت الأوامر واختبأت عنهم لثمانية عشر عاماً، أي منذ ولادتي!» أكملت باستنكار: «كيف لي أن أختبئ منذ أن كنت طفلة؟!» أخذت رشفة أخرى من الشاي وحاولت ألا تفكر في ملامح تلك المرأة مجدداً لكنها تذكرت أمراً آخر، عقدت حاجبيها ثم قالت بصوت منخفض: «قالت أمراً لم أفهمه».

«ما هو؟» سألها أليكس بنبرته الهادئة نفسها التي أخفت فضوله بينما مال على الطاولة أكثر.



همست كيارا بعدم فهم لما قالته بنفسها: «كشف هويتهم.... للبشر! قالت إنني فعلت ذلك، ثم...» شدت على قبضتيها وأغمضت عينيها بقوة وأكملت من بين أسنانها: «اشتعلت النيران فجأة» توقفت لتأخذ نفساً عميقاً ثم أردفت: «لم أعلم كيف حدث ذلك! لم يكن أي منهم حولي! لكنني الآن أدرك أنهم سحرة» كان المكان هادئاً سوى من صوت كيارا التي قالت بصوت منخفض: «لقد قاموا بحرقي!» عقدت حاجبيها باستعجاب: «لقد شعرت بذلك... أنا متيقنة!! كيف لي أن...» توقفت ونظرت لجسدها ثم أكملت: «أكون حية؟»

تشوشت أفكارها كثيراً فلا شيء مما حدث كان منطقيّاً، تنهدت ورفعت عينيها باتجاه أليكس بحثاً عن الأجوبة لتجد أن ملامحه جدية تماماً وعندما التفتت لصديقه وجدت تعابيره مليئة بالأسئلة، أعادت عينيها لكوب الشاي بين يديها بينما وجد الخوف طريقه إليها مرة أخرى.

قال أليكس جاذباً انتباهها: «كيارا» ثم أكمل عندما نظرت إليه: «ألا تعرفين ما تكونين؟»

نظرت له كيارا باستغراب ثم قالت: «أعتقد أن لا أحد يعلم من أكون وإلا لما كنت يتيمة، ألا تظن ذلك؟»

قال أليكس مصححاً: «لا، ليس من تكونين، بل ما تكونين».

نظرت له كيارا في صمت تذكرت خلاله كتب فانكا أسفل سريرها

في الميتم، تساءلت إن كانت هي أحد تلك المخلوقات الأسطورية؟ ورأت تلك الوحمة في الكتاب الأخير، لكنها ليست في صدرها وهو المكان الذي يفترض أن تكون فيه، فكيف لها أن تتحقق؟

هزت رأسها: «لا أعلم حقاً، حدث كل شيء بسرعة»

سأل وارويك بارتياب: «ماذا حدث بعد ذلك؟»

تحدثت كيارا بتردد وكأنها غير موقنة أن ذلك حدث فعلاً: «أظن أنهم قاموا بدفني... وأنني نجوت بمعجزة ما، كان المكان ضيقاً ومظلماً و.... مخيفاً» تنهدت ثم أكملت: «خرجت بصعوبة».

سأل وارويك بشك: «ألم يكن هناك أحد؟»

قالت بحماس: «بلى، كان هناك فتىً ما، قال إنهم سيجدونني أينما ذهبت وإنه سيساعدني».

أليكس بارتياب: «هل صدقتِه؟»

رفعت كتفيها وأجابت مبررة: «لقد ساعدني على الهروب عندما عاد الرجل المخيف، كما أنه كان خياري الوحيد».

قال أليكس بحيرة: «من تقصدين بالرجل المخيف؟»

«الذي ألقى عليّ التعويذة» أجابته وتذكرت حينها ظهوره المفاجئ لتكمل: «لقد بدا مصدوماً بشدة من رؤيتي على قيد الحياة».

التفت أليكس باتجاه وارويك ليجد في وجهه الاستنتاج نفسه، إذاً أياً كان من اختطفها لم يكن يعلم بحقيقتها كذلك، سيكون من الغباء

محاولة حرق عنقاء بينما النار منبع قوتها، التفت أليكس لكيارا مرة أخرى سائلاً:

«إذاً الفتى هو من أحضرك إلى هنا؟»

«لا، لقد بقي هناك حتى يعطله عن اللحاق بي» قالت كيارا وهي تتذكر الثقة المفاجئة التي شعرت بها تجاه ذلك الفتى وتمنت لو أنه معها الآن فقد بدا وكأن لديه كل الإجابات.

وارويك مقاطعاً أفكارها: «هناك أين؟»

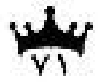
«لا أعلم، لقد كانت ساحة تحيطها الغابة من كل الجهات» قالت ثم تذكرت كم بدت الغابة عميقة لتكمل بتهيّب: «غابة لا مخرج منها».

قال وارويك ملتفتاً لأليكس ثم لكيارا مرة أخرى: «إذاً... كيف وصلتِ إلى هنا؟»

حملت نبرة وارويك توجسه وارتيابه منها ولم تعلم ما هي الإجابة الصحيحة لأسئلته لكنها استفزتها كثيراً، فقالت بغصة: «لا أعلم!»

قال وارويك بريبة متجهاً نحوها: «ألا تجدين الأمر غريباً؟ حقيقة أنك لا تعلمين أي شيء!» ثم بخطوات بطيئة اقترب منها: «وكأنك تخفين أمراً ما؟»

وقفت كيارا بانفعال مواجهةً له: «لا أخفي أي شيء!» انهمرت دموعها وهي تكمل: «أنا حقاً لا أعلم من هؤلاء الأشخاص أو غايتهم، لقد كنت خائفة جدّاً! لم أعلم أين عليَّ الذهاب! كانت الغابة



عميقة، وكنت على وشك أن أفقد الأمل، كل ما أردته هو الذهاب لمكان آمن!!»

وضعت كيارا وجهها في كفيها حتى تخفي دموعها بينما حدق بها واورويك بحاجبين معقودين، لم يجد ثغرات في تبريرها، رغم الأسئلة الكثيرة والغموض المحيط بها بدت فعلاً غافلة عما يدور حولها، لو كانت فعلاً تخفي أي شيء لَما قالت إنها تعلم ما هو الساحر المنشق، لكانت ستخفي كل ما تعرفه بدل أن تلقي الشكوك حولها.

تنهد أليكس بنفاد صبر قاطعاً حبل أفكار واورويك الذي التفت إليه فوراً، وبمجرد أن التقت أعينهما أشار له أليكس باتجاه كيارا.

قال واورويك باحتجاج: «لا بد أنك تمازحني؟!! ما المشكلة في القليل من الدموع؟»

قال أليكس بنبرة باردة محذرة: «واورويك!» ليتنهد الآخر في الوقت نفسه الذي توهجت فيه عيناه ثم توقفت شهقات كيارا.

قال واورويك بانزعاج عائداً لمكان وقوفه: «أنتِ تبكين كثيراً يا صغيرة».

مسحت كيارا دموعها للمرة الثالثة منذ دخولها لمنزل أليكس، ثم قالت: «سأعود للميتم».

تأوه واورويك متذمراً قائلاً: «حسناً ليس عليكِ التصرف بحساسية الآن! لكن أمرك غريب! من المسموح لي أن أشعر بالريبة تجاهك».

«لست ذاهبة بسببك، كما أنني لا أتصرف بحساسية» أجابته ثم أردفت: «حدثت الكثير من الأشياء هذه الليلة، أنا أشعر بالتعب فقط».

سأل أليكس بقلقٍ ظهر على حاجبيه فلم تبدُ له فكرة عودتها للميتم سديدة: «إذاً لماذا أنتِ ذاهبة؟»

شعرت كيارا بالحرج ولم تعلم السبب لكنها قالت وهي تشير للمنزل حولها: «لا يمكنني البقاء هنا للأبد!»

قال وارويك بلا مبالاة: «ألم تقولي إن كل ما أردته هو الذهاب لمكان آمن؟» أومأت له فأكمل بتعال: «هذا أكثر مكانٍ آمن قد تجدينه يا صغيرة».

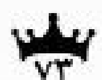
لم تفهم كيارا سبب ثقته لكنها أجابته على أية حال: «لا أستطيع البقاء خارج الميتم طويلاً».

قال وارويك بتململ: «ذلك الفتى الذي قام بمساعدتك، ألم يقل إنهم سيجدونك؟»

قالت بعدم فهم: «بلى؟»

أكمل بنفاد صبر: «ذلك يعني أنهم سيبحثون عنك! ألا تظنين أنهم سيبدؤون من الميتم حيث وجدوكِ أول مرة؟!!»

سرت رعشة في جسد كيارا جعلتها تعود للجلوس في مكانها ثم قالت في إنكار: «لا .... لماذا سيعودون؟!!»



«لأنهم لسبب غريب يريدو.....» توقف وارويك عندما أشار له أليكس بيده، الذي تكلم بصوته الهادئ:

«لقد حاولوا قتلك لسبب ما يا كيارا، وبما أنهم يعلمون أنك ما زلت على قيد الحياة فهناك احتمال قائم بأنهم سيعودون ليقتلوكِ مرة أخرى».

«لـ.. لقد أخذوا الفتاة الخ.. طأ على أية حال» قالت بارتباك متمنيةً أن يكون ذلك صحيحاً، أنهم أخطؤوا والآن أدركوا خطأهم، ولن يبحثوا عنها أو يختطفوها مجدداً أو.... يحرقوها مجدداً! قالت بهمس وكأنها ترسل أمنيةً للسماء: «ستعود الحياة كما كانت».

«كيارا» قال أليكس واضعاً يده فوق يدها بهدوء حتى لا يخيفها «لا أظن أن ذلك ممكنٌ».

قالت بانفعال تملكه الخوف: «بلى! لقد أخبرتك، أخذوا الشخص الخطأ».

قال أليكس بإشفاق: «كيارا».

لكنها قاطعته وقد بدأت تدخل في نوبة هلع: «ستعود المياه لمجاريها عندما يدركون ذلك!»

أخبرها أليكس بهدوء: «لكن لا أظن أنهم سيدركون ذلك».

قالت كيارا وهي تسحب يدها من أسفل يده: «عليهم أن يدركوا! لقد أرادوا كيارا جرانت وليس كيارا هاربر!»

«ماذا؟!» قال أليكس ووارويك بصوت مرتفع في الوقت نفسه جاعلين نوبتها تعلق في حلقها، نظرت لهما بعدم فهم ليعيد واروريك السؤال:

«ماذا قلتِ؟»

أجابت بتوتر: «إ.. إن عليهم إدراك ذلك؟»

سأل واروريك وهو يقترب منها بهدوء: «بعد ذلك؟ من التي أرادوها؟»

«كيارا جرانت» أجابت ثم اتسعت عيناها عندما توهجت عينا واروريك باللون الأبيض وظهرت عروق فضية على وجهه.

وقفت على قدميها لتتفاجأ بظهور أليكس أمامها في لمح البصر بعد أن كان على الجانب الآخر من الطاولة ولم تملك الوقت الكافي لتفسير ذلك.

قال أليكس بنبرة باردة لم تسمع كيارا مثلها من قبل: «اهدأ قليلاً».

قال واروريك صارّاً على أسنانه: «ابتعد عنها يا أليكس! أنت تعلم جيداً ما علينا فعله».

أجابه أليكس بنبرة أشد برودةً من سابقتها جعلت كيارا ترتعش من خلفه: «لا! ليس علينا فعل ذلك».

هتف واروريك بصوت بدا لكيارا أنه يحمل الخوف أكثر من الغضب: «أليكس إنها ابنة جرانت!!!!»

لم تستطع رؤية أي شيء من خلف أليكس، لذا رفعت رأسها قليلاً ليصيبها الذعر فوراً مما رأته، تلك العروق الفضية لم تبق في وجه وارويك فقط بل انتشرت لسائر جسده، كان شعره الطويل يتوهج باللون الأبيض بسبب سريانها أسفله، كما خرجت من بين يديه وتكورت حولها ككرةٍ مصنوعة من الرعد، توهج وارويك في مكانه وكأنه على وشك الانفجار لكنه بدا مسيطراً على الأمر تماماً وكأن تلك الأشياء الوهاجة تحت إمرته.

قال أليكس ببرود قاتل: «كَونها ابنته التي سمعنا عنها لا يعني أن كل ما قيل عنها صحيحٌ».

صرخ وارويك بصوتٍ أعلى جعل الضوء حوله يشتد وهجاً: «لكنها هجينة!!! ستكون سبباً للدمار».

قالت كيارا بصدمة: «ماذا؟!!»

ثم اتسعت عيناها بخوف عندما التفت اليها أليكس بهدوء وملامح باردة كانت كفيلة بقتلها، علمت من نظراته تجاهها أن وارويك استطاع إقناعه، عادت للوراء بخطوات مرتابة بينما تقدم وارويك لجانب صديقه، حدقت بهما وهي تعلم أن لا مجال لنجاتها الآن، لكنها لم تظن أبداً أن أليكس من سيكون..... قاتلها.



انجذاب

في مكان آخر، على وجه التحديد أمام الميتم، ظهر رو باحثاً عن كيارا قبل أن تصل الأخبار إلى إستل.

حاول تتبع هالتها الجديدة كعنقاء لكنه لم يجد أي أثر لها هناك، علم حينها أنها لم تعد للميتم، شعر بالارتياح لأنها لم تختر مكاناً واضحاً للاختباء لذا لن تجدها إستل بسهولة، لكن ذلك سيجعل مهمة إيجادها صعبة عليه كذلك.

قرر تتبع هالتها القديمة بالتعويذة التي صنعها من أجل إستل عله يجد أي شيء يرشده إليها، مما ذكره بذلك اليوم الذي استطاعت فيه إستل إقناعه بكسر تعويذة والدته ~

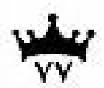
قالت إستل باهتمام زائف: «ألا تريد الانتقام لوالدتك؟»

أجاب رو بحيرة: «ظننت أن أمي أعدمت لإعاقة حكم العشيرة!»

قالت بخبث على استعداد للتلاعب بعقله: «أجل ذلك صحيح، لكن.... لطالما امتثلت والدتك للقوانين، ما فعلوه بها كان محزناً» خفضت رأسها بحزن مصطنع، نظر لها باستنكار لتكمل: «لقد قاموا بتهديدها! وإلا لما فعلت آبيغايل ذلك».

سأل بعدم فهم: «تهديدها؟»

تنهدت إستل بمكر أخفته جيداً قبل أن تقول: «صحيح، لقد هددوها بك، ابنها الوحيد!»



اتسعت عينا رو بعدم تصديق: «إذا كانت مجبرة؛ فلِمَ تم إعدامها؟»

أجابت رافعةً يديها بأسىً كاذب: «القوانين صارمة! ليس باليد حيلة، لكن... إن وجدنا الفتاة، فلن يذهب موتها سدىً».

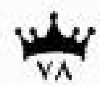
سأل رو إستل التي لم تنزل قناعها أبداً: «لكن... إن كانت الخالة ماكسين هي من هددت أمي؛ فما ذنب الفتاة؟»

قالت باشمئزاز: «الفتاة خطيئة يا عزيزي، تركت ماكسين آيليس قبيلتها خلفها من أجل ذلك العنقي جرانت!» ثم أكملت خداعها: «سببت هذه الفتاة عدة مشكلات في عالم البشر، لقد أرسلنا لها الأوامر وقامت بعصيانها، طالبناها بالعودة للقبيلة لكنها رفضت!» عقد رو حاجبيه لكن إستل لم تترك له وقتاً للتفكير في افتراءاتها: «كل ما عليك فعله هو كسر التعويذة التي صنعتها آبيغايل، أنت الوحيد القادر على ذلك».

ومع دجل إستل المتزايد اقتنع بالأمر واتبع تعليماتها حتى كُسرت تعويذة والدته التي أبقت كيارا حية لثمانية عشر عاماً، استطاعوا تحديد مكانها فوراً وقررت إستل محاكمتها الليلة التالية بدون تأخير.

بقي رو في فراشه تلك الليلة في ضيق لم يعلم سببه، فقد ساعدهم في الانتقام لوالدته، وبينما تقلب طوال الليل مسترجعاً مكونات التعويذة التي كسرها؛ شعر أن هناك أمراً غير صحيح.

«دم صلة، دمعة يأس، وقلب صادق» ردد رو تلك المكونات التي



وضعتها والدته في التعويذة حتى توصل لسبب ضيقه، دم الصلة كان لأن والدته هي خالة كيارا، وإن كانت دمعة اليأس بسبب خوفها على ابنها الذي تم تهديدها به! لكن الأخيرة لم تكن منطقية!

قال هامساً في حيرة: «قلب صادق».

إن كانت التعويذة تتطلب قلباً صادقاً فلا يمكن أن تكون والدته أُجبرت على فعلها! لا بد أنها أرادت بصدق حماية تلك الفتاة، كما أراد هو بصدق الآن إيجادها، لكن سببه كان مختلفاً عن إستل، فسبب رو هو شوقه للعائلة وهذا ما ساعده في كسر التعويذة أما إستل فقد أرادت حرمانه منها، لم يصدق أنها كانت تخدعه لذا عاد لفراشه وانتظر لليوم التالي حتى يرى بنفسه.

لكن عندما رأى كيارا للمرة الأولى في الساحة علم فوراً أن إستل مخادعة، لم تحمل أي هالة سحرية حولها فكيف لها أن تعصي الأوامر أو تسبب المشكلات كما ادعت إستل! حينها أدرك غباءه عندما صدق أنها أرسلت إليها الأوامر، لقد كانت تجهل مكانها فكيف أرسلت أوامرها إليها؟

أما صدمته الأكبر فكانت عندما أدرك أن إستل لم تكن تحاكمها محاكمة حقيقية، حاول إقناع نفسه بما كانت تقوله إستل في تلك الساحة وبأن كيارا هي السبب في موت والدته بالفعل لكنه لم يستطع الكذب على نفسه أكثر، وعندما عصى أوامر إستل بحرقها بنفسه علم أنه إن واجه إستل بالحقيقة فسيكون هدفها التالي لذا بقي صامتاً ~

عاد رو للحاضر عندما لمع ضوء مصباح الحارس في جولته الأخيرة قبل الصباح فاختفى فوراً، ثم ظهر عندما عاد الحارس لغرفته، ركز رو على مهمته فلا وقت للذكريات الآن، تتبع هالة كيارا القديمة بخطوات صامتة داخل الميتم حتى وجد نفسه أمام سريرها الخالي.

كُتب على لوح كل سرير اسم الفتاة التي تستخدمه مؤكداً لرو أنه في المكان الصحيح، نظر حول الغرفة المليئة بالأسرّة والفتيات النائمات وشعر بعدم الراحة لوجوده بينهن لذا قرر أخذ كل شيء بسرعة وتنظيف هالتها من هناك حتى لا يترك لإستل أي خيط يقودها لكيارا.

لكنه قبل أن يبدأ بجمع أغراضها انتبه للفتاة التي تنام في السرير المجاور وشعر بانجذاب غريب تجاهها، وجد نفسه يقترب منها من غير سبب حتى غطى ظله شيئاً من وجهها، نظر لها لعدة ثوانٍ ثم رفع عينيه باحثاً عن اسمها في لوح السرير.

قرأ رو اسمها بهمس: «آمبر ديتوير».

شعر بنبضه يضطرب بلا سبب، لم يفهم هذا الإحساس الجديد ورغم غرابة الأمر إلا أنه استلذّه كثيراً، هز رأسه متذكراً سبب وجوده في هذا المكان، ووجد صعوبةً في التركيز على مهمته والابتعاد عن الغريبة التي أمامه لكنه دفع نفسه لفعلها والبدء بجمع حاجيات كيارا التي لم تكن كثيرة، وبينما كان يبحث في كل مكان حول سريرها لاحظ الكتب الغريبة أسفل السرير، أخرجها بهدوء ثم بدأ بقراءة عناوينها بصوت منخفض مستغرباً مما وجد.

«سحرة، مستذئبون، مصاصو دماء، متغيرون، جن، صيادون، المستبصرون، غريو، الثعلب ذو الأذيال التسعة».

نظر لها رو للحظات في تعجب، فتح كتاب السحرة وقرأ أسطراً قليلة أعلمته أن هذه الكتب لا تحمل الخرافات، بل الحقيقة، تساءل من أين لكيارا بهذه الكتب؟ ثم قرر أن يسألها لاحقاً.

أخذ قطعتي الملابس اللتين كانتا ملقاتين بإهمال فوق السرير ليضعهما في الحقيبة ثم استوقفه شيء ما عليهما، ركز على الملابس في يديه لكنه لم يتأخر في معرفة ذلك.... مصاص دماء.

حملت ملابس كيارا بعضَ هالة مصاص دماء، لم تكن هالة غزيرة لكنها تكفي لتُعلم رو أنه كان قريباً منها جدّاً، وضع ملابسها في الحقيبة وقرر التوجه لمدرستها.

حمل الحقيبة على كتفه ثم توجه للخارج بعد أن أخذ لمحة سريعة باتجاه آمبر، وبينما كان يشق طريقه في الردهة وجد أنها امتلأت بهالة دريزور، توقف لتتبع مصدرها ليجد أنها بدأت من إحدى دورات المياه، دخل بهدوء حتى لا يتفاجأ بوجود أحدهم لكنه تفاجأ بكتاب آخر من كتب كيارا وُضع على المغسلة، حمل هذا الكتاب اسم *«العنقاء»* .

تساءل مع نفسه بضياع حاملاً الكتاب: «كم تعلم كيارا عن حقيقتها؟»

ثم هم بالتوجه للخارج لكنه سمع صوت خطوات قادمة باتجاه

الحمام، اختفى في الهواء ليتفاجأ بدخول آمبر للحمام نصف نائمة، شعر بالإحراج لوجوده هناك لذا حاول الالتفاف من حولها والخروج سريعاً.

تجاوزها بنجاح لكنه ارتكب غلطة بعد خروجه، انزلق كتاب العنقاء من يده وارتطم بالأرض مصدراً صوتاً عالياً أربكه، التقط الكتاب فوراً واختفى مرة أخرى، منصتاً بإمعان لما ستفعله آمبر، كانت تقف في مكانها بلا حراك فلم يسمع خطواتها بعد، ثم بعد عدة ثوانٍ سمع خطواتها تقترب بثبات وهدوء، فتحت الباب الذي كان يقف أمامه متخفياً، دارت بعينيها حول المكان بلا مبالاة ثم عقدت حاجبيها وقالت بانزعاج:

«من هناك؟»

وجد رو نفسه يحبس أنفاسه بلا سبب فلن تسمعه وإن صرخ، لكنها تقف على بعد إنشين منه، نظر لعينيها الخضراوين بإعجاب خالطه الخوف، شعر بالرهبة من نظراتها الباردة، وكان متيقناً أنه لو ظهر أمامها الآن لما فزعت، بل لانقضّت عليه بشراسة.

أخذت آمبر عدة نظرات حول المكان ثم تذمرت بامتعاض وعادت للحمام، حينها تنفس رو الصعداء، وابتعد عن الحمام بسرعة.

اتسعت خطواته متجهاً لغرفة الملفات في مهمة بحث جديدة عن أي معلومة قد يستفيد منها، بحث في عدة رفوف حتى وجد أن

الملفات تم تقسيمها بمثل تقسيم الفتيات بالغرف، وجد ملف كيارا الذي كُتب على غلافه بخطٍ عريض؛ *كيارا هاربر*، فتحه لكنه لم يجد شيئاً يذكر فيه.

ظهرت على عتبة باب الميتم في إحدى الليالي بورقة صغيرة فوقها، كُتب عليها *كيارا* لا غير، لذا قاموا بتسميتها بكيارا ثم هاربر إشارةً للميتم ككل شخص مجهول الهوية، قام بقلب تلك الصفحة نصف الفارغة ليجد بعض تقييماتها الدراسية ذات الدرجات المثالية، ثم خطاب طلب ابتعاثها إلى مدرسة *ريفر ريتش المحلية* لتفوق كيارا المتميز، أغلق الملف وأعاده لمكانه، أراد الخروج لكن فضوله تجاه آمبر جعله يمد يده باتجاه ملفها.

قرأ اسمها على غلاف الملف: «آمبر ديتوير».

فتح ملفها الذي كان أكبر حجماً بكثير من ملف كيارا ليتفاجأ بما رآه، ابتدأ الملف بتقرير طبي بموت امرأة اسمها *إيلين ديتوير* بعد ولادتها بدقائق، ثم العديد من الملفات القضائية ضد شخص اسمه جون ديتوير، خمّن رو أنه إما والد آمبر أو عمها لما بدا عليه من كبر في السن، كانت أغلب التهم المكتوبة عن اعتداء ضد الأطفال، امتدت لعدة سنين حتى وصل لقضية نزع ولاية عن طفلة ذات ثمانية أعوام عِلم أنها آمبر، ثم أخيراً تقرير طبي آخر يفيد بموت جون ديتوير بجرعة مخدرات زائدة.

أغلق رو الملف بأسىً لما مرت به تلك الطفلة وأدرك حينها سبب

برودها وعدم اكتراثها لموقف قد يجعل غيرها يرجف بخوف، أعاد ملفها لمكانه ثم توجه للخارج متتبعاً هالة دريزور القوية بسهولة حتى وصل للمكان الذي توقفت فيه هالة كيارا مع هالة دريزور عالماً أنه أخذها من هنا، وقف في مكانه لحظات، ورافعاً يديه في الهواء إلى أن اختفت هالتها تماماً وكأنها لم تكن في هذا المكان من قبل.

نظر لنافذة الغرفة التي وُجد فيها قبل قليل، وقرر العودة لاحقاً من أجل آمبر ثم اختفى في الهواء...

عادت كيارا للوراء حتى وجدت الجدار خلفها، علمت أن لا مفر لها منهما، تقدم وارويك حتى أصبح بجانب صديقه بمنظر أخاف كيارا حتى النخاع، سقطت على الأرض بقدمين ترتعشان وخفضت رأسها مغمضةً عينيها حتى لا تراه وتستطيع تنظيم أنفاسها، وضعت يدها على صدرها تحاول كبح الحرارة المشتعلة منه وكأنه على وشك الانفجار، كانت دماؤها تغلي وأذناها تصفّران ولم تعلم كيف تتصرف، ساحر أمامها على وشك قتلها، وإن لم يفعل فستموت على الأغلب بسبب اضطراباتها الجسدية الغريبة.

تقدم وارويك خطوة نحوها لكن أليكس وضع يده أمامه لإيقافه، التفت إليه وارويك ليجد نظراته المشفقة تجاهها.

قال أليكس برأفة: «انظر إليها يا وارويك، كيف لهذه أن تكون سبباً للدمار؟»

اعترض واريك غير مصدق للذي بجانبه: «أليكس! هناك أحاديث عنها في كل مكان، لقد بدأت بالفعل في إلحاق الفوضى!»

قال أليكس مبرراً: «مجرد شائعات».

احتج واريك: «قد تكون حقيقة».

«خذ المصدر بعين الاعتبار، أقوال قبيلة أوشان لا تحتسب، يعلم الجميع أنهم يريدون رد اعتبار لسمعتهم لا أكثر».

كان أليكس يتكلم بهدوء لكن البرود في صوته أعلم واريك أنه لن يتنازل عن موقفه، فقال محذراً صديقه:

«لقد أخبرنا الغريو بأفعال المهجنين».

أجاب أليكس تحذيره: «الغريو يحملون الماضي، لا علم لهم بالمستقبل، لذا لن أتخذ قراري بناءً على قصص سابقة».

قال واريك آخر حجة لديه: «حسناً، ماذا عن المستبصرين؟ لقد قاموا بتحذير الجميع».

تنهد أليكس عندما لم يجد ما يقوله والتفت لكيارا التي ما زالت على الأرض، لاحظ حينها تلوّيها في مكانها وتملكه الضيق.

قال واريك مصرحاً لا سائلاً فهو بالفعل يعلم قراره: «ستؤويها أليس كذلك؟» أومأ له أليكس بصمت ليكمل بانزعاج: «لن أشارك في هذا!» ثم ابتعد عنه وقال قبل أن يختفي: «إعلم فقط أنك تعرض نفسك للخطر بحمايتها».

لم يهتم أليكس بما قال وارويك، بل كان كل همه التي تتألم أمامه، رغم غرابة الموضوع له، فقد شعر بالألفة تجاهها من قبل في المدرسة ولم يملك التفسير لذلك أيضاً، لكنه شعر أن قلقه الحالي تجاهها غير منطقي أبداً.

تقدم بهدوء نحوها ثم جلس على ركبة واحدة أمامها مباشرةً، وضع يده على كتفها جاذباً انتباهها، رفعت رأسها مفزوعة لتجد أليكس وحيداً، دارت بعينيها حول المنزل باحثةً عن وارويك فالألم الذي اعتراها حجب حواسها عما كان يحدث حولها.

قال أليكس مطَمئناً: «لقد ذهب» التفتت إليه كيارا بتوجس ليكمل: «أنتِ بأمان الآن».

قالت بصعوبة وهي تضغط على صدرها بقوة: «أ... أ.. أريد العـ.. ـعودة».

قال بهدوء: «ليست فكرة سديدة» لكن كيارا هزت رأسها بالرفض فأكمل مؤكداً: «سأساعدك».

حينها تذكرت كيارا أن الفتى الذي ساعدها في الغابة قال الشيء نفسه، لكنها لم تشعر بالثقة العمياء نفسها التي أحستها حينها، ثقتها بأليكس كانت اختيارها عكس الذي شعرته تجاه الفتى الغريب، ثم تذكرت أن وارويك قال إنه سيساعدها أيضاً.

قالت وجسدها يرتعش: «قـ... ـال صد.. ديقك ذلك أيضاً، ثـ.. م أرا... د قتـــ.. ـلي».

«ليس عليكِ المرور بهذا مرة أخرى، سأعلمك الدفاع عن نفسك» قال أليكس ثم ضحك ساخراً: «قد يكرهني العالم لهذا يوماً ما» تنهد وعادت له ملامح الجدية: «لكنه يبدو الخيار الصحيح حاليّاً».

نظرت له كيارا بجهل لمقصده، لكنها لم تجد الطاقة الكافية للتفكير فيما قاله، فالحرارة بداخلها تزداد كل ثانية، تأوهت بألم ليقول أليكس:

«هذه الحرارة... بداخلك، أنت تتعاملين معها بالشكل الخاطئ».

عقدت حاجبيها باستعجاب قائلة: «كيف... لك.. أن... تعـ.. ـلم؟»

«ركزي الآن وسأجيب جميع أسئلتك لاحقاً» قال ثم وقف على قدميه جارّاً كيارا للوقوف معه، وضع كفيه فوق كتفيها وأكمل: «الحرارة ليست لأذيتك، بل العكس... لحمايتك» صمت قليلاً ثم أمر: «أغمضي عينيكِ» ترددت لوهلة لكنه ابتسم لها ابتسامة ناعمة فاستجابت له وأغمضت عينيها، فتابع بصوت منخفض: «هذه الحرارة جزء منك الآن، لن تستطيعي التخلص منها، لذا من الأفضل تقبلها».

سألت بنبرته نفسها: «كيف؟»

«فكري بها بدون قمعها، لا تحاولي السيطرة عليها، بل دعيها تكنْ درعاً لك» هزت رأسها بعدم فهم فأردف: «تنفسي بعمق» وعندما فعلت ذلك أضاف: «والآن اشعري بها تجري داخلك مع كل نفس،

دعيها تَقُدْك» تنفست كيارا بانتظام وعقدت حاجبيها بتركيز ليقاطعها أليكس: «لا تركزي عليها، بل استرخي بها».

استمعت إليه واسترخت مع كل ثانية مرت، شاعرةً أن تلك الحرارة ما عادت تؤلمها، بل تحيط بها وكأنها تحتضنها، وللمرة الأولى شعرت باحتواءٍ لم تشعر به في حياتها، ثم ابتسمت بسعادة كطفلة صغيرة، لكنها لم تنتبه للذي أمامها يبادلها الابتسامة ثم يمسحها سريعاً.

فتحت عينيها بدهشة: «أوه!»

«أفضل؟» سألها فأومأت له بامتنان، ثم أدركت أن يديه ما زالتا على كتفيها، نقلت نظراتها بين كتفيها ثم وقفت مكانها بإحراج، فلاحظ أليكس ورفع يديه بهدوء.

«كيف لك أن تعرف طريقة السيطرة على الحرارة؟» سألت كيارا بانبهار عندما التقت عيناها بعيني أليكس الذي أزاحهما فوراً، وتجنب النظر لها لبرهة متردداً ثم قال ببساطة:

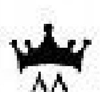
«معرفة عامة».

علمت كيارا أنه يتجنب الإجابة، لكنها لم تفكر في الأمر كثيراً فقد كان لديها أمورٌ أهم.

«يبدو أنك تعرف عني أكثر من معرفتي بنفسي».

قال بصوت منخفض: «يبدو كذلك».

قالت بابتسامة ملتوية: «إذاً... هل ستخبرني بما تعرفه أم... معرفة عامة؟»



التفت اليها ثم ارتسمت ابتسامة صغيرة على ملامحه قائلاً: «سريعة بديهة»

«اممم...» قالت متفكرة ثم أجابت: «لا أظن أنني سريعة البديهة، أنت فقط سهل القراءة».

ضحك أليكس ضحكة خافتة سببت لها ارتباكاً طفيفاً، نظرت إليه بدهشة فلم تره يضحك من قبل.

قال وسط ضحكاته: «لم يصفني أي أحد بذلك قبلك» ثم حمحم مكملاً: «سأخبرك بما أعرفه».

أشار لها باتجاه الأريكة حيث قام وارويك بعلاج قدمها، تقدمته باتجاه غرفة المعيشة لكنها جلست في مكان مختلف عن السابق ثم جلس هو مقابلاً لها مرةً أخرى.

قالت كيارا: «قبل أن تبدأ، أريد أن أعرف....» ترددت قليلاً ثم أكملت عندما أومأ لها مشجعاً: «من هي كيارا جرانت؟»

أحجية

أخذ أليكس نفساً عميقاً ثم بدأ في سرد القصة: «لقد أخبرني واروِيك بقصة حدثت قبل ثمانية عشر عاماً، عن ساحرة انشقت عن عشيرتها وحاربتهم لأنها وقعت في حب عنقي».

قاطعته بصدمة: «عنقي؟»

فكر أليكس قليلاً ثم قال: «هل سمعتِ بأسطورة طائر العنقاء من قبل؟»

حينها تذكرت الكتاب الذي لم تستطع قراءته، قبل أن يتم اختطافها، قبل كل ما حدث الليلة، هدية فانكا لها، تذكرت كذلك الوحمة أسفل ظهرها التي وجدت صورتها في الكتاب كعلامة فارقة تميز مخلوقات العنق عن غيرهم، عقدت أصابع يديها في توتر قائلة:

«أتقصد الطائر الذي يقوم بإحراق نفسه ثم يبعث من رماده؟»

لاحظ أليكس ذلك الارتباك المفاجئ الذي اعتراها وعلم أنها تخفي أمراً ما، لكنه قرر عدم دفعها للكلام، لذا أكمل:

«صحيح، العنقي هو من تم اختياره بواسطة روح العنقاء عند ولادته، وهو أمر نادر لا يحدث كثيراً، إذ على الطفل أن يكون ذا بذرة نقية لتختاره الروح، ثم يصبح أحد خادميها للخير، لكن....... التزاوج معهم من المحرمات».

«لماذا؟» سألت كيارا فوراً، توقع أليكس ذلك السؤال لذا كانت إجابته جاهزة:

«العنق مخلوقات قوية جدّاً، يستمدون قوتهم من النار، وتخدمهم الطيور في كل مكان، يكاد يكون من المستحيل قتلهم....» توقف فجأة ثم ابتسم بمرارة مطأطئاً رأسه وكأنه تذكر أمراً ما.

سألت بعد أن لاحظت تغير ملامحه: «يكاد؟»

«أجل» أجابها وهو بوضعيته نفسها ثم تنهد وأكمل بصوت منخفض: «الموت بالنسبة للعنق هو اختيار» رفع رأسه ونظر لها مردفاً: «فمهما كانت درجة إصابته يستطيع حرق جسده ثم النهوض من جديد».

اضطربت نبضات كيارا عندما تذكرت أن الفتى الذي أنقذها كرر عدة مرات هذه الكلمات (لقد نهضَت!)، شدت على أصابع يدها المتشابكة حتى تسيطر على توترها لكن أليكس لاحظه بسهولة مرة أخرى.

قالت حتى تبدد ارتباكها: «لكن كيف لقوتهم أن تكون سبباً لتحريمهم؟»

أجابها أليكس بصوته الهادئ: «لا يستحق أي شخص هذه القوة إلا إذا كان ذا بذرة نقية، والتزاوج مع عنقي قد يؤدي إلى ولادة مخلوق يحمل قوة والده دون استحقاقها» أومأت بفهم فأكمل: «وهذا



ما حدث، أنجبا فتاة حاولت العشيرة قتلها، لكنهم لم يتمكنوا من ذلك....» توقف وهو يسترجع ما سمعه ثم أضاف: «ما سمعته من وارويك هو أن أحدهم أخفى قواها بتعويذة قوية، ولم يرها أحد منذ ذلك اليوم».

سألت كيارا باهتمام: «ماذا عن والديها؟»

هز أليكس رأسه قائلاً: «لم ينجوا، رغم عدم تصديقي لقدرتهم على قتل العنقي» ثم رفع كتفيه كناية عن استغرابه وعدم فهمه.

سألت بصوت منخفض: «وجرانت هو ذلك العنقي؟»

قال أليكس مصححاً: «اسمه هو آلدريتش جرانت، والمرأة التي وقعت في حبه هي ماكسين آيليس من عشيرة أوشان....» توقف لوهلة عقدت فيها كيارا حاجبيها ثم أكمل: «وأظن أن عشيرة أوشان هم من قاموا باختطافك».

قالت باستنكار: «إذاً هم يظنون أنني كيارا جرانت؟»

أجابها بهدوء: «ليسوا مخطئين»

سألته باستهجان: «كيف لك أن تكون واثقاً؟»

أجابها ببرود متجاهلاً نبرتها: «لن تقوم العشيرة باختطاف أي شخص لقتله، لا بد أنهم استطاعوا كسر التعويذة التي أخفتكِ».

«لكن...» قالت معارضة لكنه قاطعها:

«كيارا...» ثم توقف عن الكلام عندما التقت أعينهما، دام الصمت

لوهلة قبل أن يكمل مبرراً بهدوء: «روح العنقاء لا تختار سوى الذكور كخادميها» اتسعت عينا كيارا بصدمة فأكمل موضحاً: «مما يعني أنكِ هجينة» تضاربت أنفاسها للدخول والخروج بينما أكمل: «مما يعني أنكِ تلك الفتاة».

قالت شاعرةً بالضياع: «لكنني لا أفهم! أنا لا أحمل أي قوة».

قال أليكس مفسراً: «ما حدث معك الليلة! لقد ظننتِ أنهم قاموا بدفنك لكنكِ لم تكوني بداخل قبر، بل بداخل رمادك» صمت قليلاً حتى تستطيع استيعاب كل ما يقوله ثم أكمل بعد وهلة: «تلك الحرارة التي تشعرين بها ستكون قوتك إن تدربتِ على استخدامها، بالإضافة إلى أنكِ بُعثتِ من الرماد وتلك أهم قوة يمتلكها العنق».

وضعت كيارا رأسها بين يديها وأغمضت عينيها بقوة متمنيةً أن يهدأ عقلها قليلاً حتى تستطيع التركيز في كل أمرٍ على حدة، قرر أليكس البقاء صامتًا حتى تتمكن من التفكير، مرت الدقائق بهدوء لم يتحرك خلالها من مكانه، بل بقي في ثبات وسكون يراقبها بعناية.

حاولت كيارا العودة للبداية متسائلةً: (أين بدأ كل شيء؟ لم يقتصر الأمر على نجاتي من الحرق، لقد شعرت بذلك الألم وكنت متيقنة من حدوثه فلا لبس في ذلك، إذاً بقي أمر الحزارة الغريبة التي تسري في جسدي كلما شعرت بالخطر، والألم الذي يعتريني في كل سنة قبل يوم مولدي، وتزايد هذا الألم هذه السنة بشكل كبير، كل الدلالات تؤيد

ما قاله أليكس، لكن هل كان سبب ازدياد الحرارة هو محاولاتهم لكسر التعويذة؟).

كل هذه التساؤلات تدور بداخلها لكن لا إجابة أكيدة، تمنت لو تستطيع العودة للميتم وأخذ كتاب العنقاء حتى تتمكن من قراءته لعلها تجد الإجابات، لكنها تساءلت مرة أخرى: (لِمَ أثق بهذه الكتب كثيراً؟ هل هدايا فانكا كانت مجرد مصادفة؟ أم أنه يعلم بالأمر منذ البداية!).

فجأة، رفعت رأسها باستغراب لكن عينيها وقعتا بين عيني أليكس فوراً، فعقد حاجبيه بخفه لحركتها المفاجئة.

قالت مشوشةً بعد أن قُطع حبل أفكارها فجأة: «أوه، ظننت أنك رحلت».

أجابها بعد أن ظهرت ابتسامة صغيرة على فمه: «لا، لكن عليَّ الرحيل الآن» وقف على قدميه قائلاً: «وأنتِ عليكِ أخذ قسطٍ من الراحة، لقد حل الصباح».

نظرت كيارا حولها باحثة عن نافذة تؤكد كلامه، ثم تذكرت خلو منزله من النوافذ، عقدت حاجبيها بتعجب قبل أن تسأل: «لِمَ لا توجد نوافذ في منزلك؟»

نظر أليكس حول منزله بحاجبين معقودين ككيارا، كالذي انتبه للأمر توّاً، انتظرت كيارا رده، ولكن عندما تقابلت أعينهما وجدت

الحيرة عليه وكأنه يبحث عن إجابة هو الآخر، وبعد أن امتد الصمت لوهلة أجابها أخيراً:

«لا أحب الأضواء العالية».

رفعت عينيها للسقف لترى المصابيح الكثيرة الموزعة فيه، كان المنزل منيراً رغم أن المصابيح لم تكن جميعها مضاءة، أنزلت عينيها لتقابل خاصته مرة أخرى، ضاقت عيناها بارتياب ولسان حالها يقول: (لو كان يكره الأضواء العالية فلمَ ملأ منزله بالمصابيح؟).

قال أليكس حتى يشتت انتباهها بعد أن لاحظ شكها بالأمر: «سأذهب لأتجهز للمدرسة» ونجح في ذلك لأن كيارا قفزت على قدميها قائلة:

«صحيح، المدرسة، عليّ العودة للميتم حتى....».

قال بحزم مقاطعاً كلامها: «لا! لا يمكنك الخروج من هنا أبداً!»

نظرت له بتعجب: «أبداً؟»

قال مبرراً بهدوء: «حتى تنتهي هذه المشكلة».

قالت ساخرة: «إذاً ستبقيني هنا جبراً حتى تستطيع حمايتي!!»

أجابها متجاهلاً نبرتها مرة أخرى: «لست أنا من يحميكِ، بل المنزل».

سألت بحيرة: «المنزل؟»



«وارويك وضع تعويذة حماية على منزلي قبل سنوات طويـ...»
توقف وألقى نظرة خاطفة لعيني كيارا ثم أكمل: «قبل عدة سنوات».

قالت باستغراب: «تعويذة حماية؟»

«أشبه بتعويذة تمويه، لكنها بالتأكيد للحماية» قال ثم سبقها بالتحدث قبل أن تستطيع سؤاله: «تريدين معرفة المزيد؟» أومأت بحماس فابتسم وأكمل: «لقد ترعرعتِ في بلدة ريفر ريتش، لكن هل رأيتِ منزلي من قبل؟»

قالت باستعجاب بعد أن تذكرت عدم تعرفها على المنزل سابقاً: «لا!»

أكمل أليكس: «هذا ما تفعله التعويذة».

قالت كيارا بدهشة: «تخفي المنزل؟»

أجابها بابتسامة: «لا، تخفي هالة من بداخله، فلا يستطيع تعقبه أحد، لكنها تموه وجود المنزل لمن ينظر إليه».

«واه، هذا رائع» قالت بانبهار وابتهج أليكس مكملاً:

«عندما يرى أحدهم المنزل يشعر بعدم اهتمام بالغ تجاهه، بل يشعر بالملل لرؤيته، وعندما يلتفت عنه ينسى أنه قد رآه تماماً ويتذكر منزلاً آخر من ذاكرته مكانه، لذا لو سألتِ أي شخصٍ في البلدة عن منزلٍ ذي لون أسود؛ لما تذكره أحد».

أومأت كيارا بإعجاب تلف بعينيها حول المنزل تتخيل التعويذة كقبة شفافة تحيطه وتحميه من أعين الآخرين.

(لكن لَمَ قد يحتاج أليكس تعويذة حماية؟) تساءلت وعادت بعينيها إليه، لاحظ أليكس التساؤل في عينيها وخمّن السؤال الذي يدور في رأسها، أخرج هاتفه وعبث به قليلاً مبتعداً عن نظراتها، ثم توقف والتفت، نظر إليها بتفحص من رأسها حتى قدميها جاعلاً نظراتها تتبعه باستغراب ليقول أخيراً:

«سيحضر عامل توصيل هذا النهار، طلبت لك بعض الملابس مؤقتاً» عندها شعرت بالإحراج وقد أدركت أنه كان يتفحصها حتى يستطيع تخمين مقاسها، لكن أليكس أكمل بجدية: «يمكنك استلامها بنفسك لكن لا تتعدي حدود الباحة الأمامية أو الخلفية» أومأت بفهم عالمةً أن تلك هيَ حدود التعويذة، أشار للغرفة التي استحمت فيها سابقاً وأردف: «يمكنك أخذ قسط من الراحة الآن» ابتسمت بامتنان وتوجهت للغرفة، التفتت قبل أن تدخل حتى تشكره لكنه كان قد اختفى، هزت رأسها بتعجب قائلة:

«أحياناً خطواته غير مسموعة أبداً!»

ثم دخلت الغرفة وأقفلت الباب خلفها، استلقت على السرير الأسود وأرادت الاستغراق في أفكارها لكنها غرقت في نومها من شدة الإرهاق....



في مكان آخر جلست الممرضة تريشا على الأرض أمام رجل كبير في السن حُفرت الابتسامة على وجهه ذي الملامح اللينة، كان شعرها الأحمر منسدلاً على كتفيها ولم تتكلف بعناء إخفاء أذنيها المستدقتين، أو حجب قوة جاذبيتها كالمعتاد، ومع ذلك خفضت رأسها بخجل والعار يملأ ملامحها بينما كان الذي أمامها يحمل قطعة قماش صغيرة بيده، وينظف بها قطعة أثرية استلقت في حجره.

قالت تريشا بصوت منخفض مكسور: «آسفة، لم أكن أهلاً للمهمة، اختفت كيارا ولا أستطيع إيجادها».

قال الرجل بصوته الهادئ المريح للآذان: «لا بأس».

قالت تريشا باضطراب: «قام أحدهم بالتنظيف من خلفها، وكأنها لم تكن في الميتم أبداً» لكن الرجل اكتفى بالإيماء بتفهم فأكملت بانفعال: «لا نعلم إن كانت بخير! ولا نعلم من أخذها! أو إلى أين!»

«بخير» أجابها بالنبرة المريحة نفسها والابتسامة الواسعة ذاتها ثم أكمل: «مع شخص جيد، وفي مكان آمن».

نظرت تريشا لهدوئه بعدم تصديق فهي تعلم كل العلم أنه يبالي لأمر كيارا كثيراً، استجمعت هدوءها عالمة أنه يميل للصمت أمام الانفعال، ثم سألت من بين أسنانها: «فانكا... هل أنت متيقن؟»

ضحك فانكا ضحكة خافتة تثلج قلب من يسمعها، ثم أجابها: «يمكنك الاعتماد على ذلك، اطمئني».

تنهدت تريشا بارتياح ثم وقفت على قدميها ببطء: «حسناً إذاً، إلى لقاء آخر».

تراجعت للخلف دون أن تلتفت وقبل أن تخرج قال فانكا: «ابقي متيقظة!»

رفعت عينيها إليه لتجد أنه لا يزال مبتسماً ومنشغلاً بتلك القطعة الأثرية فقالت باستغراب: «عفواً؟»

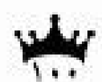
أجابها بهدوء: «دورك لم ينته بعد» ثم رفع رأسه ناظراً إلى عينيها بعمق، اضطربت نبضات تريشا قليلاً بعد أن فهمت مقصده لكنها تمالكت نفسها سريعاً وابتسمت قائلة:

«بكل سرور».

حنت رأسها باحترام ثم غطست في الأرض أسفلها، بينما توقف فانكا قليلاً عن تنظيف ما في يده مفكراً في المستقبل القريب والمصير المحتوم بالابتسامة نفسها التي لم يره أحد من دونها...

أما في منزل أليكس، فاستيقظت كيارا فزعة للكابوس نفسه الذي لم يفارقها منذ أيام، جلست في مكانها لاهثة تحاول ضبط أنفاسها قبل أن تنهض وتتوجه لدورة المياه لغسل وجهها بقليل من الماء البارد.

تأملت وجهها في المرآة لبرهة ثم عادت لها بعض الومضات من الكابوس وضايقتها، هزت رأسها من تلك الصور تحاول إبعادها من



أفكارها، ثم فقدت الأمل عندما لم يُجِد الأمر نفعاً، علمت حينها أن لا مجال لتجنبه فقد بات الأمر واضحاً الآن بعد أن قصّ عليها أليكس ما حدث.

ثعلب أبيض ضخم بثمانية أذيال، امرأة تغطيها الدماء وتحمل طفلاً رضيعاً، ورجل يبكي بينما تأكله النيران.

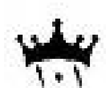
تستطيع الآن حل الأحجية، الرجل هو جرانت، والمرأة هي الساحرة التي وقعت في حبه والطفل أو الطفلة هي الهجينة التي يقولون إنها كيارا.

«إذاً أليكس محق» تمتمت وتنهدت باستسلام فلا مجال للإنكار أكثر بما أن الكابوس لم يكن مجرد حلم، بل ومضة من الماضي، لكن بقي شيء واحد يشغلها، شيء واحد لم تفهمه بعد.

«من هو الثعلب؟» حدثت نفسها بحيرة وتساءلت إن كان أليكس يحمل الجواب.

خرجت من غرفتها باحثةً عنه لتجد أنه لم يكن موجوداً لكنه ترك لها بعض الطعام على الطاولة، ذهبت باتجاهها بينما كانت تتلفت بحثاً عن مكانه ثم وقعت عيناها على ساعة الحائط في المطبخ المقابل لطاولة الطعام مشيرةً للساعة التاسعة، تنهدت بعد أن أدركت أنها لم تنم طويلاً وأن أليكس ما زال في المدرسة.

جلست أمام الطبق الذي أمامها لتجد بعض الفواكه المقطعة



والبيض المقلي وقطعة خبز، كما وجدت أن ألكيس قام بتغليف الصحن حتى لا يجف الطعام، حملت الطبق وتوجهت للمطبخ لتسخينه، شعرت بالغرابة كونها تقف في مطبخ أليكس بدون إذنه، ثم تعهدت مع نفسها داخلياً أن تعيد كل شيء لمكانه بعد أن تنتهي.

وضعت طبقها في الفرن بعد أن أزالت ورق التغليف عنه واتكأت على طاولة المطبخ خلفها تراقب الفرن بترقب قبل أن تصلها رائحة القهوة، تلفتت حولها باحثةً عن مصدرها حتى وقعت عيناها على جهاز القهوة في الركن المقابل لها، توجهت إليها بحماس لتجد ورقة صفراء صغيرة بجانب الإبريق كتب عليها:

«هناك عصير في الثلاجة كذلك.... أليكس».

حدقت باسمه المشطوب وتخيلت صورة أليكس وهو يكتب اسمه في الملاحظة بتردد ثم يغير رأيه ويشطبه، ابتسمت بامتنان وضحكت لغرابته قبل أن تعيد الورقة لمكانها، فتحت بعض الرفوف حتى وجدت كأساً للعصير ثم توجهت للثلاجة وفتحتها لتقف مكانها باستغراب مما فيها.

طبق بيض جديد تنقصه ثلاث حبات، علب عصير جديدة بنكهات مختلفة، وكيس خبز جديد تنقصه قطعة واحدة، مغلف حبوب القهوة المطحونة الذي لا يبدو أنه استخدم، زجاجة ملح صغيرة ومثلها للفلفل الأسود، قارورة زيت جديدة وبعض زجاجات المياه.



عدا ذلك كانت الثلاجة فارغة، وقفت أمامها بحاجبين معقودين تفكر في الأمر ثم سحبت كيس الخبز ومغلف القهوة وزجاجات الملح والفلفل وقارورة الزيت ووضعتها فوق طاولة المطبخ، أخذت علبة عصير البرتقال وسكبت لنفسها القليل ثم أغلقت الثلاجة.

شعرت أن ما ستفعله غير لائق لكن فضولها كان الأقوى، فبدأت تفتح كل رف تجده أمامها في كل أنحاء المطبخ، ولم تجد شيئاً سوى الأواني، لا طعام أو بهارات الطعام، أو حتى بعض المعلبات أو الأطعمة السريعة التحضير، توجهت لسلة المهملات ورفعت الغطاء لتجد قشر البيض وعلبة الفواكه المقطعة الجاهزة ملقاة هناك بعد أن تم إفراغها في صحنها، وقفت في مكانها تحاول الوصول للاستنتاج الصحيح بعد أن صدَقت ظنونها حتى أفزعها صوت الفرن معلناً انتهاء تسخين الطعام.

أغلقت سلة المهملات وأخذت طبقها وكأسها لطاولة الطعام، جلست والتقطت الملعقة ثم تنهدت وقالت بصوت منخفض:

«أليكس لا يأكل» وبدأت بتناول طعامها.

غراب ودم

حاولت التفكير ملياً في الأمر فربما يأكل في الخارج دائماً، أومأت بالموافقة عندما وجدت أنه احتمال رائع لطالب في المدرسة يعيش وحيداً، ثم قررت سؤاله عن الأمر لاحقاً فربما تقوم بالطهي من أجله مقابل حمايته لها، بالرغم من أنها لم تبدُ صفقة عادلة لكنها أفضل من لا شيء.

أكملت طعامها على مهل، حتى سمعت صوت الجرس، قفزت عن مقعدها بخوف وعينين متسعتين مثبتتين على الباب في انتظار أن يدخل منه أحد، ثم بعد عدة رنات أدركت أن من خلف الباب ينتظر منها الإجابة، تحركت للباب بخطوات بطيئة حتى وصلت للشاشة المتصلة بالكاميرا الخارجية، لتجد أنه عامل التوصيل الذي أخبرها أليكس بحضوره، لكن ذلك لم يخفف من توترها شيئاً.

فتحت الباب قليلاً واختبأت خلفه مظهرةً عينًا واحدة فقط قبل أن يقول الصبي أمامها بنبرة آلية:

«طلبية باسم أليكس هيل».

ردت بتلعثم: «أ.. أجل».

تنهد الصبي بملل، وتفقد الأوراق في يده قائلاً: «أنتِ أليكس هيل؟»



توترت كيارا وقالت بارتباك: «هـ.. هـ.. هل هنا... ك مشـ.. شكلة؟»

لكنه لم ينظر باتجاهها أبداً، بل بدا وكأنه على وشك النوم من شدة الضجر، حينها تذكرت كيارا التعويذة المحيطة بالمنزل وأنها قد تكون سبب تضجر عامل التوصيل.

«حسناً إذاً، وقعي هنا من فضلك» قال الصبي بنبرته الآلية مرة أخرى ثم مد ملف الأوراق باتجاهها، مدت كيارا يدها وتناولت ملف الأوراق قائلة:

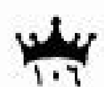
«ليس لدي قلم».

تأفف العامل متذمراً وأخرج قلماً من جيبه ثم ناوله لكيارا التي تجرأت وفتحت الباب أكثر قليلاً حتى ظهر وجهها كاملاً لكن العامل لم يعرها أي اهتمام.

أخذت القلم ووقعت باسم أليكس ثم أعادت القلم والأوراق للصبي قائلة: «شكراً».

«امم» كانت إجابته وهو يناولها الطلبية.

فتحت كيارا الباب قليلاً حتى تستطيع إخراج يديها لأخذ الصندوق منه، لكن الباب اصطدم بقدمها وتأوهت بألم، لم يهتم العامل بذلك أيضاً، بل بمجرد وصول الطلبية ليدها استدار واتجه لسيارة التوصيل التي أتى بها، نظرت له كيارا باستنكار فلا تعلم إن كانت التعويذة حقاً السبب أم أنه يشعر فعلاً بالملل الشديد من وظيفته.



وبينما كانت تنظر لسيارة التوصيل تبتعد انتبهت لأحد الجيران يخرج من بيته في الشارع المقابل، شعرت بالذعر فهمَّت بالدخول بسرعة، صُدم الصندوق بالباب ووقع أرضاً بينما فُتح الباب على مصراعيه حتى ارتطم بالجدار خلفه محدثاً صوتاً عالياً، التفتت برعب للرجل الذي بدوره التفت لمنزل أليكس، لكن ما أن وقعت عيناه على أسوار المنزل حتى استدار فوراً وصعد لسيارته دون أدنى اكتراث.

دفعت كيارا الصندوق بقدمها للداخل وأقفلت الباب بسرعة، حملت الصندوق واتجهت لغرفة المعيشة، وضعت الصندوق على طاولة القهوة أمامها ورمت بجسدها على الأريكة تتنفس الصعداء، أسندت رأسها للخلف قائلة:

«كان ذلك مخيفاً!»

تأملت السقف قليلاً وتمنت لو أن لديها الجرأة للخروج وتأمل السماء، لكنها ما زالت خائفة، وبعد عدة دقائق من ذكريات الليلة الماضية أغمضت عينيها لتريحهما قليلاً لكن سرعان ما ثقلت أجفانها لتغوص في الظلام دون أن تشعر.

كان أليكس يجلس في آخر درس لليوم، ولأول مرة كان يقظاً اليوم بأكمله، حتى انتبه جميع الأساتذة أنه لم ينم في أي حصة، فقد كان يركز كل حواسه في جميع الاتجاهات بعد أن انتبه لهالة ساحر يحوم حول المدرسة.

كانت عيناه باتجاه النافذة، عاقداً ذراعيه، عندما قاطع تركيزه صوت الأستاذ دافيس:

«أليييكس!» التفت أليكس إليه ببطء فأكمل الأستاذ: «هل تعلم متى انتهت الحرب العالمية الثانية؟»

هز أليكس رأسه بهدوء نفياً ثم التفت مرة أخرى للنافذة، حينها سمع صوت ضحكة صغيرة من خلف الصف سرعان ما اختفت، تنهد الأستاذ دافيس وقبل أن يعود لإكمال الدرس قال أليكس:

«١٩٤٥».

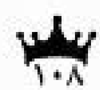
التفت إليه الأستاذ مرة أخرى بذهول قائلاً: «ذلك صحيح!» لكنه وجد أليكس على قدميه متجهاً لباب الصف مردفاً:

«دورة المياه».

ثم خرج وأغلق الباب خلفه دون أن ينتظر إذن الأستاذ الذي نظر للباب المغلق للحظة ثم نظر لبقية الطلاب الذين ينتظرون ردة فعله، ليرفع كفيه للأعلى قائلاً:

«من يعلم كيف يفكر هذا الفتى؟» ثم أكمل الدرس.

أما أليكس فخرج للممرات المدرسية يمشي بهدوء وخطوات واثقة خفيفة، متعدياً جميع الصفوف ودورات المياه ومكاتب المعلمين، حتى وصل لأحد أركان الممرات التي لا يذهب إليها أحد، التفت للخلف وأسند ظهره للجدار ثم قال بصوت بارد:



«أعلم أنك هنا، ما الذي تريده؟»

ولم ينتظر كثيراً حتى ظهر رو أمامه، تبادلا النظرات قليلاً ثم ضاقت عينا أليكس بارتياب عندما وجد أن هالة رو غير مستقرة وغريبة بشكل لم يره من قبل، تطغى عليها هالة السحر لكنْ هناك شيء ما يشوبها.

قال رو مباشرةً: «أين هي؟»

علم أليكس مقصده فوراً لكنه ادعى عدم الفهم سائلاً: «من هي؟»

أجابه رو بسرعة ثم أكمل: «كيارا! لا تدعِ عدم معرفتها، فقد وجدت هالتك في ملابسها».

عقد أليكس حاجبيه بتكلف وهو يقول: «أتقصد ابنة الميتم؟»

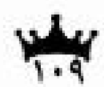
عندها تجهم رو وقال بانزعاج: «أهذا ما تدعونها به هنا؟»

وضع أليكس يديه في جيبي معطفه الأسود الطويل، وقد لاحظ انزعاج الذي أمامه يتزايد ولم يفهم السبب، فهز كتفيه بلا اكتراث وقال: «تقريباً، وهناك من يدعوها بما هو أسوأ».

شد رو على قبضتيه وصرّ على أسنانه مكرراً سؤاله: «أين هي؟»

أجابه أليكس بتململ: «كيف لي أن أعلم؟» ثم بدأ يعود أدراجه متعدياً رو، لكنه توقف والتفت إليه حتى تكتمل تمثيليته وسأل باستغراب: «ما الذي قد يريده ساحر من فتاة يتيمة؟»

التفت رو إليه بهدوء وابتسامة حزينة قبل أن يجيبه: «لحمايتها» ثم اختفى في الهواء.



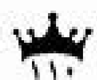
ضاقت عينا أليكس بشك متسائلاً إن كان هذا هو الفتى الذي أنقذ كيارا الليلة الماضية وفكر في طريقة لمعرفة ذلك دون وضع الفتى في مواجهة مباشرة معها أو كشف مكانها الحالي، وما أن عاد للصف حتى لاحظ أمراً غريباً.

اختفت هالة كيارا السابقة بالكامل، بالرغم من أنها هالة بشرية ضعيفة إلا أن أليكس كان يميزها بسبب خراقتها الدائمة حوله، أراد العودة سريعاً للمنزل، لكن إن كان الساحر ذو الهالة الغريبة لا يزال يراقبه فمن الأفضل له البقاء حتى نهاية الدوام المدرسي.

بقي بصبر في مكانه حتى دق الجرس معلناً نهاية حصة التاريخ فجمع أشياءه ببطء ثم حمل حقيبته وخرج من الفصل يسير ببطء عبر الممرات المدرسية وصولاً للساحة الخلفية حيث ساحة انتظار السيارات التي امتلأت بالطلاب، حينها تحقق من الأمر، قام أحدهم بتنظيف المدرسة من هالة كيارا السابقة، ولم يكن واثقاً إن كان الساحر الغريب أم غيره.

دخل من وسط الحشود وهو شيء لا يفعله أليكس في العادة، وبدأ بشق طريقه من بين الطلاب حتى وصل لآخر صف سيارات، وما أن انتبه أن لا أحد من حوله يراه حتى انطلق بسرعة البرق بعيداً عن المدرسة.

فكر لنفسه أثناء ركضه: (قد يتمتع السحرة بالتنقل المكاني لكن لا يمكن لساحر سباقي في السرعة).



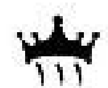
ابتسم لنفسه بغرور بينما حرص على اتخاذ طرق الضواحي الملتوية حتى يصعب لشخص من خارج البلدة تتبعه، في حال كان الساحر يفعل ذلك، لم يقف لوهلة أو يخفف من سرعته أبداً حتى وصل لباحة منزله ودخل تحت حماية التعويذة، توقف حينها ناظراً للأرجاء منتظراً أن يظهر الساحر من مخبئه متفاجئاً باختفاء أثر طريدته الذي انقطع فجأة، لكن ذلك لم يحصل رغم انتظاره لبعض الوقت، لم يظن أن الساحر بالفعل صدّق ادعاءاته، لذا تفاجأ من عدم لحاقه به.

(ربما لا يتمتع بالنباهة أو الدهاء) حدث نفسه داخلياً لكنه لم يعتمد على هذه النقطة كثيراً، فقرر أخذ الحذر على أي حال، وعندما وصل ودخل المنزل وجد رائحة كيارا أقرب مما كانت عند خروجه، التفت حوله باحثاً عنها حتى وجدها على الأريكة مستلقية بوضع لا يبدو مريحاً على الإطلاق، جلس عند طاولة القهوة بحيرة لما يجب عليه فعله.

(هل أوقظها أم أنتظر حتى تستيقظ بنفسها؟) تساءل أثناء تحديقه بها قبل أن تفتح كيارا عينيها على مصاريعهما بفزع، وتستقيم في جلستها سريعاً بحثاً عن الهواء، تفاجأ من أمرها ولاحظ أنها لم تنتبه لوجوده بعد، رغم أنه بالقرب منها.

ابتعد بهدوء وذهب للمطبخ ثم عاد سريعاً بكأس من الماء، مده لكيارا التي أرعبها ظهوره المفاجئ، وبردة فعل لا إرادية؛ دفعت يده بعيداً ووقع الكأس من يده وانكسر على الأرض.

نظر أليكس لشظايا الزجاج الممزوجة بالماء على الأرض، ثم رفع



نظراته لكيارا بعينين باردتين لم تستطع الأخرى قراءتها، بل اكتفت بالنظر إليه بينما استجمعت أنفاسها حتى أدركت ما الذي حدث لتقفز من مكانها بإحراج.

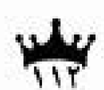
قالت بصوت مرتفع لارتباكها: «آسفة!! لم أنتبه لوجودك!» لم يقل أليكس شيئاً واكتفى بالنظر إليها بلا تعابير، ارتبكت كيارا أكثر لشعورها أنها أزعجته فقالت بسرعة متجهةً للمطبخ: «سأقوم بتنظيف ذلك»..

ذهبت للمطبخ وفتحت عدة دواليب ورفوف حتى وجدت المكنسة، حملتها ثم اتجهت لسلة المهملات وحملتها كذلك، واتجهت للكأس المكسور حيث يقف أليكس بصمت، فتحت السلة وانتبهت لعلب الفاكهة مرة أخرى مما جعلها تتذكر أمر سؤالها له عن طعامه لكنها دفعت الأمر جانباً أمام الموقف الحالي.

تركت الغطاء مفتوحاً حتى تلقي القطع الكبيرة في السلة أولاً، لكن ما أن بدأت تجمعها فوق يدها حتى انتفض أليكس من البرود الذي اعتراه، وأمسك بمعصمها قائلاً:

«بحذر!»

جلس على ركبته ثم أزال القطع الواحدة تلو الأخرى على مهل حتى آخر قطعة، بينما نظرت له كيارا المتفاجئة بعدم فهم، ثم وقف وسحبها من معصمها للوقوف معه.



قال بهدوء دون النظر إليها مشيراً للصندوق الذي وضعته فوق الطاولة قبل أن تنام: «سأنظف أنا، خذي الطرد للغرفة وقومي بتجربة ما فيه».

ردت بارتباك بعد أن لاحظت أنه ما زال منزعجاً مما حصل: «لا، إنه خطئي وعليّ إصلاحه».

قال ببرود: «مجرد كأس» ثم التفت إليها وأكمل: «ليس بالخطأ الشنيع».

لكن نبرته لم تقنعها أبداً لذا سألت: «لم أنت منزعج إذاً؟»

«لست منزعجاً» أجابها فوراً وتجنب النظر لعينيها.

سألت بتوتر: «غاضب؟»

قال متنهداً: «مرهق» ثم نظر لعينيها مكملاً: «من المدرسة».

تنفست بارتياح وابتسمت قائلة: «هكذا إذاً، لقد ظننت أنني أزعجتك بدفعي ليدك».

قال باستغراب: «لم قد يزعجني أمر كهذا؟»

ضحكت بإحراج وهي تحك رأسها مجيبة: «لا أعلم لَمَ ظننت ذلك، سأذهب لأجرب الملابس كما قلت».

ثم حملت الصندوق وتوجهت للغرفة بسرعة وأغلقت الباب أمام عيني أليكس الذي حدق بالباب لوهلة ثم نظر للزجاج المكسور على الأرض.

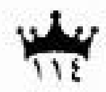
«لم قد يزعجني أمر كهذا؟» سأل نفسه بهمس واقفاً في مكانه للحظات عديدة.

لم ينتظر رو وصول أليكس للصف عندما قرر العودة للميتم، فقد كان أليكس أمله الوحيد عندما لم يجد خيطاً يرشده إلى كيارا في المدرسة.

كانت الأروقة هادئة عدا من صوت أساتذة الميتم داخل الصفوف، بحث رو بينها متخفياً حتى وقعت عيناه على آمبر، كانت تسجل الملاحظات باجتهاد عكس البقية اللواتي ظهر الملل واضحاً على وجوههن، تابعها بينما تابعت هي الدرس حتى انتهائه، ثم لحقها بفضول عبر الممرات والدرج حتى وصلت لسريرها وبدأت بتبديل ثيابها الخاصة بالحصص، شعر بالارتباك الذي كاد أن يكسر تخفيه، لكنه تمالك نفسه وخرج من الغرفة سريعاً.

وقف بجانب الباب في انتظارها الذي لم يطل، خرجت وبيدها كتاب متوجهةً للخارج ولم يتردد باللحاق بها، توجهت للحديقة الصغيرة الخاصة بالميتم وجلست على الكرسي الخشبي الطويل، ثم فتحت الكتاب وبدأت بالقراءة.

وقف خلفها بفضول لما تقرؤه هذه الفتاة ولم يفهم كلمة واحدة منه، عقد حاجبيه بتركيز واقترب أكثر منها إلى أن هبّ نسيم خفيف تسبب بتطاير شعرها على وجهه، استنشق رائحتها لا إراديّاً ولم يصمد تخفيه هذه المرة أمام ارتباكه.



دفع نفسه للخلف بقوة حتى يبتعد عنها بعد أن أدرك أنه سيظهر، ومع ذلك كان مكان ظهوره قريباً جدّاً منها، وقف في مكانه بانتظار صراخها عليه لكن كل ما فعلته آمبر هو الالتفات بهدوء باتجاهه، نظرت له لثانية سريعة ثم تجاهلته وعادت لقراءة كتابها.

استغرب من ردة فعلها اللا مبالية مرة أخرى.، فمشى حول الكرسي حتى وقف أمامها، رفعت عينيها من كتابها تجاهه ليقول بتوتر:

«أنا رو» ثم عقد حاجبيه وهز رأسه قبل أن يبدأ من جديد: «أقصد... مرحباً، أنا رو».

قالت بملل: «ماذا تريد؟»

شعر بالإحراج من ردها البارد فقال أول أمر خطر بباله: «أبحث عن كيارا».

تفحصته بنظراتها لوهلة قبل أن تقول: «هل أنت حبيبها؟»

أجاب بسرعة رافعاً يديه أمامه: «لا!» عقدت حاجبيها لانفعاله مما جعله يكمل بإحراج: «صديق... مجرد صديق».

سألت بشك: «من المدرسة؟»

أجاب بتوتر فلم يكن جيداً في الكذب أبداً: «أجل».

سألت رافعةً أحد حاجبيها: «ألم تذهب كيارا للمدرسة اليوم؟»

زمّ رو فمه عندما أدرك خطأه، لكن آمبر لم تمنحه الوقت لإصلاحه عندما وقفت على قدميها وتوجهت للداخل عازمةً فعل أمر ما، التفت حوله للتحقق من عدم وجود أحد ثم اختفى حتى يتبعها.

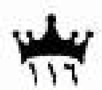
توقفت آمبر أمام أحد الأبواب ورو خلفها، طرقت الباب وانتظرت حتى سمعت إذنها بالدخول ثم دخلت سريعاً، لم يكن التنقل للأماكن المغلقة بالأمر الصعب على رو، لكن ليتنقل عليه الظهور أولاً، فالتخفي والانتقال المكاني تعويذتان تتطلبان تركيزاً عالياً، وأغلب السحرة غير قادرين على جمع التعويذتين معاً والانتقال متخفين.

لذا تبعها فوراً قبل أن تغلق الباب خلفها، ووقف بجانبها يتفحص المرأة التي تجلس خلف المكتب، ملامح حادة، جسد نحيل، ونظارة رفيعة بجانب الشعر المعقود للخلف، بدا لرو أنها وضعت الكثير من الزيت حتى تبقي شعرها بهذا الترتيب واللمعان، لكنها بدت بغاية النظافة، ثم قطع تركيزه صوت آمبر:

«آنسة ميلر» التفت إليها سريعاً ما أن تكلمت وكأنه صوت مزمار ساحر يجذبه نحوه، نظر لها وهي تكمل: «كيارا لم تذهب للمدرسة اليوم، كما أنها ليست في الميتم».

عقد حاجبيه بعدم فهم للسبب الذي يدفعها للتبليغ عن كيارا هكذا، أبقى نظراته بوجهها محاولاً قراءة تعابيرها، ولم يزحزحها عنها حتى عندما رفعت الآنسة ميلر سماعة الهاتف حتى تتحقق مما سمعته.

«مرحباً سارا، أريد السؤال عن وضع كيارا اليوم؟..... اممم... أجل.... صحيح..... هكذا إذاً.... شكراً لك» ثم أغلقت الهاتف وقالت مصرحة: «الدينا هاربة» وقفت عن كرسيها وتوجهت لآمبر ثم وضعت يدها على كتفها برضاً، ثم ابتسمت وأبلغت آمبر بما كانت



تنتظر: «تجهزي لأخذ مكانها» ثم أكملت وهي تتجه للباب: «سأبلغ المديرة».

حدق رو بآمبر عله يستطيع فهم ما تفكر فيه، لكنها حينها ابتسمت، نظر لها بتمعن لكنه لم يفهم الأمر بعد، فلم تكن ابتسامة مكر، بل أقرب إلى ابتسامة انتصار.

وضعت آمبر خصلة من شعرها خلف أذنها بلا إدراك، لكنها انتبهت لفعلتها وأزالتها بسرعة، عدلت شعرها بعد أن مسحت الابتسامة عن وجهها ثم غادرت الغرفة تاركةً رو وحيداً خلفها غارقاً في تساؤلاته.

خرجت كيارا من الغرفة بعد أن بدلت ثيابها الخاصة بأليكس وارتدت الجديدة التي ابتاعها من أجلها، كان أليكس قد بدل ثيابه كذلك ونظف الفوضى التي أحدثتها كيارا، اتجهت إليه في المطبخ حيث كان ينظف ما تركته خلفها بعد الإفطار، وضعت ثيابه التي كانت ترتديها على طاولة المطبخ.

«أريد غسل هذه من أجلك» قالت متجنبة ذكر السبب، وهو تعرقها المتواصل، ثم أكملت بإحراج مشيرة لما بين يديه: «كنت سأفعل ذلك بنفسي لكنني غفوت».

«لا بأس» قال بهدوء ثم أشار لأحد الأبواب القريبة من غرفتها.

«غرفة الغسيل؟» سألت وأومأ لها بصمت قبل أن يشير للأغراض التي أخرجتها سابقاً من الثلاجة بتساؤل، بدأت لتبرر: «آه صحيح.... » لكنها تذكرت سلسلة أفكارها صباحاً أثناء تحديقها بها فوق الطاولة، فأكملت بشرود: «لا توضع هذه الأشياء في الثلاجة».

نظر لها بترقب لأسئلتها لكنها لم تلق أياً منها واكتفت بأخذ نفس عميق ليقول:

«أنتِ غريبة».

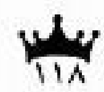
التفتت له بعدم فهم ثم قالت: «لدفعي يدك؟» هز رأسه نفياً فأكملت بإحراج: «لتركي الإفطار دون تنظيف؟» هز رأسه مرة أخرى وابتسامة صغيرة لتكمل بثقة: «آاااه، تقصد نومي على الأريكة بالتأكيد».

حينها هز رأسه ضاحكاً بعدم تصديق: «كيف يعمل عقلك؟ أشعر بالفضول لمعرفة كيف ترتبين أولوياتك؟»

عقدت أصابعها فوق الطاولة بإحراج: «لقد سقطت نائمة بلا شعور، لم أستطع النوم في الغرفة».

اتكأ بكفيه على الطاولة أمامه ثم تنهد باستسلام وقد قرر عدم إخبارها عن حقيقته حتى تسأله بنفسها، ثم قال مجارياً لها: «هل السرير غير مريح؟»

تساءلت إن كان عليها إخباره بالكابوس أم لا، ثم قررت تأجيل



أمره، فقالت وهي تلف بعينيها حول المكان مرة أخرى: «لا، السرير مريح، لكني شعرت بالاختناق لعدم وجود نافذة».

تردد قليلاً ثم قال مقترحاً: «هناك غرفة أخرى في الأعلى» نظرت له بعدم فهم فأكمل: «فيها نوافذ» تردد مرة أخرى ثم أكمل بصوت منخفض: «بجانب غرفتي».

لم تلاحظ تردده ووافقت مباشرةً بسعادة قائلة: «شكراً لـ...»

توقفت فجأة لانتقال نظراتها من أليكس لشيء ما خلفه، شيء بدل ملامحها من السعادة للخوف في ومضة، التفت أليكس متتبعاً نظراتها ليجد صديقه واروبك يقف وسط منزله.

قال أليكس باستغراب: «واروبك؟»

لكن الذي أمامه ابتسم قائلاً: «أتيت لأتحقق إن قامت بقتلك» ثم نظر لكيارا مكملاً: «ليس بعد على ما أظن!»

قالت كيارا باستنكار خالطه الخوف من وارويك: «ولماذا سأقتله؟ لماذا قد أقتل أي شخص!»

أجابها وارويك مقترباً منها: «غريزتك، غريزة الدمار قوية لدى المخلوقات أمثالك».

قال أليكس محذراً: «وارويك!»

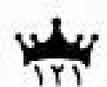
رفع وارويك كتفيه قائلاً: «ليست سوى الحقيقة».

أجابه أليكس سريعاً: «ليست الحقيقة، مجرد تكهنات لا أصل لها» ثم التفت لكيارا ونظر لعينيها قائلاً: «سأدربها بنفسي وسترى».

ارتبكت كيارا لنظرات أليكس المليئة بالثقة وتساءلت عن السبب الذي يجعله يثق بها لهذه الدرجة، وما أربكها أكثر هو أنها ليست متيقنة ما إن كانت أهلاً لهذه الثقة، فهي بنفسها باتت تشكك في كل شيء كانت تعرفه عن العالم الذي تعيش فيه، وبعد كل ما حدث وكل الغموض المحيط بها؛ لم تعد تميز الحقيقة من الخيال.

قال وارويك محتجّاً: «كيف تثق بها على الرغم من كل الأسرار التي تخفيها عليك؟!»

ورغم أن كيارا كانت تفكر في الشيء نفسه إلا أن سماع اتهاماته المتكررة بات مزعجاً، وما أثار حفيظتها هو محاولاته المتواصلة إقناعَ أليكس بها، فقالت بانفعال:



«ليس لدي أي أسرار، لقد أخبرتكما بكل ما أعرفه، لم تتهمني باستمرار؟!»

«ليست اتهامات زائفة، بل في محلها» قال وارويك ثم التفت لأليكس وأكمل: «أخبرني كيف لفتاة بشرية كما تدعي أن تعرف عن السحرة عامةً! ناهيك عن المنشقين منهم!؟»

«لقد أخبرتك أنني قرأتـ....» قالت كيارا ليقاطعها وارويك بسخرية:

«كتاب! صحيح، لأن كل البشر لديهم كتاب *الدليل في المخلوقات غير البشرية*!»

نظرت كيارا لعيني وارويك وتسارعت أنفاسها بغضب، التفتت لأليكس لتجد نظراته مثبتة باتجاه وارويك كذلك بينما حملت عيناه الاستياء -أو كما بدا لها- أخذت نفسين عميقين ثم قالت بهدوء:

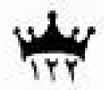
«أستطيع إثبات الأمر».

عقد وارويك ذراعيه أمامه في انتظار الإثبات بينما التفت أليكس باتجاهها قائلاً:

«ليس عليكِ ذلك».

قالت بحزم: «بلى! حتى أرتاح من استفزاز صديقك».

ضحك وارويك قائلاً: «لم أقصد استفزازك، أنا بكل صدق لا أثق بك».



قالت متجاهلةً كلماته: «الميتم، أسفل سريري، هناك ستجد الكتب».

كرر وارويك خلفها باستغراب: «الكتب؟ إذاً ليس كتاباً واحداً؟»

هزت رأسها بالنفي وأكملت: «٩ كتب» توقفت قليلاً عندما تذكرت كتاب *العنقاء* ثم قالت: «الكتاب العاشر تركته في دورة المياه قبل أن أُختطف، لا أعلم إن كان هناك أم لا، لكن البقية بالتأكيد أسفل السرير».

«حسناً إذاً» قال وارويك ثم فرك يديه بحماس: «حان وقت الحقيقة، لن أتأخر» ثم اختفى من أمامهما.

تبادلت كيارا النظرات مع أليكس في صمت امتد للحظات حتى قال:

«أتريدين الشاي؟»

«الشاي فكرة رائعة» أجابت وابتسمت أخيراً بارتياح بعد توتر الأجواء الذي أحدثه وارويك.

راقبت أليكس يحضر الشاي بعد أن أخرجه من مكان لم تلاحظه سابقاً، وعندما انتهى من تحضيره وضع الكوب أمامها على طاولة المطبخ لتسأل مشيرة للكوب في يدها:

«هل تحب هذا النوع؟»

«أنا لا أشرب أي نوع، هذا ملك لوارويك» أرادت طرح أسئلة



أكثر عن نظامه الغذائي لكنها لم تجد الفرصة، فقد التفت أليكس لساعة الحائط ليلاحظ أن واريك أخذ أكثر مما يلزم، عقد حاجبيه باستغراب قائلاً: «لقد تأخر».

«حقّاً؟» نظرت للساعة ثم أكملت: «لم تمر خمس دقائق بعد!»

أجابها: «لكنه في مهمة لا تأخذ أكثر من دقيقة».

«هكذا إذاً» همهمت قبل أن ترفع الكوب وتأخذ رشفة من الشاي.

التفت أليكس فجأة للخلف ثم ظهر واريك بشكل مفاجئ أفزع كيارا التي سكبت القليل من الشاي على أثره، التفت إليها أليكس وقبل أن يستطيع الاطمئنان عليها تحدث واريك مقترباً منهما:

«خبر جيد وخبر سيئ».

سألت كيارا بينما كانت تمسح فمها: «وجدت الكتب؟»

وقف واريك بجانب الطاولة ثم صوّب نفسه: «حسناً، خبر جيد وخبران سيئان».

قال أليكس بانقباض بعد أن شعر بضيق صديقه: «ما الأمر؟»

قال واريك رافعاً سبابته: «الخبر السيئ الأول، لا وجود للكتب».

قفزت كيارا من مكانها: «كيف يمكن ذلك؟ أقسم لك أنـــ....».

«الخبر السيئ الثاني» قاطعها واريك ورفع إصبعه الآخر أمام وجهها مكملاً: «لقد بدؤوا بالبحث عنك».



شهقت وقالت بخوف: «مـ.. ما الذي تقـ.. صده؟»

تنهد وارويك ثم أخبرهما بما حصل: «لقد كان هناك ساحر في الميتم، رأيت هالته لكنني لم أجده، كان متخفياً طوال الوقت».

أمسكت كيارا برأسها وعادت للخلف بعد أن تملكها الهلع: «لا! لا!! سيجدونني!!»

قاطعها وارويك: «وصولاً للخبر الجيد».

التفتت إليه بابتسامة مضطربة متأملة: «أجل، أرجوك، ما هو الخبر الجيد؟»

أجابها بنبرة لم تحمل التفاؤل أبداً: «هناك من نظف هالتك من هناك».

قالت بعدم فهم: «ما الذي تعنيه؟»

أجابها أليكس دون إزاحة عينيه عن وارويك: «هناك من يحاول حمايتك» ثم أعلم صديقه بما لديه: «تم مسح هالتها من المدرسة كذلك».

عم الصمت المكان، كانت كيارا تحاول فهم ما يحدث، بينما تبادل وارويك وأليكس النظرات الحادة للحظات، قبل أن يقول وارويك أخيراً:

«قل ما لديك».

التفت أليكس لكيارا متأملاً ألا تستمع لحديثهما لكنها كانت

بالفعل تنظر باتجاههما بترقب، أخذ نفساً عميقاً ثم قال:

«لقد كان هناك ساحر في المدرسة كذلك».

سرت رعشة في جسد كيارا لاحظها الاثنان أمامها، وقالت بصوت هامس مرعوب: «إنهم في كل مكان!»

«كيارا» قال ألكيس ثم ابتسم ما أن التقت أعينهما «عليكِ التذكر دائماً أنك بأمان هنا».

قال وارويك: «تمالكي نفسك أيتها الصغيرة» ثم رفع يديه في الهواء وأردف: «هذا المنزل محمي بتعويذة من صنع هاتين اليدين، حتى الأشباح لن تراكِ خلفها».

أومأت لهما ورفعت يديها للتربيت على صدرها مرددة: «مكان آمن، مكان آمن».

التفت وارويك لأليكس قائلاً: «أكمل».

قال أليكس: «لقد تحدثنا قليلاً».

«حسنا؟» قال وارويك بصبر ليصل أليكس لمغزاه:

«أتساءل إن كان الساحر نفسه في الميتم».

أجابه وارويك فوراً مؤكداً توقعاته: «نفسه».

سأل أليكس: «كيف تعلم ذلك؟»

«بما أنك تفكر في أمره لا بد أنه لم يكن ساحراً عاديّاً» أجابه ثم



سكت قليلاً مسترجعاً ما رآه، قبل أن يكمل: «كذلك من في الميتم، لم يكن عاديًا».

«لم أر مثله من قبل» سكت أليكس عندما اقتربت منهما كيارا والقلق جليّ بملامحها، ابتسم لها ليطمئنها لكن ابتسامته تلاشت حالما التفت لوارويك مرة أخرى مكملاً حديثه: «كانت هالته غريبة جدّاً، بدت غير مستقرة».

«ليست غير مستقرة» قال وارويك ثم صوبه: «بل شائبة».

سألت كيارا: «شائبة؟»

نظر وارويك للوجوه أمامه ليجدها مليئة بعلامات الاستفهام، فأكمل: «مليئة بالشوائب، أي غير نقية» تردد قليلاً ثم ضرب الطاولة بيده ضربة خفيفة وقال بغيظ: «هجين!»

شعرت كيارا بأن غيظه متجه لها، أحست بالضيق وكأنه قام بنعتها بأسوأ الألقاب، وجدت أن سخرية القدر منها مؤلمة بشدة، فسواءً كانت بشرية أم غير بشرية، في كلتا الحالتين هي خطأ لم يجب إحضاره للعالم، فتاة غير مرغوب بها، خفضت رأسها حتى تخفي ألمها لكن الاثنين لاحظاه دون العلم بما يدور بداخلها، التفت أليكس بنظرات تأنيب لوارويك الذي تجاهل الأمر وأكمل:

«عليك أن تأخذ حذرك يا أليكس، هذه المخلوقات مشوهة».

عقد أليكس حاجبيه لصديقه محذراً والتفت لكيارا التي خفضت

رأسها أكثر، تضايق لرؤيتها بتلك الحالة فقال بصوت بارد: «هذا يكفي يا وارويك».

أكمل وارويك محاولاً إقناعه: «المخلوقات المشوهة لا تحب النقاء أو السلام».

التفتت كيارا ببطء دون رفع رأسها ثم اتجهت للساحة الخلفية بهدوء تحت أنظار أليكس ثم أغلقت الباب خلفها، قبض الآخر يديه بغضب لكن صديقه لم يتوقف عند ذلك الحد وأكمل:

«ستحاول تشويهك يا أليكس».

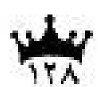
«كفى!!!» زمجر أليكس بغضب مما فاجأ وارويك فالغضب لم يكن من صفات أليكس المعتادة، وعندما همّ بالتوجه للساحة الخلفية استوقفه وارويك باستنكار:

«أليكس!»

توقف أليكس والتفت بهدوء مواجهاً له قائلاً ببرود: «ليست الوحيدة المشوهة».

قال وارويك معترضاً: «ذلك وضع مختلف، أنت لم يكن لديك خيار آخر».

«وهل هي لديها خيار آخر؟» سأل أليكس وعندما لم يجد وارويك الإجابة أردف: «لقد ولدت هجينة، لم تختر ذلك، توقف عن لوم المهجنين بسبب ما حدث لكالونيس».



ضرب وارويك الطاولة أمامه بقوة وصرخ بانفعال: «كالونيس استحقت الموت!!»

قال أليكس مستنكراً: «حقاً؟ هل تصدق ذلك فعلاً؟» ثم اقترب منه وأكمل بنبرة مشحونة: «ما أذكره أنها كانت بريئة كالأطفال، كل ما فعلته أنها دافعت عن نفسها» توقف ونظر لعيني صديقه بعمق عندما أردف هامساً: «ثم حُكم عليها بالموت» شد وارويك على قبضتي يديه محاولاً قمع مشاعره بداخله، وابتعد أليكس عنه متوجهاً للخارج، لكنه قبل أن يغلق الباب خلفه قال: «أنت بالذات يجب أن تصدق أنها بريئة».

ثم أغلق الباب في الوقت نفسه الذي اختفى فيه وارويك، متوجهاً لجبل بعيد، جبل اختبأت فيه فتاة كان يحبها، نظر حوله للصخور التي تغطت بعضها بالأعشاب بعد أن سُقيت بالدماء، والصخور الأخرى التي هُدمت وسط المعركة الشائكة التي حدثت هنا، إن كان وصفها بالمعركة صحيحاً، بل أقرب لساحة إعدام.

أقوى السحرة الذين سيطر عليهم الخوف تجمعوا لقتل كائن واحد، فتاة بريئة، كل ما أرادته هو العيش بسلام.

توجه لداخل كهف في أعلى الجبل حيث اختبأت حبيبته لوقت طويل، دخل لأعمق مكان في الكهف حتى وصل لكومة الأحجار التي دفنها أسفلها، جلس أمامها على ركبتيه ثم فرت دمعة لم يستطع اللحاق بها.

«كالونيس!» قال وارويك وسط نشيجه ثم استلقى بجانبها باستسلام لمشاعره التي ظن أنه دفنها معها.

أما أليكس فوجد كيارا تجلس أسفل الشجرة الوحيدة في ساحته، تضم ساقيها لصدرها، واضعةً رأسها على ركبتيها، جلس بجانبها بهدوء لكنها رفعت رأسها فوراً والتقت بعينيه، عقد حاجبيه باستياء حالما رأى دموعها، ودفع نفسه للابتسام من أجلها ثم قال:

«لا تهتمي لما قاله».

قالت وهي تمسح دموعها التي تستمر بالنزول: «لِمَ تساعدني؟ واورويك يحذرك منذ الأمس».

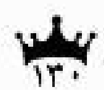
أزاح خصلة التصقت بوجنتها ثم هز رأسه قائلاً: «لا يهمني الأمر».

قالت متحججةً ومحتارةً في الوقت نفسه: «لكنني مشوهة!»

أخذ نفساً عميقاً ناظراً للغابة أمامها ثم استصوبها: «صحيح» تفاجأت من رده وقبل أن تستطيع التعبير عن صدمتها أكمل: «ولا بأس بذلك، لا أحد منا مثالي، جميعنا مشوهون إلى حد ما!»

«أنت مشوه كذلك؟» سألت بعد أن شعرت أن كلماته تحمل معنىً آخر، فابتسم بمرارة وأومأ موافقاً بصمت، التفت إليها لكن ما أن التقت أعينهما حتى تجنبها سريعاً، علمت حينها أنه ليس مستعداً للتحدث عن الأمر فغيرت سؤالها: «لم يكرهني واورويك؟»

«لا يكرهك» أجاب بسرعة ثم التفت إليها وأردف: «بل يكره



ضعفه» عقدت حاجبيها بعدم فهم فقال: «هل أخبرك بقصة؟» أومأت بالإيجاب فبدأ مسترسلاً:

«لطالما كان واروبك ساحراً قويّاً، منذ أن التقيته أول مرة، حينها كان السحرة هم المخلوقات الأقوى بين الجميع، وكان واروبك ينتمي لعشيرة أفيتاز، وهي عشيرة قوية جدّاً وما زالت كذلك، عشيرة ذات شأن رفيع وسط الجميع ليس السحرة فحسب، كانت قوتهم هائلة، تتمثل في نقائهم واتحادهم، لا يسمح بالسحر الأسود فيها، فقد اعتبروه كالتدنيس لهم، ولا يسمح بالقتال فيها كبقية العشائر، حتى لا تتفرع العشيرة فتضعف، إلوديوس إيدور هو والد واروبك، وهو زعيم هذه العشيرة، لذا أصبح واروبك وإخوته من أعضائها المهمين، حينها تقابلنا في مهمة معاً وأصبحنا صديقين، أعجبتني جديته في استخدام قوته، وهو أمر صعب عندما تكون بتلك القوة، لكنه استخدمها بعدل وثبات، ولاحظت بعدها جانبه اللعوب، فواروبك وكما هو الآن؛ زير نساء مغتر بنفسه لحد ما، بسبب قوته وجاذبيته ومرحه، كل من يقابله يشعر بالانجذاب نحوه، كانت تلك حياته، بلا معنىً حقيقي، إما مهمات في خدمة العشيرة أو لهو مع النساء، حتى قابلها.... كالونيس أرماند، هجينة، جذبته إليها كالمغناطيس، تغير تماماً بسببها، لم يعد الفتى اللعوب الذي يعيش حياته بين الواجب والنساء بل أحبها وأحب الحياة بها، لم يستطع الابتعاد عنها مهما حاول ذلك، فتقبل الأمر وصارح عشيرته به، وكالمعتاد رفضوا ذلك رفضاً باتّاً، لم يتقبلوا التخلي عن واروبك أو تقبل حب حياته غير النقي، بدأت حينها مهمات التخلص منها، واحدة

تلو الأخرى بينها تجنبت كالونيس مواجهتهم ، لم ترد القتال أبداً، حتى أُرسلت مجموعة ترأسها ماغوس شقيق وارويك، لم تستطع كالونيس الهروب أو إيقاف القتال، كل ما فعلته هو الدفاع عن نفسها دون أذية أحد، لكنها بغير قصد قتلت ماغوس، حينها بقي وارويك بين عذابين، خسارة شقيقه وذنب حبيبته غير المقصود، وفي النهاية استسلم لدموع والدته وتخلى عن كالونيس دون أن يعلم أنهم استعدوا بجيش لقتلها، وعندما سمع بالأمر كان كل شيء قد انتهى وعاد الجنود بالفعل، هرع للجبل حيث كانت تختبئ دائماً ليجد جثتها هناك وسط الصخور ملقاة بإهمال، حملها ودفنها بنفسه داخل الكهف، لم يستطع مسامحة أو لوم نفسه ولم يستطع لوم حبيبته الميتة، فوضع اللوم على المهجنين كون كل ذلك لم يكن ليحدث لو لم تكن مهجنة، كرهها لكونها غير نقية ثم كره نفسه لكرهها، وكره كل شيء بعد ذلك، انشق عن عشيرته، وقطع كل تواصل معهم، حتى عائلته، لقد أخذ الأمر عدة سنين حتى وجدناه، وسنين أكثر حتى عاد لمرحه ومزاحه لكن مع ذلك لم يعد كما كان، بقي جزء منه مفقوداً منذ ذلك الوقت»

التفت أليكس ليجد كيارا تنظر للبعيد بحزن عميق، التفتت إليه عندما أدركت أن القصة انتهت، ابتسمت بحزن قائلة:

«لم أكن لأتخيل الأمر، لقد بدا بلا هموم».

قال أليكس بابتسامة طفيفة: «ذلك لأنك لم تريه قبل أن يحب كالونيس».



تنهدت بعد وهلة ورفعت رأسها للسماء واستطردت: «لقد اشتقت للنجوم».

رفع رأسه كذلك وتأمل النجوم بجانبها بصمت، ثم بعد لحظات وقف ومد يده لها قائلاً:

«لدينا عمل مهم» أمسكت بيده ووقفت معه باستغراب لاحظه فأردف: «علينا البدء بتدريبك» شعرت بالتوتر فلا توقعات لديها للأمر، وقفت مكانها مترقبة حتى أكمل أليكس: «لم أكن لأعلمك هذه المهارة الآن لكننا نحتاجها حاليّاً».

سألت بفضول: «ما هي؟»

«أولاً» قال رافعاً إصبعه أمامها: «عليك فهم سبب احتياجك لها» أومأت بالموفقة فتحدث: «العنق مخلوقات للسلام أو كما يقول البعض قضاة المخلوقات غير البشرية، فلكل عنقي قائمة لا نهائية ومتجددة بأسماء المخلوقات الفاسدة التي عليهم محاكمتها أو تصفيتها، ولفعل ذلك هناك طرق عديدة يستطيعون بها الوصول للحكم العادل، لكن ما سأعلمك فعله الآن هو أكثر الطرق استخداماً» توقف أليكس قليلاً حتى يتحقق من استيعاب كيارا لما يقوله، ثم ابتسم بخفة عندما وجدها تنظر إليه بتركيز بالغ، مسح فمه ليخفي ابتسامته وأكمل: «الدخول لعقل المُحاكَم!»

سألت بدهشة: «أتقصد قراءة الأفكار؟»

هز رأسه مجيباً: «لا، قراءة الأفكار تحصل وإن كان الشخص بعيداً كما أنها لا يمكن التحكم بها، فمن لديه هذه القدرة لا يستطيع إيقافها».



عقدت حاجبيها في حيرةٍ قائلة: «ما الفرق؟»

أجاب موضحاً: «الفرق أن الدخول للعقول يتطلب ملامسة مباشرة كما أنه أكثر عمقاً من مجرد سماع أفكار الشخص الحالية، الدخول للعقول يكشف لك جميع قرارات الشخص التي اتخذها منذ صغره، مشاعره وتطوراتها وكل ما تسبب بوصوله لهذه المرحلة، لذا يصبح القرار عادلاً ويصبح حكم التصفية غير وارد كثيراً».

بدا الحماس واضحاً على ملامح كيارا التي قالت: «أتقول إنني أستطيع فعل ذلك؟»

أومأ أليكس لها مجيباً: «لكن خطوة بخطوة، يتطلب الأمر بعض التدريب».

قالت فوراً: «أنا مستعدة».

فبدأ أليكس وسحب يدها ثم وضعها على الجانب الأيمن من رأسه وقال: «انظري لعيني جيداً».

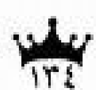
«حسناً» قالت بارتباك وإحراج لاحظهما.

«كيارا» قال منبهاً فرفعت حاجبيها تبعاً «أهم نقطة هي التركيز».

«حسناً» قالت مرة أخرى لكنها لم تستطع التركيز أبداً، فأنزل يدها ثم قال:

«خذي وقتك».

تراجعت عدة خطوات غير قادرة على إبعاد عينيها عن عسليتيه،



وعندما توردت وجنتاها أغلق أليكس عينيه فجأة وعقد حاجبيه ثم التفت وابتعد عنها كاتماً أنفاسه دون أن تلاحظ هي ذلك.

(ما الذي يحدث لي؟) قالت محدثةً نفسها ما أن دخل أليكس للمنزل واضعةً يدها على جبينها الساخن، ثم بعد لحظات جلست مكانها على الأرض محاولةً تهدئة ضربات قلبها.

أخذت عدة دقائق لتستعد وعندما همت بالوقوف لنداء أليكس وجدته يخرج من الباب ويتجه إليها قبل أن يسأل:

«مستعدة؟»

أومأت ووقفت أمامه قائلة: «مستعدة».

«الأمر بسيط جداً لكنه يحتاج للتركيز فقط» قال ثم أمسك بيدها مرة أخرى ووضع كفها باتجاه الجانب الأيمن من رأسه ونظر لعينيها بعمق، شعرت بالإحراج وحاولت عدم التشتت لكن الأمر لم يجد نفعاً، فقال مقاطعاً محاولاتها:

«أنتِ تفعلينها بشكل خاطئ».

تنهدت باستياء: «أنا أحاول».

«لا تنظري لعينيّ» قال وعندما وجد أنها لم تفهم شرح لها: «ما تبحثين عنه ليس فيهما، بل ما بداخلهما، هما مجرد ممر لما تريدين الوصول إليه» ثم أشار لرأسه وأكمل: «العقل» أومأت بفهم فقال آمراً: «حاولي مرة أخرى».

حاولت اتباع تعليماته، وصبّت كامل تركيزها في محاولة رؤية ما وراء عينيه، لكنها في كل ثانية تشعر بعينيه العسليتين تحاولان سحبها إليهما، ثم وجدت فضولها يسيطر عليها ويدفعها لرؤية ما بداخل أليكس دون تشتت، تريد معرفته، مشاعره، ماضيه، حقيقته، وأفكاره تجاهها، كيف يراها، ولمَ يساعدها و....

شهقت فجأة عندما ومضت برأسها لحظة سريعة من يومه، فقالت بذهول: «الأستاذ دافيس؟»

ابتسم بفخر قائلاً: «هذه بداية جيدة!»

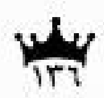
لكن كيارا عقدت حاجبيها بحزن عندما أكملت: «هل تابع درس الحرب العالمية الثانية؟»

نظر لها بتعجب قائلاً: «هل هذا ما يهمك؟» نظرت له بتكشيرة لطيفة عاقدةً ذراعيها، فضحك ضحكةً خافتة ثم أخبرها: «حسناً، سأشرح الدرس لكِ لاحقاً، أما الآن فعليكِ التركيز».

تنهدت باستسلام ثم حاولت مرة أخرى، بينما حاول أليكس تركيز أفكاره على صورة الفتى الذي قابله في المدرسة، وهذه المرة لم يأخذ الأمر وقتاً طويلاً حتى رأته كيارا.

انقشعت أفكار أليكس بسرعة معيدةً كيارا للواقع، واتسعت عيناها بصدمة قائلة: «إنه هو، الفتى الذي أنقذني».

أخذ أليكس نفساً عميقاً بعد أن صدقت ظنونه ثم قال: «إذاً علينا إحضاره».



أيهم أنت؟

سألته باستغراب: «كيف تعرفه؟»

«إنه الساحر الذي كان وارويك يتحدث عنه قبل قليل» أجابها ثم أضاف: «قد يكون إحضاره مفيداً لنا».

ابتسمت بسعادة وصفقت بيديها وهي تقول: «حقّاً؟ هل تعلم أين هو؟»

سأل باستنكار: «لم أنتِ سعيدة لهذا الحد؟»

رفعت كتفيها مجيبة: «لا أعلم حقّاً، أنا فقط أثق به».

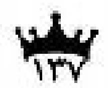
قال بانزعاج: «فقط لأنه أنقذك مرة واحدة لا يعني أنه أهل للثقة».

تلاشت ابتسامة كيارا وعندما همت بالرد رن جرس المنزل، التفت أليكس بينما فزعت هي وأمسكت بكُم كنزته القطنية مختبئةً خلفه، تجمد في مكانه لوهلة ثم نظر لها من فوق كتفه بوجه خال من التعابير.

قالت هامسة بخوف: «من قد يكون!؟» ثم نظرت له وسألت: «هل دعوت أحداً؟» هز رأسه بالنفي فاحتضنت ذراعه برعب: «لقد أتوا من أجلي!»

نظر أليكس للجهة الأخرى بإحراج وقال: «كيارا».

لكنها أكملت وهي تخبئ رأسها خلف ذراعه، ثم تنظر للباب ثم له بهلع: «عليك حمايتي، لقد أتوا لقتلي، أرجوك!»



أليكس بتوتر: «كيارا».

أكملت باكية خلف ذراعه: «لا أريد أن أمووووت».

نظر لرأسها المخبأ خلف كنزته ثم تنهد وقال: «لقد طلبت طعام العشاء من أجلك أثناء استعدادك للتدريب».

رفعت رأسها ونظرت إليه قائلةً ببلادة: «هاه؟»

نظر لوجهها الملطخ بالدموع وتعابيرها الحائرة وزمّ شفتيه مانعاً ابتسامته من الظهور، أزاح نظراته عنها سريعاً وقال بصوت مخنوق إثر ضحكته المكتومة: «العشاء وصل».

أخذت كيارا دقيقة كاملة قبل أن تدرك الأمر، نظرت لذراع أليكس التي تحتضنها ثم رفعت رأسها لوجهه بإحراج لكنه كان ينظر للجهة الأخرى، خفضت رأسها وقالت مرتبكة: «طلبت العشاء من أجلي؟»

أجابها دون أن يلتفت: «أجل».

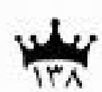
قالت بصوت منخفض لخجلها مما فعلت: «شكراً لك».

أجابها بلطف: «لا داعي» رن جرس الباب مرة أخرى فأعلمها: «عليّ استلام الطعام».

«أجل» قالت بتفهم لكنها لم تتحرك من مكانها.

«كيارا» قال ثم حمحم منظفاً حنجرته قبل أن يكمل: «عليك ترك ذراعي حتى أستطيع فعل ذلك!»

أغمضت عينيها بقوة لشدة إحراجها عندما أدركت أنها ما زالت



تحتضن ذراعه، ثم تركته ليتجه فوراً للداخل بينما التفتت صارخةً بلا صوت تشد شعرها بيديها الاثنتين، قفزت في مكانها عدة مرات قبل أن تغطي وجهها بيديها قائلة:

«يا إلهي!»

أخذت نفساً عميقاً ثم ضربت وجنتيها المحمرتين مسبقاً وتوجهت للداخل، كان أليكس قد وضع طبق الطعام على الطاولة، فغسلت يديها ثم جلست أمام الطاولة وجلس هو على الكرسي المقابل لها قائلاً:

«آمل أنك تحبين الطعام الصيني».

«لم أجربه من قبل» أعلمته ثم أكملت عندما وجدت الاستغراب بادياً على ملامحه: «تنوع أصناف الطعام ليس إحدى رفاهيات ميتم هاربر».

عقد حاجبيه في حين ابتسمت هي بلا اهتمام وفتحت الطبق الذي وضعه أمامها، وقف أليكس وتوجه للمطبخ ثم عاد حاملاً شوكة طعام وناولها لها قائلاً:

«بدلاً عن أعواد الطعام».

«شكراً» قالت متناولةً الشوكة من يده وبدأت بتذوق الطعام بتطلع، أخذت أول لقمة واتسعت عيناها بدهشة من لذته، ابتسم أليكس لها قبل أن ينهض ليحضر كتاباً له ثم جلس أمامها مرة أخرى وبدأ بالقراءة.

«ألن تأكل؟» سألت وهز رأسه لها نفياً فأكملت طعامها دون سؤاله شيئاً آخر، نظر لها بتعجب ثم أكمل قراءته، وبعد عدة لحظات أغلق كتابه ونظر لها أثناء استغراقها في تناول الطعام، ولم يستطع منع فضوله فسألها:

«كم تعرفين من المخلوقات الأسطورية؟ عدا السحرة؟»

«اممم» قالت محاولةً استرجاع أسماء الكتب التي كانت أسفل سريرها، وضعت شوكتها على الطاولة وأردفت: «حسناً هناك السحرة، ثم المستذئبون ومصاصو الدماء كذلك» قالت بتركيز تعد على أصابعها ولم تلاحظ الذي شد قبضتي يديه عندما ذكرت مصاصي الدماء فأكملت: «متغيرون، جن وصيادون، ثم المستبصرون...»

«كيف تعلمين كل هذه الأسماء؟» قاطعها أليكس لتجيب ببساطة وكأن الأمر بدَهيٌّ:

«كتب».

سأل بشك: «قصص؟»

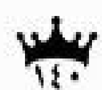
أجابته: «لا، تبدو ككتبٍ وثائقية أكثر».

«هدايا» قال مشيراً لما قالته سابقاً لوارويك.

أومأت متحدثة: «من صاحب محل الأثريات، فانكا».

عقد حاجبيه بخفة: «لم أسمع به من قبل».

سألت باستغراب: «حقّاً؟ لكنه قريب من المدرسة!» هز رأسه



مؤكداً لها عدم معرفته، فقالت: «سآخذك إليه لاحقاً» ثم تذكرت وأضافت: «عندما يكون الخروج آمناً» فتح كتابه وحملت هي شوكتها وعادت لتناول طعامها ثم قالت بفم ممتلئ: «هناك أمر يثير فضولي».

رفع عينيه عن الكتاب وقال: «أنهي ما في فمك أولاً».

ابتلعت ما في فمها ثم سألت: «كيف يصنّف أي مخلوق على أنه هجين؟»

«الهجين هو المخلوق الذي يولد بطريقة مختلفة عن التي يتكاثر بها بنو جنسه» أجابها وأومأت بفهم لكنه أكمل: «تتكاثر المخلوقات بطرق مختلفة، البعض بالولادة، وبعضها بالاختيار،...» تردد قليلاً ثم أضاف: «والبعض بالسم!»

«صحيح» أومأت مرةً أخرى ليتعجب الذي أمامها سائلاً:

«تعلمين؟» أومأت له فسأل مختبراً معلوماتها: «إذاً أخبريني، أيهم يتكاثر بالولادة؟»

قالت محاولةً التذكر: «السحرة، والجن..... والمتغيرون؟»

«صحيح والمستبصرون كذلك» قال أليكس مؤكداً لها، فأكملت بحماس:

«أعلم أن المستذئبين ومصاصي الدماء يتكاثرون بالسم».

«صحيح، لذلك إذا عثرتِ على ساحر بلا دم نقي فهو هجين، وإذا عثرتِ على مصاص دماء بلا سم فهو هجين كذلك».

قالت بفضول: «هناك مصاص دماء بلا سم؟»

تجنب أليكس عينيها وقال: «كل مخلوق يحمل سمه في مكان مختلف، المستذئبون يحملونه أسفل أظافرهم، ومصاصو الدماء بين أسنانهم، ورغم أن المستبصرين يتكاثرون بالولادة إلا أنهم يحملون السم في دمهم».

«امم» تمتمت كيارا بينما كانت تحرك طعامها بالشوكة محاولةً إخفاء تعجبها، ليس مما قاله فقد قرأت كل ذلك في كتبها، بل تعجبت من تجنبه الإجابة عن سؤالها، أنزلت عينيها لطعامها مترددة ثم قررت عدم تأجيل الأمر أكثر، فقالت بنبرة سطحية: «أيهم أنت؟»

حدق بها أليكس لكنها لم ترفع عينيها عن الطبق، أغلق الكتاب ووضعه على الطاولة وقال ببرود بعد وهلة: «السم» رفعت نظرها إليه حينها لتجد وجهه بلا تعابير حين أكمل: «يتكاثر من هم مثلي بالسم».

علمت كيارا من نظراته الباردة أن الأمر غير مريح له لكنها أرادت أن تعرف المزيد، صمتت للحظات ولم تزح عينيها عن عينيه ثم تجرأت وقالت بصوت منخفض أقرب للهمس:

«أين يوجد سُمك؟»

ابتسم أليكس بشكل مفاجئ أربكها، ابتسامة واسعة أظهرت أسنانه الأمامية البيضاء، ورغم استغرابها وجدت أنها سُحرت بابتسامته الخلابة حتى نسيت حديثها، وبينما كانت تتأمل تلك الابتسامة أدركت سببها.

«آه» قالت بعد أن خرجت من تأثير ابتسامته «مصاص دماء!»

أومأ بهدوء فأومأت له بالمقابل، ثم عقد حاجبيه قائلاً: «ألم يفاجئك الأمر؟»

وضعت الشوكة على الطبق ودفعته جانباً ثم اتكأت على الطاولة وقالت: «لا» ضاقت عينا أليكس بعدم تصديق فأضافت: «لا أظن أنني أهتم».

قال بحاجب مرفوع: «ألا تهتمين أن من يجلس أمامك هو مصاص دماء؟»

قالت بلا اهتمام بينما كانت تنظر للكتاب الذي كان يقرؤه: «من يجلس أمامي هو أليكس، وحقيقة أنه مصاص دماء لا تغير من كونه أليكس».

شعر أليكس باضطراب مفاجئ داخله، شيء لم يعهده من قبل، نظر للتي أمامه متسائلاً إن كان ما قالته صحيحاً، هل طبيعته العطشة للدماء لا تغير من شخصه؟ هل حقاً لا يهم الأمر؟ هل تمثل كيارا عدم اهتمامها أم أنها لا تهتم حقاً؟ تساؤلات تزاحمت بداخله لكن كيارا كانت تصب تركيزها على الكتاب الذي أمامه، دفع الكتاب بيده إليها ثم اتكأ على الطاولة كما كانت هي، أخذت الكتاب وبدأت تقلب في صفحاته باهتمام، اتكأ أليكس برأسه على يده متأملاً إياها حتى انتبهت وتقابلت أعينهما، فابتسم بعبث وقال مداعباً:

«إذاً أخبريني، من هو أليكس الذي يجلس أمامك؟»

أحست كيارا بالدم يصعد لوجنتيها ورغم إحراجها لنظراته المحدقة بها؛ لم تستطع دفع عينيها للنظر بعيداً، فقالت مرتبكة: «لا أعلم، ما زلت أحاول التعرف عليه».

أليكس بابتسامته نفسها: «ما الذي تريدين معرفته؟»

نظرت له كيارا بانجذاب، وتجمعت الكثير من الأسئلة في رأسها، لكن بسبب نظراته المثبتة عليها؛ تمكن الإحراج منها، فوقفت بسرعة قائلة بصوت مرتفع مرتبك:

«أريد معرفة موعد نومه فقد تأخر الوقت!» ثم تذكرت وصححت نفسها: «آه صحيح، مصاصو الدماء لا ينامون» ضحك بخفة ثم اعتدل في جلسته واتكأ بظهره على الكرسي بينما كان ينظر إليها مبتسماً، فقالت بتعجل: «سأذهب للنوم!»

وتوجهت للغرفة سريعاً وأقفلت الباب خلفها، نظرت حولها فتذكرت أنها شعرت بالاختناق هنا لعدم وجود نوافذ ثم تذكرت عرض أليكس لها بغرفة أخرى، ضربت رأسها بالباب عدة مرات ثم عضت شفتها وفتحت الباب لتُصعق بوجوده أمامها، نظرت إليه بصدمة قبل أن يقول:

«أما زلتِ تريدين بعض النوافذ؟» أخذت نفساً عميقاً وتداركت نفسها، ثم وضعت خصلة من شعرها خلف أذنها وأومأت مبتسمةً بخجل، أشار أليكس بيده للدرج قائلاً: «من بعدك».

تقدمته بارتباك ثم توقفت أمام درج المنزل خائفةً من الصعود فقد كان من النوع المفتوح تماماً من إحدى جهتيه، التصقت بالحائط وبدأت الصعود على مهل بقدمين مرتجفتين، نظر لها أليكس باستغراب من الخلف دون أن يتبعها وقال:

«أتساءل!»

تجمدت مكانها والتفتت بهدوء شديد وحذر ثم قالت: «هاه؟»

كانت ابتسامته على وشك الظهور، لكنه قمعها قبل أن يكمل: «ألا تعلمين؟ العنقاء يصنف من الطيور».

«اختصر يا أليكس» قالت بعدم صبر بينما كان تركيزها موجهاً للجهة المفتوحة من الدرج وكأن هناك من يتربص بها ليجرّها للأسفل.

ابتسم حينها وقال: «كنت أتساءل إن كنت تعلمين أنك تستطيعين الطيران».

التفتت له بسرعة وسألت بعدم تصديق: «حقاً؟»

أومأ لها ثم صعد الدرج حتى وصل إليها ووقف بجانبها ليقول: «حقاً».

ثم أشار بيده لها لتكمل طريقها، فحركت قدميها وواصلت الصعود ثم انتبهت أن أليكس كان محاذياً لها بكل خطوة ففهمت أنه يحاول طمأنتها، أمسكت بكُم كنزته بيد بينما الأخرى على الحائط وأكملت صعودها مرتاحةً قليلاً.

وصلت للطابق الثاني وبدأت تنظر حولها ولم يكن هناك شيء يذكر، ستة أبواب لا يفصل بينها الكثير، نظرت باتجاه أليكس الذي كان ينظر لها مسبقاً، لكنه سرعان ما أشاح بعينه وتقدمها لثاني باب على اليمين، فتحه ثم وقف جانباً سامحاً لها بالعبور.

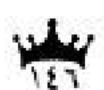
دخلت الغرفة المظلمة وأضاءت المصابيح، كانت الغرفة مشابهة لبقية بيته وقد اعتادت كيارا ذلك الآن، لكن ما ميّز هذه الغرفة عن غيرها هو أحد الجدران الذي كان عبارة عن نافذة كبيرة لكنها مظلمة أو مظللة كما بدت لها، التفتت لأليكس وقالت مشيرةً للنافذة:

«لا أعلم ما فكرتك عن النوافذ، لكن هذه لا تعتبر نافذة».

ابتسم واقترب منها بهدوء، ارتبكت وعادت للخلف ناظرةً إليه باستغراب ثم انتبهت أنه مد يده للضغط على أحد المفاتيح خلفها، سمعت صوت شيء ما من النافذة والتفتت إليها لتجد أن ما كان يغطيها هي عوازل خارجية وكانت حينها ترتفع كاشفةً عن الفناء الأمامي للمنزل.

تقدم أليكس باتجاه النافذة ووقف أمامها ثم طرق عليها قائلاً: «زجاج عاكس» التفت لها وأضاف: «لا أحد في الخارج يستطيع رؤية ما في الداخل».

تقدمت كيارا للنافذة وتأملت سماء الليل المظلمة بينما كان أليكس يتأملها هي، التفتت حولها للغرفة، سرير مزدوج ومنضدة صغيرة



بجانبه حملت مصباحاً صغيراً وساعة، خزانة ملابس متوسطة الحجم ولا شيء آخر.

خرج أليكس من الغرفة ووقف بجانب الباب المجاور لغرفتها ثم قال مشيراً له: «الحمام» تبعته متوقعةً ما ستراه وصدقت جميع توقعاتها، لا شيء مختلف عن باقي المنزل، بينما أكمل مشيراً لأول باب من اليسار: «مكتبة» ثم نظر لها مضيفاً: «تستطيعين استكشافها إن أردت» أشار لثاني باب متابعاً: «خزانة» ثم أشار للباب المجاور لغرفة كيارا وقال: «وغرفتي».

سرحت بباب غرفته حين سيطر على عقلها الفضول، تساءلت إن كانت غرفته تختلف في أي شيء عن بقية المنزل، أرادت رؤيتها لسبب ما حتى وإن كانت مشابهة لجميع الغرف.

قطع أليكس حبل أفكارها: «أتريدين الدخول؟»

نظرت إليه بحرج قائلة: «لا!! لمَ قد أريد ذلك؟» ثم توجهت للدرج: «ما أريده هو ثيابي الجديدة في الأسفل».

توقفت قليلاً ثم التصقت بالحائط مرة أخرى ونزلت ببطء شديد، تبعها بهدوء وبقي خلفها ينزل درجة تلو الأخرى دون أن تنتبه كيارا حتى بعد وصولها للطابق السفلي وتوجهها للغرفة سريعاً، بينما توجه هو لطاولة الطعام ونظف ما كان عليها من بواقي الطعام، وبعد أن انتهى بقي بجانب الدرج في انتظارها حتى خرجت بصندوق الملابس الذي ابتاعه لها.

لم تنتبه له كيارا ثم توقفت عندما شعرت أنها اصطدمت بشيء، أنزلت الصندوق قليلاً لترى وجهه وقبل أن تدرك ما يحدث أحست بيديه تحملان الصندوق عنها، نظرت إليه بينما أعطاها هو ظهره وصعد للطابق الثاني، وقفت مكانها للحظة ثم تبعته ملتصقةً بالحائط مرة أخرى.

وصلت للطابق الثاني منهكة رغم أنها كانت شديدة البطء، رفعت رأسها لتجد أليكس ينتظرها بجانب غرفته.

«نوماً هنيئاً» قال لها ثم دخل لغرفته وأغلق الباب قبل أن تستطيع الإجابة.

دخلت غرفتها وأغلقت الباب كذلك ووجدت الصندوق بجانب الخزانة، فتحته وبدأت بترتيب ثيابها الجديدة ثم توجهت للحمام، ألقت نظرة خاطفة لغرفة أليكس قبل أن تغلق الباب وتنظر حول الحمام، وجدته معداً بكل ما قد يحتاجه أي أحد ولم تستغرب ذلك، غسلت وجهها وأسنانها ثم أخذت حماماً بارداً لشعورها بالملل.

استلقت على السرير بعد ما انتهت وتزاحمت في رأسها أحداث اليوم: قصة وارويك الحزينة، تعلمها لشيء جديد، وعثورها على الفتى الذي أنقذها ثم انتهاءً بأهم نقطة، وهي حقيقة أليكس، ثم وجدت نفسها تتساءل عن ماضيه ومن حوله لمصاص دماء وحاولت تخمين عمره الحقيقي، لكنها وقعت في شباك النوم قبل أن تستطيع تخمين أي رقم.

اصطدمت بحلمها المتكرر فاستيقظت باضطراب ثم حاولت النوم مجدداً، وبعد عدة تكرارات بدأ استيقاظها يزعجها لتتقلب فوق السرير بامتعاض قبل أن تقوم لغسل وجهها وتعود للسرير مرة أخرى فقط ليتكرر الأمر حتى استسلمت وجلست فوق السرير تتأمل السماء من النافذة محاولةً تفسير ما تراه في حلمها، فقد شعرت هذه الليلة أن الثعلب يدل على أمر ما، وأنه سبب تكرار الحلم وكأن هناك رسالة يحاول إيصالها لها، لكنها لم تستطع التوصل لما قد تكون رسالته.

أما أليكس فاستلقى فوق سريره منصتاً لضربات قلب كيارا تنتظم معلنةً دخولها في النوم ثم تضطرب لاستيقاظها المفاجئ، لاحظ تكرر ذلك عدة مرات مستغرباً الأمر، حتى سمع صوت تذمرها ونهوضها للحمام وعودتها لتكرر الأمر، لم يفهم لمَ تراودها الكوابيس لهذا الحد وتساءل إن كانت معرفتها بحقيقته هي السبب وأن كيارا أخفت خوفها جيداً، عقد حاجبيه لانزعاجه من تلك الفكرة ثم استمع لصوت نبضاتها غير المنتظم لبقية الليلة عالماً أنها لم تعد للنوم مرة أخرى.

مواجهة

ضايقت أشعة الشمس عيني كيارا فاستيقظت عاقدة حاجبيها تنظر حولها بحيرة قبل أن يعود لها كل ما حدث بالأمس، التفتت للساعة بجانب السرير لتجد أنها الواحدة ظهراً، أغمضت عينيها باستياء لاشتياقها للمدرسة، ثم قررت النهوض قبل عودة أليكس للمنزل.

نهضت بثقل من السرير وتأوهت بينما مددت جسدها فلم تعتد نظام النوم المتأخر في الميتم، توجهت للحمام وغسلت وجهها ونظفت أسنانها ثم عادت لترتيب سريرها قبل أن تخرج من الغرفة.

وقفت أمام الدرج على استعداد للالتصاق بالحائط لكنها التفتت لغرفة أليكس بدلاً من النزول، كانت كل ثانية تمر عليها تزيد فضولها لرؤية ما خلف ذلك الباب، ناقشت الأمر مع نفسها ووجدت أن الفضول دائماً يتغلب عليها، ولم تتأخر لثانية أخرى عندما قررت الدخول.

فتحت الباب بهدوء ثم توقفت فجأة عندما مرت برأسها فكرة غياب أليكس عن المدرسة، تجمدت مكانها للحظة ثم قررت الدخول على أية حال فقد تأخر الوقت على التراجع.

نظرت حول الغرفة نظرة سريعة باحثة عن أليكس، ثم تنفست بارتياح عندما لم تجده وتقدمت ببطء تتأمل ما حولها، لم تختلف غرفته عن غرفتها كثيراً سوى بباب لحمام داخلي ومكتب صغير وبعض

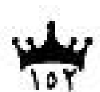
الأوراق فوقه، تقدمت نحوها بفضول وقلبت الأوراق لتجد أنها واجبات وتقارير مدرسية، عقدت حاجبيها باستغراب لكتابته فروضه بيده بدلاً عن استخدام الحاسوب، ثم أعادت كل شيء لمكانه.

توجهت لباب الحمام وأمسكت بالمقبض ثم تراجعت فوراً شاعرةً أن ذلك تعدٍّ للحدود، ضحكت على نفسها بسخرية كونها تعدت الحدود مسبقاً بدخولها لغرفته أثناء غيابه، توجهت لسريره وجلست على طرفه ثم مسدت الغطاء بيدها قليلاً قبل أن تقف وتتوجه للمنضدة، وضعت يدها على المصباح في انشداه، كان كل شيء مذهلاً بالنسبة لها كونه ملكاً لأليكس، رغم تشابه الغرفتين وملكية أليكس لكل البيت إلا أن هذه الغرفة مختلفة، فهي مستخدمة من قبله.

مشت بخطوات بطيئة حول الغرفة بينما تحسست بيديها كل شيء مرت بجانبه، ثم قررت الخروج قبل أن يعود أليكس ويقبض عليها متلبسة، نزلت للطابق السفلي ملتصقة بالحائط وتساءلت عن الوقت الذي ستتوقف فيه عن الخوف من هذا الدرج.

توجهت للمطبخ ووجدت أن أليكس أعد لها الإفطار مرة أخرى، ابتسمت والتقطته لتسخينه ثم توجهت لآلة القهوة ووجدت أنه جهزها لها كذلك، فقامت بتسخينها أيضاً، تلفتت حولها بينما كانت تنتظر وتساءلت إن كان عليها التنظيف أو فعل أي شيء مفيد، لكن أليكس لم يترك لها أي مجال لذلك، فقد كان كل شيء نظيفاً ومرتباً.

أخذت إفطارها والقهوة وبدأت بتناولها على مهل فلا شيء



لديها لفعله بعد ذلك، قامت بتململ بعد ذلك بغسل الطبق وكل ما استخدمته ثم توقفت فجأة عندما شعرت بالحرارة تملأ جسدها بشكل مفاجئ لكن ببطء، كانت تشعر بها تنبع من صدرها وتنتشر لباقي جسدها.

تجمدت مكانها محاولةً إيقافها ثم تذكرت كلمات أليكس بأن ذلك خاطئ وأن الحرارة لحمايتها، أغمضت عينيها وأخذت نفساً عميقاً بينما حاولت ترك الحرارة تقودها كما قال، ما كان إلا جزءٌ من الثانية بعد أن استرخت كيارا؛ حتى تركت الطبق الذي بيدها ليسقط داخل المغسلة واستدار جسدها للخلف في حركة سريعة غير إرادية.

اتسعت عيناها بصدمة عندما رأت وارويك خلفها تماماً يتوهج بسحره الفضي الساطع وكأنه على استعداد للهجوم عليها، أرادت التراجع للخلف بعيداً عنه لكن طاولة المطبخ أوقفتها سريعاً، كادت عيناها أن تخرجا من مكانهما بسبب الخوف، شعرت بقدميها ترتجفان وأن جسدها قد يذوب إذا استمرت الحرارة بداخلها في الالتهاب، أحست أن الحرارة تريد الخروج من جسدها بطريقة ما لكنها أرادت تمالك الأمر لسبب لم تفهمه، لذا حاولت قمعها بالداخل بكل قوتها، وذلك جعل جسدها أكثر وهناً.

بينما كانت ملامح وارويك باردة خالية من المشاعر، وعيناه تسطعان باللون الأبيض وسحره المتمثل في عروق فضية يحوم حول جسده كالصواعق الرعدية التي ستضرب في أي لحظة، نظر للتي أمامه

وكأنه ينتظر منها الهجوم وعندما لم تفعل ذلك؛ ارتفع حاجبه وخفت سحره شيئاً فشيئاً حتى تحلل في الهواء.

سأل بهدوء: «لماذا لم تهجمي؟»

وضعت كيارا يدها على صدرها محاولةً استجماع شتاتها، ثم قالت بتهكم: «وكأنني سأكون نداً لك!»

قهقه حينها قائلاً: «يا لك من حمقاء!» عقدت حاجبيها بانزعاج فكتم ضحكته وبرر نفسه: «ليس هناك من هو ند للعنق».

اتجه لأحد رفوف المطبخ وأخرج الشاي وبدأ بإعداده، بينما التفتت كيارا وأكملت تنظيف ما في المغسلة وهي تقول: «ألا يستطيع أحدٌ قتالهم؟»

أجابها دون النظر إليها: «لم يتجرأ أي أحد لفعلها» ثم حمل كوب الشاي واتجه للأريكة، شاهدته يجلس ويلف ساقاً فوق الأخرى، ترددت للحظات لكنها في النهاية لحقت به وجلست بعيداً عنه، فقال فور جلوسها: «كنتِ مستعدة للهجوم، لماذا لم تفعلي ذلك؟»

كيارا بعدم فهم: «ماذا تقصد؟»

«هالتك» قال ثم نظر لها وأردف: «مختلفة عن الأمس، أكثر قوة واستقراراً، ثم...» صمت متردداً ثم أشاح بوجهه عنها ولم يكمل كلامه.

«ثم؟» قالت محاولةً دفعه ليكمل، حدق بها قليلاً ثم تنهد باستسلام قائلاً:



«قبل قليل عندما انتبهتِ لوجودي خلفك،..... كانت هالتك متوهجة ومستعدة للهجوم» ابتسم بانبهار طفيف مكملاً: «كالنار المشتعلة».

«امممم» تمتمت بينما كانت تتخيل ما يقصده فهي لا تستطيع رؤية هالة نفسها، ثم تذكرت ما قاله، فصويت: «أنا لم أنتبه لوجودك أبداً».

قال باستغراب: «لكنك التفتِّ!»

«صحيح، ذلك غريب أيضاً، لقد التفت جسدي من نفسه، وكأنها ردة فعل لا إرادية كالتي حصلت لقدمي عندما عالجتها» قالت بينما كانت تنظر للأرض محاولةً استرجاع ما حدث ولم تنتبه للذي ارتفع حاجباه في دهشة أمامها، بقيا في هدوء للحظات ارتشف فيها وارويك الشاي وتأملت كيارا باب المنزل ثم قالت بشرود: «كم أتمنى التنزه خارجاً».

وضع وارويك كوب الشاي على الطاولة أمامه ثم أسند ظهره على الأريكة ووضع يديه فوق ركبته شابكاً أصابعه بعضها ببعض، قبل أن يقول منذراً: «في الثانية التي ستخرجين فيها من حماية التعويذة، ستكشفين وجودك لجميع المخلوقات».

قالت متنهدة: «أعلم».

«لا أظن أنكِ تعلمين» عارضها ثم نظر لعينيها مردفاً: « الجميع يخافون ما هو غريب، وأنتِ حتماً غريبة» صمت لوهلة حدّق فيها

بعينيها ثم أكمل: «لستِ فقط هجينة، بل هجينة عنقاء» باعد بين قدميه واتكأ بساعديه على فخذيه مائلاً للأمام وأكمل بصوت محتد قليلاً: «أتعلمين مدى خطورتك؟ سيحاول الجميع إبادتك، لن يكونوا السحرة فقط، أتدركين جدية الأمر؟»

قالت شاعرةً بالخوف مما قاله: «قد لا أكون هجينة».

ضحك بسخرية قبل أن يتحدث: «ذلك أسوأ».

سألت بحيرة: «لماذا؟» كان وارويك على وشك قول شيء ما، لكنه تراجع فوراً، وأدار وجهه بعيداً عنها، فأكملت بحزن: «لماذا قد يكره أي أحد كائناً لم يؤذه من قبل؟»

«أتظنين أن الجميع مثل أليكس؟! أليكس حالة نادرة يا صغيرة، لا أحد يساعد المهجنين» أجابها ثم رفع كوب الشاي وأكمل معللاً: «وذلك لأن المهجنين لا يحملون سمعة جيدة».

قالت بانزعاج: «لا يكفي ذلك للحكم عليهم».

تنهد قبل أن يبين لها: «المهجنون يحملون نمطاً متكرراً» حاولت قول شيء لكنه قاطعها مكملاً: «قد لا تتخيلين حدوث ذلك الآن، لكن....» صمت لوهلة وتغيرت ملامحه وكأنه تذكر أمراً ما قبل أن يكمل بصوت منخفض: «ستجدين نفسك وسط الفوضى يوماً ما، سواءً اخترتِ ذلك أم لا».

سألت بصوت منخفض مثله: «لكن ألا تظن أن إلقاء اللوم عليّ أمر غير عادل إن لم تكن الفوضى اختياري؟»

تنهد وارويك عندها وقال: «لا يهم حقّاً، ففي النهاية الأمر أشبه بالقاعدة الكونية» ارتشف قليلاً من الشاي ثم أضاف: «الفوضى تلحق المهجنين دوماً».

قالت كيارا بعزم: «سأثبت العكس لك وللجميع، ليست قاعدة كونية».

نظر وارويك للأرض للحظات ثم قال: «أتظنين أنكِ أول هجين يقول ذلك؟ حتى أعتى المهجنين قال ما قلته نفسه».

صمتت قليلاً بذهول ثم قالت بيأس: «حقّاً؟»

أومأ وارويك بهدوء تبعه صمت طويل أنهى خلاله الشاي، وقفت كيارا مكتئبة وأخذت الكوب من أمامه ثم اتجهت للمطبخ لغسله، ملأ صوت الماء المنسكب المكان، ثم عم الهدوء مرة أخرى ما أن أغلقت الصنبور، ترددت قليلاً ثم سألت:

«من هو أعتى المهجنين؟»

نظر لها من فوق الأريكة ثم قال: «لقد كانا اثنين، أسوأ ما حدث في التاريخ» عادت لمكانها باهتمام لما سيقوله، وأكمل مجيباً تساؤلاتها: «هل سمعتِ من قبل عن روزليندا؟» هزت رأسها نفياً فقال: «مصاصة دماء مولودة».

قالت بدهشة: «مولودة؟»

أومأ ثم تكلم: «يتحول الشخص إلى مصاص دماء إذا تعرض



لعضة من مصاص دماء آخر، وبذلك يصبح من نسله، لكن تحدث ثغرات في بعض الأحيان، وقد كانت هناك عدة ثغرات في الماضي، منها أن ولدت مصاصة دماء».

كيارا بفضول: «كيف حدث ذلك؟»

«لا أعلم حقاً، يقول البعض إن الأم كانت بشرية وهو أمرٌ لم يصدقه الكثير لأن مصاصي الدماء لا يحتملون وجودهم حول البشر دون فقدان السيطرة، ناهيكِ عن الوقوع في حب أحدهم».

قالت باستنكار: «لكن أليـ..».

قاطعها فوراً: «أليكس مختلف» تذكرت حينها الليلة الماضية وقول أليكس إنه مشوه وتساءلت إن كان هذا سبب اختلافه، ثم قاطع وارويك أفكارها مسترسلاً: «لقد كانت شديدة الجمال ولطيفة للغاية، ورغم عطشها للدماء لم تقتل أي بشري قط، إلا أنها في النهاية أحدثت الكثير من الدمار حتى تم قتلها من قبل المستبصرين، والأهم أنه رغم الدمار الذي أحدثته لم تحمل السم بين أسنانها، لذا ظن البعض أن الهجين يأتي دائماً بلا سم، حتى.....» صمت قليلاً مسترجعاً معلوماته بشرود، ثم انتبه لكيارا وهي تميل نحوه باندماج، فابتسم ابتسامة جانبية وأكمل: «ظهر هجين آخر بعد سنوات، لكن يقال إن والدته كانت مستذئبة».

«أليست الذئاب أعداء..» قالت كيارا قبل أن يقاطعها مرة أخرى:



«مصاصي الدماء؟ لا، غير صحيح، ليسوا أصدقاء بالتحديد لكنهم ليسوا أعداء بالفطرة كما يقول البعض».

سألت باستغراب: «لكن إن كانت والدته مستذئبة فلمَ ولد مصاص دماء؟»

«هنا تتعقد الأمور، لقد كان ذا نصفين».

اتسعت عيناها بدهشة قبل أن تقول: «نصف مصاص دماء نصف مستذئب؟!»

«لقد كان يحمل سمَّيْن، سم والده بين أسنانه وسم والدته أسفل أظافره، وجمع بين قوة المخلوقين، كان الأول من نوعه، يسمون من مثله الآن بالسومو».

«هممم، سومو» همهمت كيارا سارحةً بأفكارها قبل أن يحكي لها وارويك قصته:

«كان يقود المستذئبين بعيداً عن البشر دائماً حتى لا يقوموا بقتل أحدهم، كما كان يقود عدداً لا يستهان به من مصاصي الدماء، وكانت قاعدته لهم؛ أن لا دم بشرياً مباح، كان مقصده المبدئي صالحاً، لكنه مع ذلك أحدث الكثير من المشكلات وسفك الكثير من الدماء، لقد كان من المستحيل قتله، لكن استطاعوا ذلك في النهاية وبخسائر بالغة، ومنذ ذلك الحين تتشاءم جميع المخلوقات من المهجنين، خاصة السومو أمثاله و.....» صمت وحدق بها قبل أن يكمل: «مثلك».

قالت معترضة: «لكنني لست سومو».

قال وارويك بصوت منخفض: «لا نعلم ذلك بعد» نظرت له بعدم فهم فقال: «دم السحرة متملك» علم أنها لم تفهمه بعد ووجد علامات التعجب في وجهها لذا أكمل: «عندما ترتبط ساحرة أو ساحر بمخلوق آخر، ينجبون سحرة، لأن دم السحرة قوي ومتملك، لذا لا يعتبر أبناؤهم مهجنين» ثم أكمل بلا اكتراث: «لكن الأمر لا يزال غير مستحب وغالباً ما يتم نفيهم لأنهم يكونون ذوي قوة سحرية ضعيفة».

قالت عندما شعرت بالضياع: «لا أفهم شيئاً!»

فسر لها: «إن كنتِ هجينة فأنتِ ذات نصفين لأنك بُعثت من رمادك وهذه الصفة المميزة للعنقاء».

قالت باعتراض مرة أخرى: «لكنني لست ساحرة!»

أجاب بانزعاج بسبب بطء فهمها: «دم السحرة قوي كما أخبرتك، لا يمكن ألا تكوني ساحرة بما أن والدتك كذلك» سرحت كيارا عندما قال كلمة *والدتك* فقد كانت المرة الأولى التي تسمعها، ثم قاطع وارويك أفكارها: «حذّر المستبصرون الجميع من الهجينة العنقاء، وأن حرباً كبيرة ستقوم بسببها».

نظرت له والمخاوف ترتسم على محياها ثم قالت: «وهل المستبصرون دائماً على حق؟»

تمنت إجابة مختلفة عن التي تعرفها مسبقاً، فقد قرأت كتاب المستبصرين بالكامل وتذكر بوضوح أنهم لا يخطئون، رغم أنهم لا يعلمون الأسباب أو الظروف المؤدية لما سيحدث لكنهم يعلمون النتيجة.

نظر وارويك للأسفل في صمت كإجابة واضحة لها فسألت متأملة:
«ماذا لو كنت مختارة؟»

رفع رأسه ونظر إليها ثم هز رأسه قائلاً: «لقد أخبرتك، ذلك أسوأ».

قالت بعدم فهم: «لكن لماذا؟ أليست العنق كائنات للسلام؟»

«صحيح، ما عدا المختـ..» صمت وارويك عندما فُتح باب البيت بقوة وبشكل مفاجئ.

نظر للباب تزامناً مع وقوف كيارا الفزعة ليجد أنه أليكس، نظر له وارويك باستغراب فتحركات أليكس أشبه بالهواء الخفيف الصامت دائماً، ثم بعد لحظة فهم السبب من تعابير أليكس الغاضبة تجاهه، علم أنه لا يريد أن تعرف كيارا ما كان على وشك قوله، لذا قام بمقاطعة حديثهما بهذه الطريقة.

قالت كيارا برعب: «ما الأمر؟!! هل هناك من يلحق بك؟!!!!»

التفت لها أليكس بابتسامة صغيرة قائلاً: «لا، أعتذر إن أفزعتك، لم أنتبه للقوة التي استخدمتها» ثم التفت لوارويك وتبادلا النظرات بينما

نقلت كيارا عينيها بينهما حتى أغلق أليكس الباب وأعلمهما «سأبدل ملابسي سريعاً» ثم توجه لغرفته دون أن يلتفت مرة أخرى.

وقفت كيارا في مكانها باستغراب ثم توجهت للفناء الخلفي ليستوقفها وارويك: «إلى أين؟»

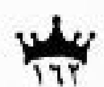
التفتت له بحاجب مرفوع وقالت: «هل أنت قلق علي؟»

قلّب عينيه وأجاب ساخراً: «لا تكوني سخيفة، لا أريد لأليكس أن يتأذى محاولاً حمايتك».

نظرت له سارحةً في أفكارها عن العلاقة التي تجمعهما والطريقة التي يهتمان بها بعضهما ببعض، تساءلت إن كانت ستحظى بصديق مقرب يقلق عليها هكذا في يوم ما، أم أن موتها سيكون أقرب من ذلك.

تنهدت أخيراً وقالت بصوت مكتئب أثناء توجهها للفناء: «لا تقلق، لا أريد لأليكس أن يتأذى كذلك» ثم أكملت وهي تفتح الباب: «أريد بعض الهواء النقي فقط».

كان أليكس يقف في منتصف الدرج منصتاً لهما، وما أن خرجت كيارا حتى أكمل طريقه للطابق العلوي، فتح باب غرفته وتوقف فجأة عندما اصطدمت بأنفه رائحة كيارا، نظر حول الغرفة ليلاحظ هالتها في جميع أنحائها، هربت من فمه ضحكة مكتومة عالماً أن فضولها تمكن منها في النهاية، ثم دخل الغرفة متتبعاً هالتها.



وجدها على المكتب حيث يكتب فروضه، وابتسم بزاوية فمه عندما انتبه لهالتها على طرف سريره، كما على المنضدة، والمصباح وحتى الجدران، لم تكن هالتها فقط؛ بل رائحتها منتشرة في جميع أنحاء الغرفة، كان من الواضح له أنها كانت تحوم بداخلها بفضول، هز رأسه باستسلام مبتسماً ثم دخل لحمامه وأخذ حماماً بارداً.

سمع صوت صعود وارويك ودخوله للغرفة، وعندما خرج من الحمام وجده على السرير وقد مسحت هالته القوية هالة كيارا التي كانت بطرف السرير، نظر له بانزعاج قبل أن يقول:

«ما الذي تريده؟ عدا إخبار كيارا بأمور ليس عليها معرفتها!»

ثم خرج من الغرفة ودخل الغرفة المجاورة التي حوَّلها لخزانة كبيرة له، بينما قال وارويك بلا اهتمام وهو يلحق به:

«هي من كانت تسأل».

قال أليكس بينما كان يخرج لنفسه بعض الملابس: «لقد ولدنا بداخل هذا العالم أما هي فتتعرف عليه للتو، بالتأكيد لديها الكثير من الأسئلة».

قال وارويك لصديقه المنزعج: «ستعلم عاجلاً أم آجلاً، لا يمكنك إخفاء حقيقتها عليها».

أرخى أليكس كتفيه محاولاً الاسترخاء وقال بهدوء: «قد لا تكون الحقيقة».



قال وارويك بغضب: «كُف عن ذلك! حسناً، قد تكون هجينة مسالمة ومختلفة عمن سبقوها!! أما حقيقة العنقاء المختارة فلا جدال فيها! لذا توقف عن خلق الأعذار لحمايتها».

قال أليكس ببرود: «ما الفرق؟ إن كانت المختارة بالفعل! فلا يمكن لأحد ردع النبوءة».

قال وارويك باستنكار: «إذاً أنت لن تفعل أي شيء لإيقافها؟»

أجابه أليكس مزمجراً: «محاولة إيقاف قدر روح العنقاء جرم عظيم!!» ثم اقترب منه وقال بصوت منخفض: «إن كانت كيارا غير هجينة فعليك تقبل واقع أننا جميعاً سنموت على يدها!»

تدريب

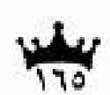
«محاولة إيقاف قدر روح العنقاء جرم عظيم!!» أجابه أليكس مزمجراً ثم اقترب منه وقال بصوت منخفض: «إن كانت كيارا غير هجينة فعليك تقبل واقع أننا جميعاً سنموت على يدها، وهذا ليس خطأها، بل قدرها المحتوم الذي ولدت من أجله».

سأل وارويك بسخرية: «وهل تظن أن الجميع سيتركونها لتكمل قدرها؟» ضحك ضحكة مكتومة ثم تابع: «فكر جيداً، إن كان البشر الفانون لا يريدون الموت وهم على علم بقدومه لهم يوماً ما، فما بالك بالخالدين؟!!»

أجابه أليكس مبتعداً عنه: «الخالدون لن يتقبلوا أمرها في كلتا الحالتين، إن كانت الأنثى المختارة أم سومو عنقية» ثم توقف وأكمل بأسىً: «وأستطيع رؤية أنك لا تتقبلها كذلك» حينها سمع صوت الباب معلناً دخول كيارا من الفناء الخلفي، فلبس ملابسه بسرعة وقال قبل أن يخرج: «كيارا ليست النهاية، بل الرسول المنفذ لها، إنه قدرنا الذي وُعدنا به، وعلى الجميع تذكر ذلك».

ثم نزل الدرج تاركاً صديقه خلفه ليفكر في الأمر، وجد كيارا تقف في المطبخ تنظر حولها كطفلٍ تائه فقال:

«ما الأمر؟»



التفتت إليه ثم أجابت: «لا شيء، أشعر بالملل فقط» ثم أشارت بيديها حولها مضيفة: «لا شيء لفعله هنا»

تلفت حول المكان ثم إليها مجدداً: «يمكننا التدرب لكن....» نظر للفناء الخلفي وأكمل: «حرارة الشمس قد تؤثر على تحكمك بحرارتك».

أضافت متذمرة: «كما أنها مزعجة، لم أستطع البقاء خارجاً بسبب الشمس».

اقترح عليها: «يمكننا المحاولة هنا لكن قد نتسبب بحرق جزء من المنزل».

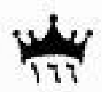
ابتسمت ثم قالت: «لا بأس، أستطيع الانتظار حتى الغروب، ليس علينا حرق أي شيء».

أتى صوت وارويك من منتصف الدرج: «لدي الحل» نظر أليكس وكيارا بعضهما لبعض بعدم تصديق، بينما أكمل وارويك عندما وصل إليهما: «أستطيع إخماد حرارتها كلما خرجت عن السيطرة».

أليكس بارتياب: «ولماذا ستفعل ذلك؟»

وضع وارويك يده على كتف صديقه وأجابه مطمئناً: «لا ضرر من المساعدة».

قالت كيارا بحماس: «هذا رائع!» ثم أمسكت معدتها وأكملت بتألم: «لكنني شربت الكثير من القهوة، وعليّ استخدام الحمام أولاً»



مشت باتجاه دورة المياه ثم توقفت في منتصف الطريق وقالت: «آمل ألا تغير رأيك!»

التفت لها وارويك لتبتسم له وتكمل طريقها، أعاد نظره لأليكس الذي قال ما أن أغلقت كيارا الباب:

«ما السبب الحقيقي؟»

تنهد وارويك ثم أجابه: «لا نوايا سيئة لدي تجاه كيارا، إنها فقط...» فرك جبينه بإبهامه قليلاً وأكمل: «تذكرني بكالونيس».

«أعلم» قال أليكس متيقناً فنظر له وارويك باستغراب قبل أن يكمل: «ليست كيارا فقط، بل كل هجين مررنا به منذ حادثة كالونيس».

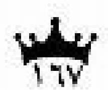
أومأ وارويك بتفهم ثم قال: «على أية حال، أنت محق بشأنها».

قال أليكس مفترضاً: «بشأن الأنثى المختارة؟».

«ليس ذلك فحسب» أجابه وارويك ثم أكمل على مضض: «قد تكون سومو لكنها مختلفة» رفع أليكس حاجبيه بدهشة فحكى له: «لقد حاولت مهاجمتها اليوم و.....»

قاطعه أليكس غاضباً: «ماذا؟»

رفع وارويك يديه أمامه مستدركاً: «اهدأ! لم أهاجمها فعلاً» زمجر أليكس بعدم صبر فأكمل وارويك بسرعة: «لاحظت اختلاف هالتها اليوم، وعلمت أنك بدأت بتدريبها».



قال أليكس من بين أسنانه منذراً: «اختصر!!»

وضح وارويك موقفه بكلمات متسارعة: «أردت استفزازها حتى تبدأ بالهجوم وتقتنع أنت أنها خطيرة» ثم تنهد قائلاً: «لكنها... لم تهجم» عقد أليكس حاجبيه ففسر أكثر: «لقد تركَت النار تقودها، كان الأمر واضحاً في حالتها والطريقة التي توهجت بها، ومع ذلك لم تهجم».

أليكس بتحير: «أتقصد...»

«أجل» أجاب وارويك مؤكداً: «قد تكون أقوى مما تتخيل، لقد تحكمت في قوتها بسرعة غير متوقعة».

خرجت كيارا من الحمام وتوجهت للمطبخ بقفزات متحمسة، لكنها ما أن وصلت إليهما حتى انتبهت لتغير الجو المحيط بهما، نظرت لهما باستغراب فقال أليكس مشيراً للطاولة:

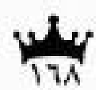
«هل يمكننا التحدث؟»

أومأت وتوجهت للكرسي قائلة: «ما الأمر؟»

«لا شيء يدعو للقلق» أجابها أليكس مطمئناً بصوته الهادئ وجلس على الكرسي المقابل لها، ثم بدأ يخبرها بما أخبره به وارويك قبل قليل.

قالت عندما انتهى: «ما المعنى من كل ذلك؟»

أجابها أليكس: «علينا البدء بتدريبك حالاً، وعلينا تكثيفه كذلك» ثم التفت لوارويك فأومأ له فوراً عالماً مقصده ليكمل: «وارويك في الصباح وأنا في المساء».



سألت بتوتر: «لكن لماذا الاضطراب المفاجئ؟»

«لماذا لم تهاجمي وارويك اليوم؟» سأل أليكس بينما نظر وارويك لها بترقب، لكنها أجابت ببساطة مشيرةً لوارويك:

«لأنه صديقك، كما أنني ممتنة له» ثم أشارت لقدميها: «فقد عالج قدمي».

أليكس بذهول: «كيف استطعت فعلها؟»

أجابت باستغراب: «ليس بالأمر الصعب، لم أفعلها وحسب».

قال أليكس بابتسامة انبهار: «هذا هو السبب، عندما تتركين الحرارة تقودك ليس من السهل استرجاع القيادة مرة أخرى حتى زوال الخطر، استرجاعك لها في اللحظة نفسها يخبرنا بمدى قوتك».

«إن كان هذا مقصدك فقد شعرت بذلك بالفعل» قالت متذكرةً ما حدث: «أحسست برغبة عارمة بإطلاق الحرارة من داخلي، كما لو أنها أرادت الخروج بأي ثمن».

سأل وارويك باهتمام: «وكيف قمتِ بردعها؟»

«كما كنت أفعل كل سنة» أجابت بلا مبالاة ثم أكملت بشرود: «لم أظن أبداً أنني إن تركتها تخرج فسوف تؤذي من أمامي!»

قاطعها وارويك رافعاً يده لإيقافها عن الحديث: «لحظة! ما الذي تعنينه بكل سنة؟»

«كان يداهمني هذا الشعور في يوم مولدي من كل سنة، وهذه السنة

كانت الأشد» قالت بأسىً للذكريات التي لم ترد تذكرها فقد كانت تُلقى في العلية كل مرة وتوصف بالكاذبة.

قال وارويك مدهوشاً وهو يجلس على الكرسي المجاور لأليكس: «أووووووه، هكذا إذاً» نظر له كل من أليكس وكيارا باستغراب فأعلمهما بابتسامة واسعة: «هكذا ظللتِ مختفية لثمانية عشر عاماً!»

أليكس متكهناً: «أنت تعلم أي تعويذة استُخدِمت، أليس كذلك؟»

أومأ وارويك بانتشاء وقال: «لم تكن تعويذة إخفاء، بل ربط».

«ربط؟» سألت كيارا بجهالة لكل ما تسمعه.

«أجل، تم ربط قوتك حتى لا يستطيع أحد تتبعها، هذه حركة ذكية للغاية» قال ثم وقف واتكأ بيديه على الطاولة «لا بد أن محاولتك قمع هذه الحرارة كل مرة كانت سبباً في صمود التعويذة، فثمانية عشر عاماً مدة طويلة لكبح نار العنقاء!» نظر بعيداً عنهما بتركيز ثم أكمل بابتسامة: «لهذا استطعتِ التوقف عن الهجوم، أنتِ تتدربين على السيطرة عليها طوال حياتك!»

صدرت ضحكة مكتومة من أليكس فجأة جاذبةً انتباههما، نظرا له بانتظار توضيح فقال: «هذا يفسر كل شيء» نظر لكيارا وهز رأسه مبتسماً: «خراقتك الدائمة حولي».

قال وارويك مستغرباً: «صحيح، لقد قلت إنها خرقاء جدّاً، لكنني لم ألاحظ ذلك خلال الأيام السابقة!»



عقدت كيارا حاجبيها باستياء: «قلت له إنني خرقاء؟»

ضحك أليكس وقال مازحاً: «بل شديدة الخراقة» عقدت ذراعيها فأكمل: «لنكن صريحين، لقد كنتِ تسقطين في كل مرة أمر بها من جانبك، كان الأمر غريباً جدّاً».

قال وارويك بإعجاب: «أنتِ مدهشة!» التفتا له بينما أكمل محركاً يديه في الهواء لشدة حماسه: «ما يقصده أليكس هو أن خراقتك كانت بسبب قوتك المكبوتة، ووجودك بالقرب من مصاص دماء كان كالتحريض لها، وبما أنها كانت تحاول الخروج؛ كنتِ تفقدين السيطرة على توازنك».

سألت كيارا منزعجة وقد بدأت تفقد صبرها: «وما المدهش في الأمر؟»

أجابها وارويك مشيراً لأليكس: «من المفترض أن تخرج قوتك عن السيطرة بسبب وجودك بجوار كائنات خطيرة، لكن كل ما خرج عن السيطرة هو توازنك! هل فهمتِ مدى قوة التحكم التي لديك؟»

قالت باستنكار: «لكنه جسدي!» ثم أضافت مبررة: «من الطبيعي أن تكون لي اليد العليا فيما يجري به!»

قال أليكس بهدوء: «ربما لهذا السبب استطعتِ إبقاء التعويذة فعالة كل هذا الوقت» ثم وقف قائلاً: «ولهذا أيضاً علينا التدرب».

تبعته كيارا بالوقوف وقالت بحيرة: «لكن إن كنت أستطيع التحكم بها، فلم عليّ التدرب صباحاً ومساءً؟»



قال متوجهاً للمساحة الخالية التي بين المطبخ وباب الفناء الخلفي: «لأن إبقاءها بالداخل يختلف عن توجيهها للخارج، عليكِ التدرب حتى لا تتسببي بإحراق غابة كاملة في محاولةٍ لإشعال عود ثقاب».

اقشعر جسد كيارا لما قاله، فخطأ بهذا الحجم عواقبه جسيمة بلا شك، لحقت به وخلفها وارويك الذي خرج للفناء الخلفي ثم دخل وبيده قطع من النجيل، تذمر أليكس مستاءً فور رؤيته فقال وارويك:

«آسف سأعوضك فوراً» ثم رفع يده وفرقع بإصبعيه قائلاً: «هكذا».

قال أليكس بضيق: «ليست الشيء نفسه».

وارويك باستهزاء: «ما الفرق؟!»

أجابه أليكس عاقداً حاجبيه: «لقد أمضيت عدة أشهر أعتني بالتي في يدك، أما التي زرعتها بسحرك للتو فمزيفة».

شهق وارويك بصدمة: «أتتكلم عن سحري؟» ثم أشار للفناء قائلاً: «اذهب وانظر بنفسك، ليست مزيفة!»

قطع صوت شجارهما ضحكة كيارا التي جذبت نظراتهما لها باستنكار فقالت: «شجاركما لطيف».

قالا في الوقت نفسه: «لطيف؟!!»

قال أليكس منفعلاً: «لقد قتل أعشابي!»

وارويك بالانفعال نفسه: «اتهم سحري بالزيف!»



قهقهت كيارا بصوت عالٍ حين لم تستطع حبس ضحكتها أكثر، ثم ابتلعت ما تبقى منها عندما التقت عيناها بأعينهما الغاضبة، وقالت بابتسامة محرجة:

«آسفة، أنا لم يكن لي أصدقاء أبداً لأتشاجر معهم هكذا».

تحولت نظرات كل منهما للشفقة فوراً، فقال وارويك:

«أبداً؟» هزت رأسها نفياً فتنهد وقال: «يا إلهي أنتِ مثيرة للشفقة!» وطبطب على كتفها مشفقاً: «حسناً، سأكون أول صديق لك».

ابتسمت وقبل أن تجيب حمحم أليكس مقاطعاً: «لنبدأ».

أومأ له كل منهما ثم مد وارويك قطعة من النجيل قائلاً: «خذي يا صديقة».

تناولتها كيارا ضاحكة ثم ردت بنبرته نفسها ممازحة: «شكراً يا صديق».

هز أليكس رأسه باستسلام لتصرفاتهما الطفولية والطريقة السريعة التي تغيرت بها علاقتهما، ثم صفق بيديه: «لنركز أرجوكما» ثم تنهد وأكمل: «لا أظن أنكما ستأخذان تمارين الصباح بجدية بدوني».

رفع وارويك حاجبه بتحدٍّ قائلاً: «هل أنت واثق مما تقوله؟»

أطبق أليكس شفتيه ورفع يديه في الهواء مستسلماً وقال: «أسحب كلامي».

«حسناً» قالت كيارا ورفعت يدها التي حملت النجيل أمامهما «ما الذي عليّ فعله بهذه؟»



«هذه» قال وارويك عائداً للخلف «عليك إشعال طرفها».

كيارا باستغراب: «فقط؟»

قال أليكس بجدية: «لا تستهبني بالأمر، عليكِ إشعال الطرف فقط».

أومأت له وبدأت تنظر لتلك العشبة النحيلة بتركيز، ثم بعد عدة لحظات عقدت حاجبيها وقالت: «كيف أستدعي الحرارة؟»

أجاب أليكس رافعاً سبابته: «بتركيز تام» ثم رفع الوسطى وأضاف: «ولا يمكن استدعاؤها، أنتِ منبعها».

كيارا مستنتجة: «إذاً عليّ توليدها».

أومأ لها وقبل أن تسأل كيف أشار بإصبعه لصدره ثم لرأسه ففهمت مقصده، توقع أليكس أنها ستأخذ عدة أيام حتى تكتشف الطريقة الصحيحة لتوليدها لكنه تفاجأ واتسعت عيناه عندما اشتعلت كامل ذراعها بالنار، فزعت كيارا في البداية وهزت يدها لإطفاء النار ثم أدركت سريعاً أنها لا تحرقها، فوضعت كفها الأخرى فوقها وضحكت قائلة بذهول:

«كيف ذلك؟»

أشار أليكس لوارويك فالتمعت عيناه وانطفأت النار، نظرت كيارا لكم كنزتها غير المحروق بعدم تصديق وقبل أن تسأل قال أليكس:

«الأمر المميز بشأن نار العنقيين، أنها لا تحرق إلا ما خرجت من أجله، قد تشتعل لكنها لن تقوم بإحراق إلا ما تريدينه».



ابتسمت كيارا قائلة: «هذا رائع!»

قاطعها وارويك: «لكن إن فقدتِ السيطرة؛ فقد تقوم بإحراق كل ما أمامها» تبدلت ابتسامتها للقلق فقال مغتراً: «من الجيد أن لديكِ صديقاً مثلي لتدريبك» ثم ابتسم وأكمل: «كما أنكِ تجيدين السيطرة».

قالت بعزيمة: «حسناً» ومدت يدها طالبةً قطعة أخرى: «لنحاول مرة ثانية» ثم تكرر ما حدث لكنها هذه المرة أطفأت ذراعها المشتعلة بنفسها وقالت منزعجة: «إطفاؤها سهل، لكن إشعالها فوضوي».

«مرة أخرى» أمر أليكس وكرر أمره في كل مرة تفشل فيها بلا أي تعليق أو كلمات مشجعة، وبعد محاولات كثيرة بدأت تنزعج أكثر وأكثر من فشلها، ثم جربت بغضب فاشتعل كامل جسدها، حاولت إطفاءها ولم تستطع فقالت بذعر:

«إنها لا تنطفئ!!» التمعت عينا وارويك مرة أخرى فخمدت في ومضة عين، تنفست كيارا بعمق حتى تهدأ ثم مدت يدها قائلة: «أعطني واحدة أخرى».

ناولها وارويك قطعة أخرى ثم تكرر الأمر وساعدها وارويك لإطفائها في كل مرة، وبعد العديد من المحاولات قال أليكس:

«هذا يكفي».

«لكنني لم....» قالت كيارا معترضة ليشير لها أليكس للفناء الخلفي، التفتت ووجدت أن الشمس قد غربت، ثم فسر لها أكثر:

«أنتِ منفعلة، كما أنكِ منهكة، ثم عليّ إطعامكما» أشار لوارويك وأكمل: «وهذا الشخص على وشك الانفجار» التفتت له كيارا لتجد تعابير وجهه متجهمة كالأطفال، بينما تحدث أليكس مبتعداً عنهما: «درس اليوم هو ألّا تتركي مشاعرك تقودك، فعلى الأغلب أنكِ ستفقدين السيطرة» حمل هاتفه وأدخل رقماً ثم وضعه على أذنه وأشار لوارويك قائلاً: «الدرس الثاني هو أن عليكِ إطعامه دائماً وإلا فسيفقد هو السيطرة» ثم طلب البيتزا.

رمت كيارا جسدها على الأريكة وقد شعرت بالإنهاك بالفعل، نظرت للسقف بتركيز لاحظه أليكس فقاطع أفكارها:

«لا تحاولي التدرب وحدك، قد تحرقين المنزل».

سألت بحيرة: «ألم تقل إنها لا تحرق إلا ما خرجت من أجله؟»

أليكس وهو يجلس مقابلاً لها: «وما الذي تفكرين بإحراقه الآن؟»

كيارا بعد أن اعتدلت في جلستها: «لا شيء، فقط أحاول إخراجها».

«وهذا ما توقعته» قال ثم نهاها محذراً: «لا تفعلي ذلك أبداً، فالنار العابثة تحرق كل ما حولها».

كيارا بعدم فهم: «عابثة؟»

أليكس مفسراً: «غير المُوجهة، عندما لا يوجد هدف لها، يصبح كل شيء هدفاً».

كيارا بخوف مما كانت على وشك فعله: «حقاً؟»



صاح وارويك مقاطعاً لهما من طاولة الطعام: «أين الطعام؟!!!!!»

أجابه أليكس ببرود: «في الطريق».

وارويك من بين أسنانه بغيظ: «يا لك من مضيف سيئ».

رفع أليكس كتفيه بلا مبالاة فضرب الآخر على الطاولة، بينما نظرت لهما كيارا بحاجبين مرفوعين ثم عادت واستلقت على الأريكة مرة أخرى، وبعد لحظات رن جرس الباب واستلم أليكس علب البيتزا التي طلبها، ثم وضعها على الطاولة أمامهما وتوجه للأريكة حاملاً كتاباً بيده.

«أخيراً» قال وارويك متناولاً أول قطعة ثم أنهاها في ثانيتين وتناول الثانية سريعاً أمام أعين كيارا المصدومة.

«أنت تفاجئني باستمرار» قالت ضاحكة لكنه لم يرفع عينيه لها واستمر بالأكل حتى بدأت كيارا بمشاركته، انتهى وارويك بينما حملت كيارا بيدها آخر قطعة متبقية، رمتها أمامه قائلة بتقزز: «لا أستطيع، سأتقيأ إن أكملتها» حملها وارويك بلا تردد وأكملها سريعاً، بينما أبعدت هي عينيها في اشمئزاز قبل أن تقول: «بشأن الفتى؟» ثم نظرت لأليكس وأكملت: «متى ستقوم بإحضاره؟»

أغلق أليكس الكتاب قائلاً: «لم أشعر بوجوده اليوم في المدرسة» ثم وقف وتوجه لهما وشاركهما الجلوس على الطاولة التي بدأت كيارا بتنظيفها حالما جلس، نظر أليكس لوارويك وقال: «كنت أفكر أن تذهب أنت للميتم لإحضاره بدلاً عني».

وارويك بنبرة سطحية: «إحضار الهجين؟»

«نحن بحاجته، فقد يكون ذا عون لنا» أجابه أليكس بينما انكمشت كيارا في مكانها لنبرة وارويك الباردة، وقد أحست أنه عاد لكرهها لأنها هجينة كذلك، وقفت وحملت علب البيتزا الفارغة بصمت وهمت برميها في صندوق المهملات الكبير بالخارج، وقف أليكس وأمسك بها قائلاً: «صندوق النفايات خارج حدود التعويذة، سألقيها أنا» التفت لوارويك مؤنباً: «وأنت لا تقم بالمساعدة أبداً».

رفع وارويك يده ثم فرقع بإصبعيه فاختفت العلب من يد أليكس وقال: «إذاً الهجين» اتكأ على الطاولة أمامه وأكمل: «تريد إرسالي متخفياً حتى لا نعطيهم أثراً لمكان وجود كيارا» ثم أومأ موافقاً وأضاف: «فكرة جيدة» وقف على استعداد للذهاب، ثم نظر لكيارا قائلاً لها: «لكنني أريد بعض المساعدة» ومد يده باتجاهها لتقف معه.

لأنها كيارا

استلقت آمبر على سريرها وعلى وجهها ابتسامة واسعة، بعد أن استعدت ليومها الأول في مدرسة ريفر ريتش، التفتت لحقيبتها المدرسية الجديدة وتنهدت بسعادة ثم أغمضت عينيها محاولة النوم.

وقف رو بجانب الباب متخفياً، وفهم خلال الأيام السابقة أن الميتم يرسل أفضل طالباته لمدرسة البلدة كنوع من المِنح، وأن كيارا كانت الأفضل وآمبر من بعدها، ولأن كيارا اختفت؛ أخذت آمبر مكانها.

بحث في كامل البلدة محاولاً إيجاد كيارا لكنه لم يجد أي أثر، يذهب في الصباح للبحث ويعود للميتم في المساء، يلحق بآمبر أينما ذهبت متخفياً ويراقبها بصمت، كما رأى الساحر الذي أتى للميتم باحثاً عن كيارا بشكل واضح، ولاحظ أن الساحر انتبه لوجوده لكن رو لم يظهر له لتوجسه منه.

شد على قبضتيه وهو يفكر بما قد يريده هذا الساحر من كيارا، ومن أعطاه مهمة البحث عنها، ثم تنهد بيأس لشعوره بالعجز عن حمايتها بعد أن وعدها باللحاق بها.

دخل للغرفة بعد أن هدأت أصوات الفتيات لدخولهن في النوم، جلس على سرير كيارا الفارغ وتأمل آمبر المبتسمة مغلقةً عينيها، كان



من الواضح أن حماسها لن يتركها للنوم الليلة، تنهدت بسعادة مرة أخرى ولم يستطع رو منع ابتسامته حينها.

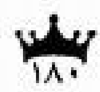
ما كانت إلا لحظات قليلة حتى انتفض جسده متأهباً للقتال فوراً، وسقط تخفيه لشعوره بهالة سحر قوية في الميتم، نفسه الساحر الذي أتى من قبل، لكن هالته أقوى الآن، شيء لم يشعر به من قبل، كان من الواضح أنه لم يأت هذه المرة للبحث، بل للقتال.

نظر لآمبر بقلق، فإن وصل الساحر إليه لقتاله في الغرفة فلن تكون الوحيدة المتضررة، فكر سريعاً وقرر سحب الساحر للخارج، انتقل في لمحة لمدخل الميتم وانتظر اقترابه ثم في لمحة أخرى انتقل للساحة الخارجية المقابلة للميتم، ما كانت إلا ثوانٍ معدودة حتى ظهر له وارويك حاملاً معه خفين ذوي لون أسود.

عقد رو حاجبيه بينما ابتسم الذي أمامه ابتسامة ملتوية مغترة لنجاح خطته، ارتاب رو منه فهالته لم تكن عادية، هالة لا يحملها أي ساحر، بل ساحر عتيق، ساحر لن يستطيع قتاله أبداً، ثم لاحظ أمراً غريباً، الخفان في يده يحيط بهما شيء غريب لم يفهمه أو يستطعْ تفسيره، حدق بهما لوهلة قبل أن يقول وارويك:

«لدي شيء لك» ضاقت عينا رو بريبة قبل أن يكمل الآخر: «شيء تبحث عنه».

ثم رفع يده التي تحمل الخفين أمامه وهزها مرة واحدة لينكشف ما كان يحيط بها... هالة كيارا، مختلفة قليلاً، لكنها بالتأكيد هالتها.



اتسعت عينا رو قائلاً: «أين هي؟»

أجابه خافضاً يده: «تنتظرك».

سأل رو بلهفة: «أين؟»

«اتبعني» قال وارويك ملتفتاً لكنه توقف عندما قال رو:

«ولم أثق بك؟»

تنهد وارويك بضجر وأجابه: «ليس لدينا متسعٌ من الوقت» ثم رفع الخفين وأكمل: «لقد انكشفت هالتها، أي أن من يبحثون عنها في طريقهم لـ...» حينها توقف وارويك لظهور عدد من الهالات السحرية حولهما فجأة، نظر لرو وتذمر بانزعاج قائلاً: «أرأيت؟»

لكن رو لم يكن منزعجاً مثله، بل كان متوتراً بشكل واضح، متأهباً للقتال، اقترب وارويك منه حتى وقف بجانبه، أمسك بذراعه ثم سحبه للخلف ببطء، استغرب رو وقبل أن يستطيع قول أي شيء ظهر ساحر أمامهما مستعداً للهجوم.

انتفض رو للدفاع لكن وارويك لوح بيده أمامه فاختفى الساحر فوراً كالغبار، عقد رو حاجبيه قبل أن يظهر ساحر آخر ليلوح وارويك بيده بلا مبالاة مرة أخرى، فاختفى الساحر سريعاً، وعندها ظهر خمسة سحرة معاً، غمغم وارويك ممتعضاً قبل أن يرفع يده باتجاههم وينقر إصبعه في الهواء ليختفوا جميعاً مرة واحدة.

نظر له رو بفم مفتوح لذهوله ثم قال: «ما الذي فعلته لهم؟»

«أرسلتهم لمكان بعيد لن يستطيعوا العودة منه قبل عدة أيام» أجابه وارويك ثم أكمل: «والآن اتبعني قبل ظهور البقية».

التفت وارويك ليظهر أمامهما ساحران، ثم اثنان آخران، ثم بدؤوا بالظهور واحداً تلو الآخر حتى ظهر أكثر من عشرين ساحراً محيطاً بكل واحد منهم قوته السحرية المهيأة للهجوم.

قال رو برهبة: «يا للهول!» فالتفت له وارويك بحاجب مرفوع وقد شعر بالإهانة لاستخفاف رو بقوته فأكمل مبرراً: «هذا ليس مكاناً للقتال» ثم أشار بيده للميتم: «هناك فتيات وأطفال بالداخل».

«حسناً إذاً» قال وارويك وفرك كفيه أمامه ثم بدأ بتفريقهما ببطء حتى ظهرت كرة سحرية فضية بينهما يزيد حجمها كلما اتسعت الفجوة بين كفيه، أحاطت عروق فضية ذراعيه وصولاً للكرة التي يولّدها أمامه، بدا لرو أنه سيقوم بتفجير المكان لكنه لم يستطع قول أي شيء لخوفه مما يراه، بدأ السحرة هجومهم باتجاههما فابتسم وارويك بغرور قائلاً: «إلى اللقاء».

ثم رفع يديه للأعلى وفرَّقهما لتكبر الكرة حتى أحاطت رو ووارويك بداخلها تماماً، في الوقت نفسه الذي وجّه فيه السحرة ضرباتهم، لكنهم لم يصيبوا أياً منهما، ثم تقلصت الكرة بسرعة حتى اختفت في الهواء بلا أثر لوارويك أو رو.

تلفت السحرة حولهم بحيرة بينما اختفى بعضهم ليمشطوا المكان، لكن سرعان ما عادوا بلا نتيجة.



قال أحد السحرة بغضب: «تباً!! فقدناهما!! لقد كان أول دليل لنا منذ أيام! والآن اختفى كل شيء!»

ربت ساحر آخر على كتفه قائلاً: «ليس كل شيء» ثم أشار للخفين اللذين تركهما وارويك خلفه على الأرض.

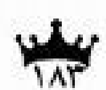
قالت كيارا بينما كانت تحوم ذهاباً وإياباً: «لقد تأخر».

«يمكنكِ الاعتماد على وارويك» أجابها أليكس ثم نظر لقدميها الحافيتين بعد أن أخذ وارويك خفيها، وقف وتوجه للطابق العلوي ثم عاد وبيده خفان آخران، توجه إليها وعندما همّ بإعطائها ما بيده ظهر خلفه وارويك وبجانبه رو، لم تنتبه كيارا لأليكس وتقدمت ببطء باتجاههما ونظراتها مثبتة على الفتى الذي أنقذها بينما بادلها هو النظرات كذلك، ملأ الاطمئنان ملامحه لرؤيتها ثم تنهد براحة وابتسم، ولدافع لم تفهمه كيارا توجهت إليه بخطوات سريعة واحتضنته، لفّ ذراعيه حولها بسعادة بينما نظر لهما وارويك باستغراب ثم توجه لأليكس الذي كان ينظر لهما بملامح باردة خالية من التعابير.

قال أليكس ببرود: «تأخرتما».

تنهد وارويك قائلاً: «واجهتنا بعض العقبات».

سأل أليكس دون تحريك عينيه عن كيارا التي ما زالت تحتضن رو: «عقبات؟»



أجابه وارويك مفسراً: «واجهنا بعض السحرة، يبدو أنهم متلهفون لقتلها، لم يأخذ الأمر دقيقة واحدة حتى ظهروا» لم يجبه أليكس فالتفت له ولاحظ بروده فوراً، فهم وارويك السبب لكن فضّل عدم التحدث بالأمر فربت على كتف صديقه وحسب، ثم انتبه للخفين في يده فقال: «تباً!» التفت له أليكس مستفسراً فأكمل متكدراً: «نسيت الخفين!»

عقد أليكس حاجبيه ثم أغمض عينيه بإحباط قبل أن يقول: «لا تخبرها».

«لكنـ..» بدأ وارويك معترضاً لكن أليكس قاطعه:

«الخوف سيبطئ من فعالية تدريبها» التفت لكيارا وأكمل: «يجب أن يكون ذهنها صافياً».

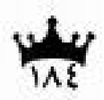
أومأ وارويك موافقاً على مضض ثم توجه للمطبخ ليعد الشاي، بينما سحبت كيارا ذراعيها من حول رو ثم أمسكت بيديه بسعادة قبل أن تسحبه لطاولة الطعام وتجلس بجانبه.

«إذاً أخبرني عنك» قالت بحماس ليتنهد أليكس ويتوجه للمطبخ، أخذ إبريق الشاي من وارويك قائلاً:

«سأعده أنا».

نظر له وارويك لوهلة ثم توجه لطاولة الطعام وجلس مقابلاً لرو الذي كان يقول:

«ما الذي تريدين معرفته؟»



«اسمك مثلاً» قالت كيارا وضحكت بإحراج.

عقد وارويك حاجبيه قائلاً: «صحيح... أنتما لا تعرفان بعضكما بعضاً» ثم نظر باستغراب ليديها اللتين تحيطان بيده.

«بلى» قال رو ثم التفت لكيارا وأكمل: «أنا أعرف كيارا».

قالت بلهفة: «حقّاً؟»

أومأ لها قائلاً: «اسمي هو رو راندكرو وأنا...».

ضحك وارويك مقاطعاً له وقال مشيراً لهما بكلتا يديه: «هذا يفسر الأمر» نظر كل من رو وكيارا إليه بعدم فهم قبل أن يكمل: «أنت من سلالة راندكرو».

خرج أليكس من المطبخ وبين يديه إبريق الشاي وثلاثة أكواب.

«سلالة؟» قال رو باستغراب في الوقت الذي وضع فيه أليكس الشاي على الطاولة، التفت له رو عندما لاحظ وجوده ثم أشار بإصبعه إليه قائلاً: «أنت!!»

نظر له أليكس ثم ليده التي تمسك بها كيارا ثم لعينيها اللتين قابلتاه فوراً، والتفت ببرود ليجلس بجانب وارويك بينما عقدت هي حاجبيها بخفة لنظراته الباردة التي لم تعتدها.

«لقد كذبت عليّ!» قال رو لأليكس الذي لم يجبه وبقي محدقاً بأيديهما، بينما بدأت كيارا تحكي له ما حدث منذ أن تركته في الساحة التي تم حرقها فيها، وكيف وصلت لأليكس وبيته المحميّ، والتدريبات التي

كانوا يقومون بها، وعندما انتهت من سرد كل شيء سأل بارتياب: «لمَ تقوم بمساعدتها؟»

شد أليكس على قبضتيه أسفل الطاولة بانزعاج مجيباً: «خلافاً عنك؛ أنا أعرف كيارا، نذهب للمدرسة نفسها ونجلس على كرسيين متجاورين يوميّاً، لا أحتاج لسبب حتى أقوم بمساعدة صديقة».

عقد رو حاجبيه بعدم ارتياح وتبادل نظرات حادة مع أليكس، بينما بدا وارويك مستمتعاً بالأمر، نقلت كيارا نظراتها بينهما بعدم فهم لما يجري لكنها شعرت بالتوتر في الجو فقالت:

«وارويك!» توترت قليلاً عندما التفت الجميع إليها فجأة لكنها أكملت: «كنت تقول أمراً عن سلالة ما؟»

«أجل» قال وارويك ثم أمسك الإبريق وبدأ بسكب الشاي مردفاً: «أبناء الغراب» نظر لرو وقال باستغراب: «لا يبدو أنك ملمّ بالأمر» هز رو رأسه فسأل وارويك واضعاً كوب كيارا أمامها: «ألا تعرف أصولك؟»

أجابه رو: «توفي والدايَ قبل أن أستطيع المشي، لا أعرف عنهما إلا ما قيل لي».

نظر له وارويك بأسىً وقال مناولاً كوب الشاي له: «أسف بشأن ذلك».

قال رو بابتسامة صغيرة: «لا بأس، أنا لم أعرفهما حقّاً».



قال وارويك قبل أن يأخذ رشفة من كوبه: «إذاً، ما الذي تعرفه؟»

«لا أعرف عن أبي سوى اسمه، رونالد راندكرو» أجابه رو ثم أضاف: «وأنه من المتغيرين».

«صحيح» قال وارويك «سلالة راندكرو هي سلالة المتغيرين للغربان، يلقبون بأبناء الغراب، قواهم فريدة من نوعها» توقف وأخذ رشفة من الشاي ثم انتبه لملامح رو المليئة بعلامات الاستفهام فقال: «أراهن أنك لا تعلم أي شيء عن قواك» هز رو رأسه نفياً، فالتفت وارويك لأليكس وقال ساخراً: «طفلان يتيمان جاهلان تماماً، لا بد أنهما زوجان مقدران».

صرّ أليكس على أسنانه بينما ضحك رو بارتباك قائلاً:

«لا، لا يمكننا ذلك» نظر لكيارا وأكمل: «نحن عائلة».

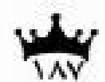
استقامت كيارا في جلستها بأعين متسعة وقالت بصدمة: «عائلة؟»

أومأ رو قائلاً: «والدتي آبيغايل آيليس هي أخت ماكسين آيليس» صمت قليلاً ثم أكمل: «والدتك».

صمتت كيارا لوهلة لاستيعاب الأمر قبل أن تقول بإحباط: «إذاً ما قاله أليكس صحيح، أنا ابنة الساحرة التي حاربت عشيرتها».

شد رو قبضته حول يدها وقال مواسياً: «وأنا ابن أختها التي ساعدتها».

عم الصمت في المكان أثناء شربهم الشاي وجلوس أليكس بصمت بارد أربك كيارا قليلاً قبل أن تتذكر أمراً ما، نظرت لرو وقالت:



«أين كنت خلال الأيام السابقة؟»

تذكر رو آمبر فاحمرت وجنتاه بخجل وأجابها مرتبكاً: «هنا وهناك».

سأل وارويك: «هل أنت من نظفت هالتها؟»

أومأ مجيباً: «ظننت أنه من الأفضل عدم وجود أي خيط يرشد لمكانها» نظر حول المنزل وأكمل: «لم أعلم أنها تحت حماية مشددة».

شعرت كيارا بامتنان بالغ له، لم تر الاهتمام سابقاً ولم تفهم لم قد يهتم شخص بها، لكن الآن لديها رو وأليكس، ووارويك نوعاً ما بما أنه لا يحاول قتلها بعد الآن، ما زال الأمر غريباً بالنسبة لها، ولم تجد تفسيراً منطقياً.... توقفت أفكارها عند كلمة تفسير فنظرت لوارويك وقالت:

«لكن... ما الذي كنت تقصده سابقاً؟»

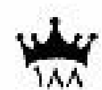
قال وارويك: «بشأن ماذا؟»

قالت بعدم فهم: «لقد قلت إن اسم رو يفسر الأمر؟ يفسر ماذا؟»

ابتسم وارويك وقال مشيراً لها ولرو: «ألا تلاحظين أمراً غريباً بينكما؟»

نظرت كيارا لرو فابتسم لها، عقدت حاجبيها في حيرة قبل أن تقول: «لا، أبداً».

«هذا هو الأمر الغريب» قال ثم اتكأ على الطاولة بذراعيه وأكمل: «ألا ترين أنكِ تألفينه قبل التعرف عليه؟!»



تذكرت حينها كيارا ثقتها الغريبة برو منذ لقائه، أمر لم تستطع تفسيره ولم تفكر بأمره، بل انجرفت خلفه من غير تشكيك، لم تشعر أن الأمر غريبٌ أبداً، بل طبيعي دون معرفة السبب.

«أتريدين التفسير؟» اقترح واررويك بعد انعقاد حاجبي كيارا لوقت طويل، أومأت له بصمت ففتح فمه للتكلم لكن أليكس سبقه وقال بتبرم:

«هو غراب وأنتِ عنقاء» ثم نظر لها وأكمل: «لقد أخبرتك أن الطيور تخدم العنق».

صاح وارويك معترضاً: «أليكس!! لقد أخبرتها بأفضل جزء!! لا تأخذ مني لحظتي!»

«إذاً خذها» قال أليكس منزعجاً ثم وقف وحمل الإبريق والأكواب متوجهاً للمطبخ تحت أنظار كيارا التي لم تفهم سبب تبدل مزاجه المفاجئ.

أخذ وارويك نفساً عميقاً مهدئاً نفسه ثم قال: «على أي حال» وبدأ بالشرح لها أن جميع الطيور تخدم العنق وأن العنق تحكمها وتستعين بها كثيراً، ولأن رو يحمل دم أبناء الغراب فهو تحت أمر كيارا التي تحمل دم العنق، ثم وضّح أكثر: «خلاصة الأمر أنكِ تستطيعين الثقة به تماماً، فهو لا يستطيع خيانتك أبداً، دمه لن يسمح له».

لكن رو قاطعه حينها بانفعال: «لن أخونها أبداً!!»

نظر وارويك لكيارا وأشار لرو قائلاً: «هذا ما أقصده، عقله لا يتقبل مجرد التفكير بالأمر» ثم أشار لها بيده الأخرى متابعاً: «وأنتِ في اليد الأخرى لن تتحملي خسارته أو أذيته لإحساسك بالمسؤولية تجاهه» ثم سكت قليلاً وهو يفكر بالأمر قبل أن يقول: «علاقتكما أشبه بأم وأطفالها».

قال رو بعد أن التبس عليه الأمر: «لكن.. أنا لم أتحول من قبل، كنت أعلم أن والدي متغيّر، لكن لم أعلم أنه من أبناء الغراب سوى الآن، فكيف لي أن أكون غراباً؟!»

«الأمر ليس غريباً بما أنه توفي قبل أن يستطيع تعليمك» أجابه وارويك ثم أردف: «لكن دمه يجري في عروقك، لذا ولاؤك لها أمر مسلّم» صمت متفكراً ثم اقترح: «ربما أستطيع تدريبك أنت أيضاً».

قالت كيارا بسخرية غير مصدقة لما سمعته: «تدريبه على أن يصبح هجيناً؟ من بين الجميع! أنت؟!»

هزّ وارويك كتفيه بلا اكتراث: «هو هجين في كل الأحوال» ثم نظر لرو بعناية قبل أن يتحدث: «سأرى إن كان سومو أم لا، إن كان كذلك؛ فمن الأفضل له الاستفادة من جميع قواه بدلاً من تركها بلا جدوى» ثم أسند ظهره على الكرسي مضيفاً: «إذا كنت ستأخذ سلبيات كونك سومو؛ فتيقن من أخذ الإيجابيات أولاً» ضحكت كيارا بعدم تصديق فقال وارويك بنبرة آمرة: «لا تستغربي كثيراً يا صغيرة واذهبي للنوم» توقفت عن الضحك فجأة فأكمل: «أنا لا أتهاون في مهامي ومهمتي

الآن هي تدريبك..» توقف ونظر لرو ثم صحح كلامه: «تدريبكما، والآن اذهبا للنوم فغداً يوم حافل».

عندها أتاهم أليكس وقال لرو مشيراً للغرفة التي استخدمتها كيارا سابقاً: «يمكنك استخدام تلك الغرفة».

تركت كيارا يد رو ووقفت ليتبعها هو الآخر، أعادت الكرسي لمكانه ففعل رو المثل ثم نظر لها منتظراً خطوتها التالية، توجهت حينها للدرج ولاحظت ملاحقته لها فالتفتت وأعلمته:

«غرفتي بالأعلى» ثم أشارت للغرفة الخالية من النوافذ: «وتلك غرفتك» أومأ لها فقالت: «ليلة سعيدة».

ابتسم لها وعندما همّ بالذهاب لغرفته انتبه لها تلتصق بالحائط وتصعد ببطء وحذر، فسأل بتعجب:

«ما الأمر؟»

توقفت كيارا بهدوء وقالت متذمرة دون أن تلتفت: «أنا لا أحب هذا الدرج أبداً».

ضحك رو ثم قال: «أفهم من كلامك أنكِ لم تتعلمي الطيران بعد».

تنهدت مكانها وقالت متمنية: «قريباً، على ما أتمنى» ثم أكملت صعودها.

هز رو رأسه باستسلام مبتسماً، ثم صعد الدرج حتى أصبح خلفها، وضع يداً خلف كتفها والأخرى خلف ركبتيها ثم حملها بسرعة،



شهقت كيارا بفزع لكن لم يطل الأمر حتى أدركت ما يحدث فأمسكت برقبته بكلتا يديها، صعد رو الدرج ببطء حتى لا تخاف بينما راقبهما أليكس بصمت.

وصل رو للطابق العلوي وأنزلها ببطء، ابتسمت له بإحراج ليبادلها الابتسامة، ثم التفت لينزل فوجد أليكس خلفه تماماً، تفاجأ لرؤيته لكنه تدارك نفسه فوراً وأومأ له باقتضاب قبل أن ينزل ويتوجه لغرفته.

قالت كيارا لأليكس بينما كان متوجهاً لغرفته: «ليلة سعيدة» لم يجبها فنادته باستغراب: «أليكس؟» توقف حينها والتفت لها بهدوء ونظر لها بوجهٍ خالٍ من التعابير، ارتبكت لنظراته وبروده تجاهها فسألت: «هل نحن نثقل عليك؟»

قال باستنكاز: «نحن؟!»

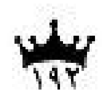
أجابته: «أنا ورو».

قال أليكس ساخراً بنبرة مشحونة: «منذ متى أصبحتما نحن؟»

تضايقت من نبرته وأكملت بحزن: «إن كان وجودنا يثقلك، فسنرحل و....»

قاطعها غاضباً: «أنتِ لا تعرفينه!!»

واقترب منها بسرعة الضوء.. لم يستخدم أليكس قواه أمامها من قبل، بل كان حذراً حول كيارا دائماً، لكنه لم ينتبه لنفسه الآن مما أفزعها، فأجفلت وعادت خطوة للوراء بأعين متسعة، بينما قال هو مقترباً منها:



«عرفتِ اسمه اليوم وأصبحتما نحن؟ أفهم علاقة الطيور التي تربطكما لكن ذلك لا يبرر احتضانه أو التعلق بيده كالبلهاء! ذلك الفتى لا يحبك لكونك كيارا، بل لكونك عنقاء، ألا تدركين الفرق؟» تغرغرت عيناها بالدموع سريعاً فأنزلت رأسها لتخفي انكسارها، عقد حاجبيه وعاد للوراء محاولاً تدارك ما حدث: «لم... أقصد.....»

قاطعته بغصة: «يكفي أنه يحبني... لا أعلم قصتك أو ما مررت به وإن كان مشابهاً لي لكن....» رفعت رأسها ناظرةً له فسقطت دمعة على وجنتها: «لو حُرمت من الحب للدرجة التي حرمتها أنا، فستعلم لم لا يهمني دافعه......، أنت لديك وارويك الذي يهتم لأمرك كثيراً، لذا لا أظن أنك ستفهم... أنا لم يكن لي أي أحد من قبل» التفتت وتوجهت لغرفتها، فتحت الباب ثم توقفت وقالت مواجهةً غرفتها: «أنا ممتنة لك أكثر» مسحت دموعها وأكملت: «رو أنقذني رغماً عنه، أما أنت فتساعدني بإرادتك» حينها التفتت له ونظرت لعينيه مضيفة: «ولذلك سأظل مدينةً لك دائماً».

ثم دخلت وأغلقت الباب أمام أليكس الذي لام نفسه ألف مرة لشعوره بالذنب مما قاله، وقف في مكانه ينظر لبابها المغلق للحظات قبل أن يقطع شروده صوت وارويك الساخر:

«أنت سيئ في أمور الفتيات» التفت له أليكس بينما أكمل مستمتعاً: «كان يجب عليك السيطرة على غيرتك».

قال أليكس بنبرة محذرة متجهاً لغرفته: «لا تزعجني!»



توقف وارويك عن مزاحه وقال بجدية: «منذ متى وأنت تحبها؟»
التفت له أليكس ونظر له بصمت فأردف: «أعرفك منذ عدة قرون، وأنا متيقن أن اهتمامك بها لم يبدأ عندما سقطت في باحتك الخلفية».

تنهد أليكس وقال بهدوء: «ثلاثة أعوام، منذ قدومي لريفر ريتش».

سأل وارويك باستغراب: «لماذا؟ هل لأنها عنقاء؟»

هز أليكس رأسه مجيباً: «لم أعلم حينها أنها عنقاء».

«إذاً؟» قال وارويك بحيرة فأجاب أليكس بصوت منخفض: «لأنها كيارا».

طالما أنها أنتِ

استيقظ رو على صوت ضحكات كيارا فخرج من غرفته ليجدها أمام المطبخ في حالة مزرية؛ ملابسها نصف محترقة، دخان يخرج من أطراف شعرها، خدّها الأيمن ملطخ باللون الأسود، ومع ذلك كانت تقفز من السعادة وبيدها قطعة نجيل مشتعلة من الأعلى.

صرخت بسعادة: «لقد نجحت!!!»

لم يفهم رو ما يحدث في البداية لكن سعادة كيارا وابتسامة وارويك الفخور فسرتا له أنهما وسط تدريب من نوع ما، مضت تلك الأيام بهذه الطريقة، وارويك يدرب كيارا صباحاً ثم يدربها أليكس مساءً بينما يدرب وارويك رو وقتها.

تعلمت كيارا الكثير من المهارات بسرعة، وأهمها كان الطيران، حيث لم تعد خائفة من الصعود للطابق العلوي، أما كوابيسها فاستمرت بشكل يومي، ولم تخبر أحداً بها، ورغم انتباه أليكس لنومها المضطرب كل ليلة؛ لم يسألها عن نوع كوابيسها ظناً منه أنها تتعلق بليلة الإعدام التي مرت بها.

لاحظت أن وارويك وأليكس ينفردان بالحديث همساً بعد كل تدريب ويغيران الموضوع بشكل مريب كلما اقتربت منهما، لكنها لم تسأل أبداً رغم تكرر حدوث ذلك.

وبالنسبة لرو فقد تقرب كثيراً من وارويك، فكلما حكى له رو

عن الطريقة التي عاش بها وسط عشيرته منبوذاً؛ علمه وارويك أكثر وشعر بالمسؤولية تجاهه، أخذه تحت جناحه ودربه بشكل مكثف حتى عند اكتشافه أن رو ليس مجرد هجين، بل سومو.

تفاجأ رو من القدرات التي كان باستطاعته ممارستها، ليس كغراب فقط، بل كساحر، علم حينها أن إستل حرصت على قمع قوته بشكل مشدد لسبب لا يعلمه.

تعلّم أنه كغراب بإمكانه بثّ شعور الموت لمن أمامه حتى تشلّ حركته تماماً ويمتلئ بالخوف والاضطراب اللذين يجعلان قواه غير مستقرة، وتلك موهبة خاصة بأبناء الغراب وتسمى زيروسكو، أخبره وارويك ببعض الأساطير التي تقول إن بعض أبناء الغراب الأقوياء يستطيعون بثّ شعور الموت لجيش كامل في وقت واحد لكنه لم ير ذلك بنفسه لذا لا يعلم عن مدى صحة الأمر.

تعلم رو كيفية التواصل مع الغربان أيضاً والأهم من ذلك كله التحول لغراب، أخذ الأمر منه بعض الوقت لكنه أتقنه في النهاية جاعلاً وارويك فخوراً بشدة.

ولأن وارويك يدرب كيارا وحدها صباحاً، أراد رو الالتحاق بالمدرسة مع أليكس، ورغم استغراب الجميع من طلبه إلا أن وارويك ساعده بتزييف بعض الأوراق بنجاح وعلمه كيفية إخفاء هالته من باب الحرص، انزعج أليكس حيث كان من الواضح عدم تقبله لرو



منذ البداية، لكن الأمر لم يدم طويلاً بعد أن لاحظ سريعاً سبب التحاق رو بالمدرسة.... آمبر.

سجل رو في جميع حصصها، حتى المكثفة التي لم يفهم منها شيئاً، وجلس بجانبها ومشى خلفها طوال الوقت، ورغم عدم اكتراثها به لم يمل من الأمر، لم تكن تتحدث كثيراً وكانت إجاباتها له سريعة ومختصرة لكنه لم يشعر بالكلل منها أبداً.

«هل وجدتها؟» كانت أول كلمات تقولها آمبر لرو دون أن يفتح هو النقاش، كانت نبرتها باردة كالمعتاد وحملت بين حروفها التردد الذي لم يعتده منها، وعندما لاحظت ملامح وجهه الحائرة قالت موضحة: «كيارا..... كنت تبحث عنها في الميتم» ترددت مرة أخرى لكنها أضافت أخيراً: «أتساءل إن كانت بخير».

لاحظ القلق الذي حاولت بجد إخفاءه، وتساءل إن كان سبب قلقها على كيارا كونها يتيمة مثلها ولن يبحث عنها أحد، أراد طمأنتها وإزالة التعابير الغريبة التي لم يعتدها بوجهها، فكيارا على خير ما يرام لكنه لا يستطيع إعلامها بذلك، فاكتفى بهز رأسه لتفهم آمبر أنه لم يجدها وتعقد حاجبيها تبعاً.

كره أنه كذب عليها وكره ملامحها المضطربة التي استمرت لبقية اليوم المدرسي، لم يظن رو أنها كانت قلقة بشأن كيارا طوال المدة السابقة، فعندما سأل كيارا عنها كانت أغلب القصص تتضمن كلمات آمبر القاسية لها.

تساءل عما كان يدور في رأسها لكنها لم تكن من النوع الذي يفصح عما في داخله أبداً، لذا لم يقم بسؤالها رغم أنها بدت متضايقة، ولم يتغير حاجباها عن وضعهما المعقود، مضى اليوم ولم يعلم رو ما الذي فعلته آمبر بعدها، لكن الشرطة أتت اليوم التالي للمدرسة وتم التحقيق مع جميع الطلبة، وتحول الأمر لقضية شخص مفقود، لم تقل آمبر أي شيء عندما سألها رو إن كانت هي خلف ما يحدث، لكنه كان متيقناً أنها من بلغت عن اختفاء كيارا، مما جعله يعجب بها أكثر.

كانت آمبر هادئة وقوية في الوقت نفسه لذا لم تصبح هدفاً سهلاً لرايتشل كما كانت كيارا أبداً، كلما حاولت رايتشل إهانتها كانت آمبر ترد لها الإهانة مضاعفة، لكن ذلك لم يمنع رو من إرسال غربانه للتبرز فوقها أو فوق سيارتها، حتى عندما استسلمت رايتشل عن مضايقاتها في النهاية لم يتوقف رو عن ذلك لدرجة أنها أصبحت تتجول بمظلة طوال الوقت.

دخل أليكس ورو للمنزل في الوقت نفسه يضحكان ويتعاركان عن الفائز في السباق، أمضى أليكس عدة أسابيع يتجاهل رو ويعود للمنزل دون الاكتراث له، ثم أصبح ينتظره للتسابق معه بعد أن ازداد رو قوة، حتى بات ذلك سباقاً رسمياً بشكل يومي.

قال رو وسط أنفاسه المتقطعة: «لقد غششت!»



أجابه أليكس مبتسماً ابتسامة ملتوية: «أنت تقول ذلك كلما خسرت».

رو محتجّاً: «لقد رميتني بحجر!!»

أليكس مبرراً: «وأنت اختفيت قبل أن يصيبَك».

قال رو واضعاً حقيبته أرضاً: «لكنه شتت انتباهي».

«أنت دائماً تحتج عندما تخسر» قال أليكس ثم أضاف: «أنا لا أقول شيئاً عندما تفوز».

ضحك رو بخفة قائلاً: «لأنني أفوز بعدل».

ضحك أليكس حينها مردفاً: «صحيح، أنت ما زلت طفلاً بريئاً».

عقد رو حاجبيه وقبل أن يرد عليه سمع صوت وارويك وكيارا من المطبخ، تقدم لهما ليسمع ما يدور بينهما، بينما توجه أليكس لغرفته لقدرته على سماعهما من أي مكان في المنزل، بدأ بتغيير ملابسه في الوقت الذي كان يقول فيه وارويك:

«ما أقصده هو أن التوجس من الغرباء أمر طبيعي» وضع البارميزان فوق طبق الريزوتو بينما أكمل: «ولا أخفي أنني كنت متوجساً منكِ كثيراً».

قالت كيارا ساخرة بينما كانت تغسل الأدوات التي استخدماها أثناء الطبخ: «حقّاً؟ لم ألاحظ».

استكمل وارويك حديثه حاملاً طبقين بيديه: «لكن الآن بما أنني

أعلم أنكِ بالفعل كنتِ جاهلة بما يدور حولك؛ كلما تذكرت كيف بدوتِ في تلك الليلة شعرت بغضب عارم تجاه المدعوة إستل» جففت كيارا يديها بينما توجه وارويك لطاولة الطعام متجاوزاً رو الذي لم يفهم مجرى الحديث بعد، ثم أكمل واضعاً الأطباق على الطاولة: «إذا وصل الأمر للقتال؛ فاتركوا إستل لي» ثم عاد للمطبخ لإحضار بقية الطعام «لنرى مدى قوتها عندما تتعارك مع شخص بحجمها».

أحضرت كيارا الملاعق وابتسمت لرو الذي فهم أخيراً سبب انزعاج وارويك، فغضبه تجاه إستل كان يزداد يوماً بعد يوم، وكان يعبر عنه كلما تذكر معاملتها لرو أو حرقها لكيارا، خلع رو معطفه ثم جلس إلى الطاولة معهما بينما كانت كيارا تقول:

«لقد مررت بوقت عصيب في تلك الليلة وأنا أحاول التبرير لك ما لم أفهمه بنفسي».

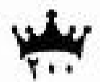
قال وارويك بسخرية وهو يفرد منديل المائدة فوقه: «أعتقد أن أكثر شيء أثار شكوكي نحوك هو الكتب».

رو بوجه متسائل: «كتب؟»

كيارا بعدم تصديق: «أنت ما زلت تظن أنني أكذب؟»

نظر وارويك لرو وفسر له ساخراً: «في أول ليلة لها هنا قالت إن لديها كتاباً عن السحرة، وإنها تعلمت منه عن السحرة المنشقين».

«أتقصد الكتب التي كانت أسفل سريرها؟» قال رو متناولاً أول قضمة ثم أكمل بدهشة: «امم ما هذه الأكلة؟»



كيارا بدهشة: «أجل!! أسفل السرير! هل أنت من أخذها؟»

وارويك ببلادة: «هناك كتب بالفعل؟»

أومأ رو بينما مضغ ما في فمه ثم قال: «لقد أخذت كل أشيائك وخبأتها عندما نظفت هالتك» أخذ قضمة أخرى «لقد نسيت أمرها،.... واو هذا الطعام مذهل».

قالت كيارا بتذمر لطيف: «رو! اترك الطعام وركز معي قليلاً!» ثم أكملت بتلهف: «هل يمكنك إحضارها؟»

«سأحضرها بعد الطعام» وعدها رو لكن وارويك اعترض فوراً:

«لن تتهرب من التدريب!» أشار له بسبابته آمراً: «ستكمل تدريبك اليومي ثم ستحضر الكتب».

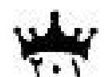
رفع رو يديه أمامه كإشارةٍ للاستسلام وقال بجدية مصطنعة: «حاضر سيدي».

تنهد وارويك ثم ابتسم متحمساً وقال: «هذه الأكلة اسمها ريزوتو، وهي إيطالية الأصل».

ملأ رو فمه بقضمة أخرى وقال بفم ممتلئ: «إنها شهية جداً، هذه أكلتي المفضلة من الآن فصاعداً».

كيارا وهي تهز رأسها: «أنت تقول هذا لكل أكلة يعدها وارويك، أنت نهم وحسب».

وارويك بغرور: «وهل تلومينه؟ أنا جيد في كل شيء».



«ومغتر كذلك» قال أليكس مقترباً منهم حاملاً كتاباً بيده ثم نظر لكيارا: «مرحباً كيارا».

ابتسمت كيارا بسعادة ما أن رأته وأومأت له قائلة: «أليكس».

قاطع وارويك نظراتها محتجّاً: «وما العيب في القليل من الغرور؟»

أليكس بحاجب مرفوع: «القليل؟»

قالت كيارا بابتسامة مصطنعة: «لا بأس بالغرور» ثم أكملت بجدية: «لكن لا تعلمه لرو».

«لا تقلقي بشأن رو» قال أليكس ثم ضحك مكملاً: «ستعلمه معاملة آمبر الباردة كيف يتواضع».

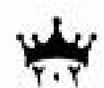
ضحك وارويك وأطبقت كيارا شفتيها لتمنع ضحكتها من الهروب بينما تجهم وجه رو واسودت عيناه ليبثّ شعور الموت تجاه أليكس مستخدماً قوة الزيروسكو، تجمد أليكس في مكانه لوهلة قبل أن يضرب وارويك يده على الطاولة ويقطع هجومه ثم قال محذراً:

«رو!! لا تستخدم قواك كلما انزعجت!» التفت لأليكس الذي رفع كتفيه بعدم اكتراث وأكمل: «خاصةً على الأصدقاء».

قال رو بنبرة مشحونة: «لكنه يزعجني بأمر آمبر كلما سنحت له الفرصة».

تنهد وارويك قائلاً: «إذاً درس اليوم عن تمالك الأعصاب».

«لا يهم» تذمر رو ممتعضاً وملأ فمه بالطعام بينما هزّ وارويك رأسه باستسلام.



التفت أليكس لكيارا وقال لها غير مبالٍ لما حدث: «أنهي طعامك سريعاً» ثم أكمل أثناء توجهه للأريكة: «سنبدأ التدريب مبكراً حتى أستطيع الاصطياد الليلة».

قال واروِيك متجاهلاً انزعاج رو: «ما قائمة الطعام هذه المرة؟»

جلس أليكس وفتح كتابه قبل أن يجيب: «شممت بعض الغزلان في المنطقة بالأمس» ثم بدأ بقراءة كتابه في صمته المعتاد.

انتهى الثلاثة من أكلهم بعد لحظات وبدأ رو بمساعدة كيارا في التنظيف قبل أن يذهب للاستحمام بينما توجه كل من كيارا وأليكس للتدرب في الفناء الخلفي.

لاحظ أليكس انشغال أفكار كيارا فسأل: «ما الأمر؟»

«هاه؟» قالت عندما قطع شرودها ثم تمالكت نفسها وأكملت: «كنت أتساءل» أدارت نظرها للمنزل قائلة: «لماذا يخلو منزلك من النوافذ؟» أعادت نظرها إليه: «أذكر أن أمر الشمس ومصاصي الدماء مجرد خرافة، كما أنك تذهب للمدرسة بلا مشكلات...»

«تزعجني» قاطعها أليكس متجهماً «الحرارة تزعجني».

«ألهذا تعتمر قلنسوة دائماً؟» سألت وأومأ لها بصمت فأكملت بشرود: «ولكن لم لديك نوافذ عملاقة في غرفتك إن كنت لا تحب الشمس؟»

«لأنني أحب رؤية السماء في الليل» أجابها ثم تذكر أمراً ما فابتسم ابتسامة ملتوية وسأل بنبرة لعوب: «كيف تعرفين نوافذ غرفتي؟»

احمرّت وجنتا كيارا بإحراج متذكرةً تسللها لغرفته، وأنبت نفسها داخليّاً لكشفها عن الأمر بنفسها، فتحت فمها لكنها لم تجد أي شيء يقال.

قال ليربكها أكثر: «هناك أمر لم أفهمه، لم لمستِ كل شيء؟» شعر بالانتصار عندما لاحظ وجهها المصدوم ولم يستطع منع ابتسامته فمسح على فمه بيده ليخفيها قبل أن يكمل: «أفهم أمر المكتب والمصباح، لكن الجدران!»

«كيف... منذ... متى وأنت..... تعلم؟» قالت متلعثمةً بارتباك، فالأمر برمته محرج، لكنها لم تعلم أنه علم بالأمر كل ذلك الوقت.

قهقه أليكس بطريقة غير مسبوقة قبل أن يتمالك نفسه ويقول: «رأيت هالتك فور عودتي».

خفضت رأسها بإحراج وتصاعدت الدماء لوجهها أكثر، أبعد أليكس نظراته عنها وكتم أنفاسه فور ملاحظته لوجهها المتورد حتى يحجب رائحة الدم، ثم أغمض عينيه وعقد حاجبيه بانزعاج لضعفه الذي يكرهه، فقرر فوراً أن يواجه الأمر بدلاً من الهروب منه ككل مرة، كان قراراً متسرعاً لكنه وعد نفسه بأنه لن يتراجع عنه، فتح عينيه وأعاد نظره إليها ببطء، تقدم باتجاهها حتى وقف أمامها ثم وضع يده أسفل ذقنها ورفع وجهها حتى التقت أعينهما، ابتسم لها بدفء قائلاً:

«لن يزعجني الأمر بعد الآن» وأكمل لنفسه:

(أعلم أنني أستطيع المقاومة طالما أنها أنتِ)..

تشوشت أفكار كيارا تماماً ولم تفهم مقصده، فقد أحست أن عينيه تحاولان سحبها للغوص بداخلهما، رمشت بعينيها بعد وهلة للخروج من ذلك التيار الجاذب، وبعد أن عادت للواقع تساءلت إن أزعجه دخولها لغرفته أم لا، ولم تتوقع أن أليكس يقصد بكلماته أمراً مختلفاً تماماً.

قال ممازحاً: «ماطلتِ التدريب بما فيه الكفاية».

ضحكت بخفة وقالت: «ألا أستطيع المماطلة أكثر؟»

هز رأسه باستسلام ثم توجه لموقعه وقال: «أصيبيني إن استطعتِ».

وبهذا بدأ التدريب، كان أليكس يستخدم سرعته حتى يتفاداها أثناء تدريبها على الهجوم، وكان ينجح في تفاديها بسهولة بالغة مما يثير استياءها ويشتت توجيهها لضرباتها أكثر.

«كيارا!» قال بعد أن كادت تحرق شجرته الوحيدة «غضبك يفوز عليكِ دائماً» التفت لشجرته ثم لها مرة أخرى «عليكِ الحذر عند التعامل مع النار، فعندما توجهينها بعدم تركيز ستـ.....»

«ستحرق كل ما أمامها» أكملت بعصبية درسه المتكرر «أعلم ذلك، لقد أخبرتني مئة مرة».

عقد حاجبيه ثم قال ببروده الذي باتت تعلم أنه ينم عن غضبه: «إن كنتِ تعلمين فابدئي بالتنفيذ بدلاً عن الاستهتار» توقف قليلاً متمالكاً

نفسه قبل أن يكمل بنبرة أقل حدة: «قد ترتكبين أخطاءً فادحة إن فقدتِ تركيزك» شعرت حينها بالإحراج من نفسها فاكتفت بالإيماء، تنهد أليكس ثم أردف: «لنبدأ مرة أخرى».

واستكملا تدريباتهما لعدة ساعات أخرى قبل أن تقول كيارا بإنهاك: «لنكمل غداً... أرجوك!»

نظر أليكس لساعة يده ثم قال: «حسناً، سأذهب للاصطياد» أشار للطابق العلوي «دروس اليوم في المكتبة».

«شكراً» قالت بامتنان من بين أنفاسها المقطوعة ليومئ لها ويختفي من أمامها بسرعة بين أشجار الغابة القريبة من فناء المنزل.

سيطرت على رئتيها المحتجتين ثم دخلت للمنزل لتجد وارويك يجلس فوق طاولة الطعام، واضعاً قدميه على الكرسي أمامه، ومتكئاً بساعديه على ركبتيه، ثم انتبهت لرو المستلقِي على الأرض بإرهاقٍ شديد.

«هل أصبتِه؟» قال وارويك وعندما بان الإحباط على وجهها أكمل مواسياً: «لا تحبطي هكذا».

«الدرس المعتاد» أعلمته ثم أكملت مقلدةً صوت أليكس: «نار غير موجهة تساوي خطأً فادحاً».

ضحك وارويك لتقليدها السيئ ثم أردف: «لو كان أليكس يريد أذيتك بالفعل لاستطعتِ تحديد اتجاهه وإصابته بسهولة» نظرت له

كيارا بعدم فهم فوضح أكثر: «حواسك تتضاعف قوتها وقت الخطر الفعلي، ستستطيعين توجيه نارك بإتقان وقتها».

تنهدت متمنية: «آمل ذلك» ثم توجهت لرو وركلت قدمه بخفة: «انهض وأحضر كتبي من فضلك».

قال وارويك بصرامة: «لا! لم ننته من التدريب بعد».

«لاااا» تذمر رو باكياً وابتسمت كيارا للطافته قبل أن تتركهما وتتجه للطابق العلوي.

استحمت سريعاً ثم اتجهت للمكتبة حيث تذاكر دروسها بشكل يومي، عدم الذهاب للمدرسة أحزنها كثيراً لذا سجل لها أليكس الملاحظات كل يوم حتى تكمل دروسها من المنزل، رغم معرفتها أنه يحب ادعاء النوم في المدرسة إلا أنه أصر على تدوين الملاحظات لها.

سألته عن سبب ادعائه للنوم دائماً وهو مخلوق لا ينام أبداً، فأخبرها أن ذلك يبعد الأنظار عنه، كما أن إهماله يساعده على الرسوب دون لفت الانتباه والرسوب يعطيه وقتاً أطول في المدرسة، وأنه يفعل كل ذلك لأنه يحب الوجود حول البشر، ووسط استغراب كيارا من الأمر كله كونه مصاص دماء، ووجوده حول مصادر طازجة للدم أمر مزعج بلا شك، كان وارويك يردد لها دائماً: «أليكس مختلف» دون أي تفسير لمعنى ذلك، ثم عادت فجأة للحاضر بعد أن قطعت سلسلة أفكارها طرقات خفيفة على الباب.

رفعت نظراتها في الوقت نفسه الذي مد فيه رو رأسه من خلف الباب مبتسماً: «أنا ذاهب الآن».

قالت وهي تبادله الابتسامة: «هل أفرج المدرب عنك؟»

قال ضاحكاً: «أجل، بعد تذمر طويل» ثم أكمل قبل أن يخرج ويغلق الباب: «سأعود بسرعة».

عادت كيارا لاستذكارها ثم نزلت لتحضير العشاء بعد أن انتهت، وجدت وارويك في المطبخ قبلها فسألت:

«ماذا على العشاء؟»

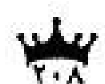
«بقي بعض الريزوتو» أجابها ثم التفت لها واقترح: «ما رأيك بتسخينه وإضافة شرائح الدجاج المشوي بجانبه؟»

«خطة رائعة» قالت وصفقت بيديها للبدء.

كان الإعداد سريعاً كالمعتاد مع سحر وارويك ونار كيارا التي اعتادت استخدامها في الطبخ مؤخراً، لاحظت توتر وارويك من تأخر رو والتفاته المتكرر للساعة، وتساءلت إن كان هناك ما يدعو للقلق، أرادت سؤاله عند انتهائهما من إعداد الطاولة لكن رو ظهر حينها في المنزل وبيده حقيبة ثقيلة.

قال مستنشقاً الرائحة: «رائحة شهية» ثم رفع الحقيبة قليلاً وأكمل: «هذه هي كتبك وبقية ما كان في الميتم».

قال وارويك مقتضباً: «لقد تأخرت!»



ابتسم رو بإحراج وأجابه: «لقد محوت هالتها حتى لا يستطيع أحد تتبعها» حك مؤخرة رأسه مكملاً: «ونسيت أين خبأتها، لذا أخذ البحث بعض الوقت دون القدرة على التتبع».

تنهد واروِيك باستسلام وارتياح قبل أن يقول: «لن تخرج وحدك بعد اليوم».

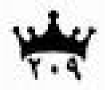
ابتسمت كيارا لرو الذي بادلها الابتسامة فوراً وقالت: «تعال لتأكل».

وضع الحقيبة أرضاً على عجل وجلس إلى الطاولة ليأكلوا جميعاً، كانت كيارا تأكل بسرعة أكثر من العادة، وتنظر باتجاه حقيبتها كل دقيقة وكأنها ستختفي من مكانها، انتهت من طعامها وبقيت مكانها في انتظار أن ينتهي البقية.

«إذاً» قال واروِيك ثم التفت للحقيبة «هذه هي الكتب الشهيرة» أومأت كيارا بحماس فأردف مبتسماً: «يمكنك الذهاب يا كيارا، سننظف نحن المائدة».

نظرت له بسعادة ثم لرو الذي أومأ لها لتقف بسرعة وتتجه لحقيبتها، حاولت رفعها بيد واحدة ولم تستطع لثقلها، حاولت مرة أخرى بكلتا يديها واستطاعت رفعها بجهد كبير، ألقى واروِيك نظرة خاطفة باتجاهها ثم قال مذكراً:

«استخدمي قوتك».



توقفت كيارا لوهلة ثم أدركت مقصده فشدت قبضتها على الحقيبة ولمعت عيناها باللون البرتقالي لتتمكن من رفع الحقيبة بكل سهولة.

قالت متوجهة للدرج: «شكراً».

أعلمها واروِيك بصوت مرتفع حتى تسمعه: «أريد كتاب السحر غداً».

أجابته بالنبرة نفسها من منتصف الدرج: «حسناً».

ثم توجهت لغرفتها وأغلقت الباب لتجلس على سريرها منغمسةً في كتاب العنقاء الذي أرادت قراءته بكل لهفة، بعد لحظات سمعت صوت إغلاق أليكس لبابه، وكان ذلك كالإشارة بينهما، فأليكس لا يحدث أي صوت أبداً، لكنه يتعمد ذلك حولها لأنه يريد إعلامها بوجوده.

ابتسمت ثم قالت بصوت منخفض ككل ليلة: «ليلة سعيدة أليكس».

ابتسم أليكس من غرفته وقال: «لكِ أيضاً».

رغم علمه أنها لا تسمعه، إلا أنه لم يتوقف عن إجابتها في كل مرة، أغلقت كيارا الكتاب للحظة واستلقت براحة وسعادة تفكر في كل ما حولها، أمور لم تتخيل في يوم أنها ستجدها، أصدقاء، بل أقرب للعائلة، أشخاص يهتمون لأمرها، ابتسمت مسترجعةً الأمور التافهة

التي تضحكهم، والمعارك اللطيفة التي تدور بينهم كل يوم، ووسط ذكرياتها السعيدة سقطت في النوم دون أن تدرك الأمر.

ثم مرة أخرى....

ثعلب أبيض ضخم بثمانية أذيال، امرأة تغطيها الدماء وتحمل طفلاً رضيعاً، ورجل يبكي بينما تأكله النيران.

لكن هذه المرة كانت مختلفة، أحست كيارا بوجود أمر مختلف، أمر لم تلاحظه في البداية، وبعد وهلة بدأ بالتجلي أمامها شيئاً فشيئاً، كانت المرأة تتحدث إلى الثعلب، بل كان حديثها أقرب للبكاء أو النشيج:

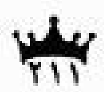
«أرجوك...»

حاولت كيارا الاقتراب حتى تستطيع سماعها جيداً، وبعد عدة محاولات أدركت أنها كلما اقتربت ابتعدا عنها أكثر، لذا بقيت في مكانها بصبر وتركيز حتى سمعتها مرة أخرى تقول:

«قم بحمايتها.... أرجوك!»

عقدت كيارا حاجبيها بضياع مما تراه فقد كان الحلم ضبابيّاً وغير واضح ككل مرة، لكن ما حدث بعدها زادها حيرة، حيث التفت إليها الثعلب ونظر إلى عينيها مباشرةً وقال كلمة واحدة:

«كيارا».



انتفضت مستيقظةً من نومها، لم تكن فزعة هذه المرة، بل متفاجئة، وليس اسمها ما فاجأها أو تحدث الثعلب إليها، ولكن صوته.

كان صوتاً تعرفه كيارا وتألفه كثيراً، نظرت لكتاب *«الثعلب ذو الأذيال التسعة»* وقالت من بين أنفاسها المتضاربة:

«إنه فانكا!»

فتيل الحرب

«إنه فانكا!»

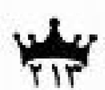
كان كل ما قالته كيارا قبل أن تتذكر أن أليكس يستطيع سماعها، ولغريزة لم تفهم دافعها أرادت إبقاء الأمر سرّاً عنه، فنهضت من سريرها بهدوء وأخذت كتاب *«الثعلب ذو الأذيال التسعة»*، وهذه المرة بدأت من أوله، بتركيز وببطء، تاركةً علامات عند كل أمر مهم أرادت تذكره.

يظهر الثعلب كلما شاع الفساد بين المخلوقات الأسطورية - يعيش لألف عام حيث يظهر له ذيل جديد كل مئة عام، وبعد ظهور الذيل التاسع والأخير يعيش لمئة عام في أوج قوته التي تتمثل في الحكمة والسلام - وبعد انتهاء المئة عام يختفي للأبد.

توقفت عن القراءة قليلاً عندما تذكرت بوضوح أن الثعلب في حلمها لم تكتمل أذياله، ثم استكملت قراءتها حتى وجدت أمراً لم يهمها من قبل لكنه استوقفها هذه المرة.

الثعلب ذو الأذيال التسعة علامة على الحب والزواج - لا يشهد الثعلب إلا على حب حقيقي - من شهد الثعلب حبهما أعطاهما من الحكمة والسلام اللذين ينبعان من أذياله.

حاولت كيارا تفسير ذلك وعلاقته بقصتها لكنها شعرت بالصداع والضياع كلما فكرت بالأمر أكثر، لذا قررت مصارحة واورويك



وأليكس عن كوابيسها في اليوم التالي والطلب منهما زيارة فانكا أو الذهاب للبحث عنه وإحضاره.

وبعد أن اتخذت قرارها؛ استلقت على سريرها في محاولة للنوم، لكن أفكارها لم تتوقف عن الدوران، كان صوت فانكا يتردد داخل رأسها بلا توقف، دامت تقلباتها حتى الصباح دون فائدة، وعندما قررت أن تنهض ثقلت أجفانها فجأة وغرقت في النوم.

ثم تكرر الأمر، الحلم نفسه لكن مع إحساس غريب يعتريها، وقفت في مكانها بهدوء في انتظار أن ينتهي الحلم بتحدث الثعلب، لكنه عندما تحدث لم يكتف باسمها فقط:

«كيارا.... أفيقي أيتها العنقاء!»

استيقظت حينها وقد أدركت أن هناك دلالة لكلماته لكنها لم تستطع الوصول إليها بعد، نظرت للساعة ووجدت أنها التاسعة صباحاً، أي أن أليكس ورو في المدرسة، وأن لديها ساعة أخرى حتى يأتي وارويك لتدريبها، التفتت للكتب وحدثت نفسها:

«إن كان فانكا يريد مني معرفة أمر ما؛ فهو بالتأكيد في هذه الكتب».

ثم أخذت كتاب العنقاء وهمّت بالقراءة من البداية والانتباه لكل تفصيل، لكن يديها كانتا تقودانها لصفحات محددة وسطور مختارة.

العنقاء هو طائر خرافي تقول عنه الأساطير والحكايات إنه كان يعيش زمنًا طويلاً ثم إذا جاءه الموت فقد كان يحرق نفسه بالنار

ويتحول رمادًا، ثم يولد من جديد من رماده ويبعث حيًا، وهكذا في دورة لا نهائية من الموت والحياة – أول المخلوقات الأسطورية وسبب وجودها، لذا كل من يتم اختياره هو جندي للروح وساع للسلام بين بقية المخلوقات – من تختاره روح العنقاء يتميز بعلامة النجم على صدره – لا تختار الروح سوى الذكور كجنود لها.

توقفت بعد أن تعارض ما قرأت مع ما يحدث لها، فالنجمة التي لديها في أسفل ظهرها وليست في صدرها، وتيقنت أنها هجينة بها أنها أنثى ولا تختار الروح إلا الذكور، تنهدت ثم أكملت القراءة ووجدت أن يدها تقلب في صفحات الكتاب بغريزة غريبة، وكأنها تبحث عن شيء محدد ولن تتوقف حتى تجده، وهذا ما حدث بالفعل.

بما أن العنقاء هو أول المخلوقات وسبب وجودها فهو كذلك سبب نهايتها – عندما تضطرب المعطيات ويختل النظام؛ تختار الروح جندية أنثى للمرة الأولى حتى تكون زوجة العنقي الأول، وهكذا تنتهي الدائرة – هذه المختارة لها غاية واحدة – ستتسابق جميع المخلوقات لقتلها ومنعها من إكمال غايتها – غايتها هي العثور على العنقي الأول وإنهاء جميع المخلوقات بزواجها منه لتعود الأمور لطبيعتها ولا يبقى سوى البشر.

وقع الكتاب من يدي كيارا عندما بدأت الآن بفهم الأمر، محاولة واروِيك قتلها وقوله إن كونها هجينة أفضل من أنها مختارة، تحذير الغريو والمستبصرين منها، محادثات أليكس وواروِيك السرية المتكررة،

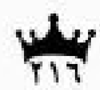
توقفهما عن الحديث كلما اقتربت منهما، كان من الواضح أنهما يخفيان أمراً ما لكنها لم تظن أن الأمر متعلقٌ بها، أدركت الآن كل ما حاول أليكس إبعادها عنه، بعد أن وثقت به أخفى عليها أهم معلومة.

قفزت من فوق السرير وارتدت ملابسها وقد قررت الذهاب لفانكا الآن دون انتظار أي منهم، تركت الحقيبة والكتب خلفها وخرجت من الغرفة للطابق السفلي، توجهت للمطبخ حيث تجد وارويك بانتظارها دائماً لكنه لم يكن هناك، نظرت للساعة لتجد أنها ما زالت التاسعة والنصف، فما زال أمامها نصف ساعة حتى قدومه.

أخذت نفساً عميقاً بارتياح فقد قررت الذهاب حتى وإن منعها واستلزم الأمر قتالاً بينهما، توجهت للفناء الأمامي ووقفت عند حد التعويذة، شدت قبضتي يديها ثم أخذت خطوة للخارج، ولم تتأخر الحرارة ثانية واحدة لتنتشر في سائر جسدها، علمت أنها هدف لكل من ينتظر وأنها حددت موقعها لمن يحاول العثور عليها، لكنها لم تهتم، كانت غاضبة من كل شيء، أليكس ووارويك كانا على رأس القائمة، بعد أن اعتبرتهما كالعائلة لها أخفيا عليها الكثير.

أغلقت عينيها وركزت تفكيرها بمحل فانكا للأثريات حتى تنتقل إليه، ثم سمعت صوتاً غريباً بجانبها، التفتت باتجاهه لتجد عصفورة صغيرة صفراء اللون فوق سور المنزل، تقفز في مكانها في حالة غريبة أشبه بالفزع.

سقسقت العصفورة بكلمات متقطعة: «عودي.... للداخل».



حدقت بالعصفورة للحظات بينما كانت كل حواسها تخبرها بأن عليها العودة لداخل حدود التعويذة، لكنها لم تعد تريد المزيد من المفاجآت، ولم تكن ثقتها بأليكس في أفضل حالاتها.

هزت رأسها لتبعد مخاوفها وأغمضت عينيها حتى تركز بانتقالها لمتجر فانكا قبل أن يفاجئها صوت تريشا من خلفها قائلاً:

«كيارا!»

فتحت عينيها والتفتت خلفها بسرعة لتجد أن المكان خالٍ، نظرت حولها باحثة عنها ثم تكرر الأمر، لكن صوت تريشا أتى من داخل المنزل.

عادت للمنزل وتبعت مكان الصوت حتى وجدت نفسها في الفناء الخلفي تقف عند حد التعويذة، سمعت الصوت للمرة الأخيرة يتردد في الهواء قادماً من الغابة؛ فأدركت أن تريشا ليست قريبة من المكان لكنها تستدعيها بطريقة ما.

تفاجأت من الأمر مستنبطةً أن تريشا غير بشرية كذلك، ظنت أنها لن تفاجأ أكثر بعد أن اتضح لها أن فانكا ليس بشرياً هو الآخر، لكن حياتها تزداد غرابة، لا، بل حياتها غريبة منذ البداية، وكيارا باتت تبصرها على حقيقتها الآن.

أغلقت عينيها وركزت تفكيرها في صورة تريشا على أمل الوصول لمكانها بهذه الطريقة فقد أخبرها أليكس بالأمر لكنهما لم يتدربا عليه

بعد، ومضت صور عديدة لتريشا خلف عينيها قبل أن يدخل الماء لأنفها فجأة، فتحت عينيها بصدمة ووجدت أن المياه تحيط بها من كل الجهات، تحركت أطرافها بشكل هستيري للصعود لكنها كانت تغرق أكثر، لحظات قصيرة كانت طويلة لأنفاس كيارا المكتومة قبل أن تتحول المياه لسائل ثقيل أسود اللون قيّد حركتها، شعرت بيد تمسك بقدمها وتسحبها للأسفل بسرعة، ثم اختفت المياه وعاد الهواء قبل أن يرتطم جسدها بالأرض.

سعلت بشدة لإخراج الماء من جنجرتها، رفعت رأسها ناظرةً حولها وصدمها ما رأت، غابة جميلة بألوان زاهية مليئة بالأزهار الغريبة الشكل، لكن كيارا كانت خائفة لدرجة منعتها من الاستمتاع بالمنظر، فوقفت بسرعة وتلفتت حولها بحثاً عن أي شيء يدعو للهرب.

«لقد كان محقاً» قالت تريشا من خلفها بذهول.

التفتت كيارا بسرعة لمصدر الصوت واتسعت عيناها بدهشة، لم تكن تريشا التي تعرفها، بل امرأة أخرى، بهية المحيا بشكلٍ صعب الوصف، لطالما بدت جميلة، إلا أن جمالها الآن بدا خيالياً لعينيّ كيارا.

«تريشا! أنتِ!» قالت مبهوتة ونظرت لها نزولاً وطلوعاً قبل أن تكمل: «جنية!»

وضعت تريشا أطراف أصابعها على فمها وضحكت برقة قبل أن تقول مؤكدة: «أجل» ثم اندفعت باتجاه كيارا واحتضنتها بشوق



مردفة: «لقد كان فانكا محقاً، أخبرني بقدومك لكنني شككت بالأمر، كان محقاً».

ابتعدت تريشا قليلاً ونظرت لكيارا بسرور، بينما كانت كيارا لا تزال في حيرة من كل ما حولها.

قالت كيارا بذهول مرة أخرى: «أنتِ جنية!» ثم تلفتت حولها وأكملت: «هل أنا في...؟»

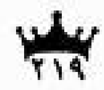
«مملكة الجن» أكملت عنها تريشا مبتسمة ثم طمأنتها: «أنتِ في مأمن هنا».

سحبتها من يدها لمكان ما على عجل، بينما كانت كيارا تجول بنظرها حول المكان حتى لاحظت أنهما دخلتا قرية صغيرة انتشرت بيوتها فوق الأشجار بشكل جمالي بديع، وقفت تريشا أسفل أحدها ثم صعدت الدرج الملتف حول ساق الشجرة وتبعتها كيارا حتى دخلتا المنزل الصغير.

فتحت كيارا ثغرها بانبهار لجمال المنزل من الداخل رغم صغر حجمه، انتبهت لها تريشا فضحكت بخفة فشعرت كيارا بالإحراج، وأطرت بإعجاب:

«صغير لكن جميل جداً».

«نحن نفضل المساحات الواسعة خارجاً في الهواء الطلق، لذا جميع منازلنا بهذا الحجم» قالت تريشا ثم أكملت: «ما عدا العائلة الحاكمة طبعاً».



قالت كيارا باستغراب: «حقاً؟ هل جميع البيوت بالمملكة بهذا الحجم؟ لقد ظننت أن هذه مجرد قرية صغيرة!»

قالت تريشا بينما ناولت كيارا كوباً ساخناً: «مملكتنا غير مقسمة لمدن أو قرىً، بيوتنا في جميع الأرجاء، بهذه الطريقة نصبح كياناً واحداً».

نظرت كيارا للكوب الذي بيدها ولم تميز السائل الأزرق بداخله، عقدت حاجبيها باستغراب قائلة: «كيف وصلتُ إلى هنا؟»

اختفت ابتسامة تريشا وتحولت تعابيرها للجدية عندما أجابتها: «عبر بحيرات الغوزال».

تذكرت كيارا كتاب الجن فوراً، وتذكرت ما قرأته عن الممرات التي تؤدي لعالمهم، فقالت بتردد: «لكن... كيف وصلت لبحيرات الغوزال؟»

«حسناً» قالت تريشا على استعداد للبدء «هناك الكثير من الأمور التي عليّ إخبارك بها، لكن القليل من الوقت».

سألت كيارا عاقدةً حاجبيها: «لماذا؟ ظننت أن المكان آمن هنا!»

أجابتها تريشا بتوتر: «وذلك صحيح، لكن إن علم أحدهم بوجودك فسيقومون بمعاقبتي، فالمملكة لا تريد التورط في هذه المعركة».

سألت كيارا باستنكار: «أي معركة؟»

«هذا ما عليّ إخبارك به» قالت تريشا ثم أحضرت كرسياً لكيارا



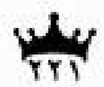
وأكملت: «استرخي قدر المستطاع واشربي الشاي فلا وقت لدينا» ثم لاحظت نظرات كيارا المرتابة للكوب فقالت بابتسامة: «هذا شاي الزهرات المضيئة، سيساعدك على الفهم أسرع».

تذكرت كيارا قراءتها عن الزهرات المضيئة وأنها إحدى العجائب العديدة التي تمتلكها مملكة الجن دون سواها، أخذت رشفة وقالت: «لنبدأ».

«وجودك في متجر فانكا لوقت طويل سيعرضك للخطر، لذا أخبرني باستدعائك حتى وصول صوتي إليكِ، وقد كان محقاً في هذا الأمر، فقد وصلك استدعائي، على الرغم من مرور عدة أسابيع من إرسالي له» توقفت لأخذ نفس ثم أكملت بنفس واحد: «هنا لا يمكن لأحد تتبع هالتك لكن قد يلاحظ أحد الحرس وجودك ولذلك لا يمكنك البقاء طويلاً، ولا وقت لدي للأسئلة رغم أنني مستعدة لأضحي بالخلود لأعرف أين كنتِ مختبئة».

أجابتها كيارا بالوتيرة السريعة نفسها: «هناك منزل فيه تعويذة حماية وقعت فيه عندما تمنيت الوصول لمكان آمن».

قالت تريشا باستغراب: «مصادفة؟» أومأت كيارا ببراءة أمام نظراتها المشككة بالأمر، لكنها لم تجد الوقت للتعبير عن ذلك، فهزت رأسها للتركيز فيما هو مهم، ثم أكملت: «على أي حال، هل تعلمين من هي ماكسين آيليس؟»



أومأت كيارا وأجابت: «والدتي».

«إذاً سمعتِ القصة؟» سألت تريشا فأومأت كيارا مرة أخرى وقالت:

«الساحرة التي انشقت عن عشيرتها وحاربتهم من أجل عنقي».

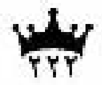
قالت تريشا بانفعال: «غير صحيح!! هذا ما قالته عشيرتها حتى يبرروا قتلها، لكن لا شيء منه صحيح» تجهمت تعابير كيارا بينما أكملت: «ماكسين هربت منهم عندما علمت أنها تحمل طفلاً بداخلها، لأنها لم تثق بهم بعد أن قتلوا رونالد».

«رونالد راندكرو؟» قالت كيارا واستغربت تريشا من معرفتها برونالد لكن كيارا أردفت مكملة: «إذاً أنتِ تقولين إن العشيرة قامت بقتل رونالد لأنه تزوج الخالة آبيغايل، لذا قامت والدتي بالهرب خوفاً منهم؟»

قالت تريشا بعدم رضاً: «الشاي يأخذ مفعوله ببطء» فأخذت كيارا رشفات متتالية قبل أن تكمل تريشا موضحة: «العشيرة قتلت رونالد عندما علموا أن آبيغايل ولدت صبيّاً سومو، وماكسين هربت خوفاً من الموت لأن العشيرة لن تستطيع قتل العنقي بالطبع».

«حسناً» أومأت كيارا محاولةً استيعاب الأمر ثم قالت متشوشة: «لكنها ماتت!»

أوضحت تريشا: «علموا بمكانها بعد ولادتك، فهالتك عنقية جليّة، لذا حذرتها آبيغايل وأخذتك مع ابنها وهربت، وللأسف قاموا



بقتل والدتك بينما كانت تشتت انتباههم عنك» شعرت كيارا بأنفاسها تضيق بعد أن بدأت الصورة تتضح لها، لم يكن الأمر عصياناً كما حُكي لها، بل مأساة، بينما حكت لها تريشا: «وصل فانكا متأخراً، كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة، عندها طلبت منه أن يقوم بحمايتك، لذا بحث عن آبيغايل ووجدها بحالة يائسة فعلمها تعويذة قوية: دم *صلة*، دمعة *يأس*، *وقلب صادق*، كلها توفرت لدى آبيغايل فقد أرادت حمايتك بصدق، واستطاعت بالتعويذة إخفاء هالتك كل هذه المدة، تعويذة لا يمكن كسرها إلا بالمكونات أنفسها».

لم تفهم كيارا كيف للعشيرة أن تكسر التعويذة وليس لديهم المكونات ثم أصبحت عاجزة عن الكلام تماماً عندما أدركت كيف استطاعوا فعلها، بل من استطاع فعلها، إنه رو... رو كسر التعويذة، لا أحد غيره يستطيع فعل ذلك، فهو دم الصلة الوحيد المتبقي، أرادت حينها الصراخ لكنها لم تستطع جمع أنفاس تكفيها لفعل ذلك.

أكملت تريشا: «بعدها أخذك فانكا وخبأك بريفرريتش، لكن العشيرة وجدت آبيغايل وقامت بإعدامها» أجفلت كيارا واقشعر جسدها عند سماع كلمة إعدام لكن تريشا واصلت: «وأخذوا ابنها معهم».

«وابنها كسر التعويذة» أكملت كيارا عنها بهمس غير مصدقة أن رو هو سبب كل ما حدث معها.

«صحيح» قالت تريشا مؤكدة قبل أن تسمع صوتاً من الخارج، توجهت للنافذة ونظرت منها ثم قالت: «عليكِ الذهاب الآن» ابتعدت من جانب النافذة ووقفت أمام كيارا: «فانكا ينتظرك».



قالت كيارا على استعجال قبل أن تخرجها تريشا من المملكة: «ماذا عن والدي؟»

تنهدت تريشا بحزن وترددت قبل أن تجيبها: «عندما عاد ووجد ماكسين ميتة؛ ظن أنهم قتلوكِ كذلك، فقام بقتل نفسه» صمتت تريشا قليلاً عندما وجدت الدموع تتجمع في عيني كيارا لكنها أكملت عندما سمعت أصواتاً من الخارج مرة أخرى: «تعلمين كيف يموت العنق، قام بإحراق نفسه وقرر عدم النهوض، لتبعثر الريح رماده مع الوقت» اقتربت الأصوات من المنزل فوضعت يديها فوق كتفي كيارا العاجزة عن الكلام وقالت: «آسفة لإخبارك بهذه الطريقة، لكن لا وقت لدي، اذهبي لفانكا فوراً».

دفعت تريشا كيارا من كتفيها لداخل الأرض لتجد الأخرى نفسها محاطة بالماء مرة أخرى، حركت يديها وهذه المرة استطاعت الوصول للسطح، فخرجت من المياه بشهقة حادة لحقتها عدة شهقات تطالب بالهواء، ثم خرجت من البحيرة زاحفة بأنفاس متقطعة ورغبة عارمة بالبكاء والصراخ، لكن الحرارة التي اعترت جسدها أنبأتها بأنها في خطر ولا وقت للبكاء الآن.

لذا وقفت بسرعة وأغلقت عينيها مرة أخرى وركزت تفكيرها في متجر فانكا، شعرت بالانتقال هذه المرة ففتحت عينيها متيقنة من نجاح الأمر ووجدت أنها تقف أمام محله.. (أثريات فانكا) واللافتة على الباب ما زالت في مكانها: «مغلق للتصليحات» تقدمت وقد

قررت الدخول على أي حال، لكنها قبل أن تمسك بالمقبض فُتح الباب من تلقاء نفسه.

توقفت في مكانها لوهلة بانتظار أن يخرج من خلفه شخص ما، وعندما لم تر أي أحد دخلت وأغلقته خلفها.

انطفأت الحرارة داخلها تدريجياً وشعرت بالاسترخاء والطمأنينة، قبل أن تومض عيناها حتى تستطيع الرؤية في الظلام، نظرت حولها لتجد أن المتجر ما زال على حاله، تحف وأثريات في كل مكان، متجر فوضوي نوعاً ما، ولا أثر لفانكا، التفتت للخروج لكن قدميها توقفتا فجأة وكأنها تريد الذهاب باتجاه آخر، تركت القيادة لقدميها لعلمها أنهما ستقودانها لمكان هام.

دخلت لعمق المتجر حتى وجدت نفسها تقف أمام باب في مؤخرته، مدت يدها لفتحه، ومرة أخرى فُتح قبل أن تصل يدها للمقبض.

دفعت الباب ودخلت ببطء ثم توقفت في مكانها عندما رأته، فانكا، يجلس على الأرض مبتسماً وكأنه ينتظرها، كانت تعرفه جيداً، فانكا المتبسم دائماً، لكنها تراه لأول مرة كعنقاء.

لم تكن هالته البيضاء النقية ما استوقفها، بل أذياله شبه الخفية الخلابة التي تتحرك خلفه بطريقة ساحرة، كان منظره جميلاً جداً ويجذبها إليه رغماً عنها، تقدمت بخطوات بطيئة ووقفت أمامه تتأمله بنظرات مذهولة حتى قال مشيراً للأرض أمامه:

«اجلسي أيتها الصغيرة».

جلست أمامه بهدوء قبل أن تقول بتردد ودهشة مما تراه: «أنت بالفعل......؟»

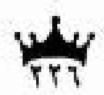
أجابها بصوته الجميل: «صحيح».

تنفست كيارا بعمق وهي تحدق به لوهلة ثم بأذياله التي تشتت انتباهها كل ثانية، تنقلت نظراتها بين وجهه وأذياله حتى قال:

«قبل قرابة العقدين» ثبتت نظراتها باتجاه وجهه بعد أن شعرت أنه على وشك إخبارها بكل شيء، وكعجوزٍ يروي قصة شيقة أكمل ببطء: «رأيت ساحرة هاربة مع عنقي» توقف وأخذ نفساً عميقاً ثم أكمل بالابتسامة والصوت الهادئ أنفسهما: «متهمين بفعل المحرم الذي لا أساس له، سوى الخوف من المصير المحتوم، لكني شهدت حبهما النقي» ثم أشار لها قائلاً: «وبذرته البريئة، لذا قمت بحمايتك، لكن...» أعاد يده لحجره وصمت قليلاً ثم أكمل: «لا يوجد ما هو كامل، كل تعويذة تُكسر، مهما بلغت قوتها».

شدت قبضتيها وقالت من بين أسنانها: «رو كسرها، أخبرتني تريشا».

«آه» قال فانكا متفهماً ثم أكمل مبتسماً بحنية: «رو طفل ساذج، لا يستطيع تمييز المكر والخبث» عقدت حاجبيها فأكمل: «ما أقصده أن نواياه ليست فاسدة».



قالت بغضب: «لا تهمني نواياه، بدأ كل شيء بسببه» هز فانكا أحد أذياله ليتلاشى غضبها فوراً فقالت بعد لحظات: «لماذا استدعيتني؟»

قال بصوته المريح للسامعين: «آسف بشأن الكوابيس، كان لا بد من تكرارها حتى تدركي أهميتها، وإلا لما خرجتِ من ذلك المنزل».

سألت باستغراب: «كيف تعلم بأمر المنزل؟»

«ذلك المنزل هو سبب إحضاري لكِ *لريفر ريتش*» أجابها ثم نظر لعينيها وكأنه يتثبّت من مدى استعدادها لسماع البقية، ثم قال: «صاحبه كان الهدف المثالي».

شعرت كيارا أنها ستندم على سؤالها لكنها سألت بأي حال: «تقصد أليكس؟»

أومأ فانكا مجيباً: «أليكس» ثم ابتسم برقة وأكمل: «لديه بيت محمي في حال كُسرت التعويذة مبكراً، كما أن حمايته لكِ كانت أكيدة بسبب ماضيه قبل أن يصبح مصاص دماء».

قالت بضياع: «ماضيه كبشري؟»

ضحك فانكا ضحكة خافتة قبل أن يجيب: «أليكس لم يكن أبداً بشرياً».

سألت بخوف من معرفة الإجابة: «ما الذي تقصده؟»

لكنه أجاب مخاوفها على أي حال: «ماضيه كعنقي» أخذت حينها نفساً عميقاً لكنها لم تشعر بالهواء يدخل لرئتيها أبداً، ومضت عينا أليكس



العسليتان أمام عينيها بينما أكمل فانكا: «جزء من ماضيه بقي معه ومع ذلك لم أكن متيقناً أنه سيساعدك لذا أضفت بعض المساعدة الخاصة» ثم حرك أحد أذياله تزامناً مع قوله: «استخدمت بعض الحب».

صمتت كيارا للحظات قبل أن تدرك مقصده وتقول بخيبة: «ظننت أنه يساعدني بملء إرادته» خفضت رأسها وأكملت بحزن: «هو أيضاً لا قرار له مثل رو».

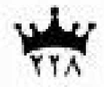
عارضها بهدوء: «ليس لتلك الدرجة، لا أستطيع فرض الحب على أحد، أنا أزيل الحواجز فقط، الحواجز التي نضعها بأنفسنا ولا فائدة منها».

عندها شعرت كيارا بالحرارة تعود فقالت باستغراب: «ظننت أن المتجر محمي!»

«لا قوة لي لفعل ذلك أو لحمايتك في القتال» أجابها ثم حذرها: «لا يستطيعون أذيتي لكنهم يستطيعون أذيتك، اهربي!»

وقفت وقالت: «شكراً لك لحمايتي كل تلك السنين» ثم التفتت للخروج لكنه استوقفها قائلاً:

«أمر آخر» التفتت إليه فأكمل: «أنتِ لستِ المختارة» اتسعت عيناها بصدمة وذهبت يدها لمكان الوحمة أسفل ظهرها لا إرادياً فقال: «تلك الوحمة كانت علامة التعويذة التي وضعتها آبيغايل وليست نجمة روح العنقاء، المختارة ستكون بشرية موصومة فحسب، لا قوة لها».



قالت كيارا بحيرة: «لكن... لمَ يظنون...»

«ذلك أفضل» طمأنها ثم أسدى لها نصيحة لم تفهم مغزاها: «عليكِ اختيار الوقت المناسب لإظهار الحقيقة، عندها ستكون الحقيقة خلاصك» ثم ابتسم لها ابتسامة مشرقة مضيفاً: «الحقيقة ستمحي تأثيري على أليكس، والخيار يعود لك لفعل ذلك».

حدقت به للحظات ثم خرجت من المتجر، وما أن خطت خارجه حتى اشتعلت حرارتها، علمت حينها أن وجود فانكا أعطاها بعض السلام لكن لم يقم بحمايتها.

تركت الريح ترفعها عن الأرض متذكرةً دروسها وتدريباتها، كان الشرر يتطاير حولها وهو ما لم يحدث خلال التدريب لكن ذلك لم يشغل تفكيرها بقدر الحقيقة التي كُشفت لها اليوم، ومع كل ثانية كان الشرر يتزايد ويتطاير منها أكثر.

أليكس تلاعب فانكا بمشاعره، رو كان السبب في إعدامها، وبقية أفراد عائلتها إما قُتلوا ظلماً أو قَتلوا أنفسهم، شعرت بكل ما بداخلها يفيض للخارج ولم تعد تستطيع كبحه أكثر، وجهت نظرها للغابة وقررت الاختباء هناك ثم انطلقت باتجاهها.

تفاجأت من السرعة التي تطير بها في البداية لكنها تذكرت كلمات وارويك بأن القوة تتضاعف وقت الخطر، فتيقنت أنها في مأزق، ثم تيقنت أكثر عندما شعرت بوجودهم حولها، تقدمتهم بسرعة لكنهم كانوا يختفون من خلفها ليظهروا أمامها.

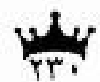
شعرت بالغضب يزيد بداخلها كلما أحست باقترابهم، بالطريقة نفسها التي كان الاستياء يتمكن منها كلما فشل تدريبها، لكنها أدركت الآن أن الفشل يعني الموت، ومضت كوابيسها أمامها، وجه والدتها المغطى بالدماء وترجيها لفانكا لحماية ابنتها، بكاء والدها الصامت أثناء احتراقه، ثم وجه إستل يوم إعدامها.

كانت قواها تغلي من الداخل، تحاربها وتتحداها للخروج، وعندما شعرت باقترابهم الوشيك منها، التفتت وهبطت على الأرض، حاولت تثبيت أقدامها لكن جسدها استمر بالاندفاع إلى الوراء إثر السرعة التي كانت تطير بها، فوضعت كلتا يديها على الأرض كذلك حتى تتمكن من التوقف.

وما أن توقفت حتى ظهروا جميعاً أمامها، عدد كبير من السحرة أُرسلوا لإبادتها، ثم رأت بينهم وجوهاً استطاعت تمييزها من يوم الإعدام، وتلك كانت آخر صفعة أفقدتها صوابها، اشتعلت عيناها بنار حمراء كالدم، وصرخت بكل ما بداخلها من ألم وغضب واستياء وحزن. رو، أليكس، وارويك، فانكا، تريشا، والداها، كل من حولها إما زائف أو مقتول.

كانت مشاعرها تتجمع عند حنجرتها وتشعرها بالاختناق فصرخت، صرخت حتى استسلمت حنجرتها، حتى انقطعت أنفاسها.

انحنت ووضعت يديها على ركبتيها وأخذت أنفاساً عميقة لتعيد



توازنها بينما تلاشى الدخان الذي غطى المكان شيئاً فشيئاً، رفعت رأسها أخيراً ونظرت أمامها لتتسع عيناها بصدمة.

الشجر لم يتبق منه سوى عصيٍّ سقيمة توحي بوجوده سابقاً، الأعشاب اختفت تماماً وجثث متفحمة تراكمت بعضها فوق بعض، السحرة الذين أرسلوا لإبادتها تمت إبادتهم بيديها.

كان صوت أليكس يتردد داخل رأسها بلا توقف: «نار غير موجهة تؤدي لخطأ فادح» ها هو الخطأ الفادح أمامها؛ لحم متفحم.

سقطت على ركبتيها مصعوقة مما سببته يداها.

رو وأليكس، وارويك وتريشا، كل من اعتبرتهم زائفين قبل لحظات؛ سيحكم عليهم بالموت بسببها، فهي تعلم أنها الآن أشعلت فتيل الحرب التي توقع الجميع حدوثها.

سنقر

ظهر وارويك في منزل أليكس مدندناً بمزاج رائق، توجه للمطبخ ولاحظ هالة كيارا الحديثة فوراً، فنادى باسمها أثناء إخراجه للإبريق حتى يعد الشاي كما اعتاد كل صباح:

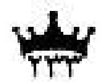
«كيارا!»

وعندما لم تجبه خرج من المطبخ وتوجه للدرج منادياً باسمها مرة أخرى، ثم لاحظ أمراً ما عندما كانت نظراته متوجهة للطابق العلوي، هالة كيارا الباهتة، أي أنها غير موجودة وهالتها الموجودة حوله هي مجرد بقايا لها.

لكنه مع ذلك صعد للطابق العلوي ونظر لباب غرفتها المغلق لوهلة قبل أن يختفي وينتقل لداخلها، نظر حول الغرفة والكتب المبعثرة في كل مكان فيها، ثم انتقل لغرفة أليكس ثم المكتبة قبل أن يظهر أمام الحمام، طرق ثلاث طرقات سريعة، وانتظر لثانيتين قبل أن يفتح الباب على مصراعيه ويتحقق أنها ليست في المنزل.

اختفى وانتقل للطابق السفلي متتبعاً هالتها، ثم أكمل تتبعه سيراً بخطوات سريعة قادته للفناء الأمامي وتوقف في مكانه بصدمة عندما لاحظ هالتها خارج حدود التعويذة، لكنه سرعان ما لاحظ آثار عودتها للمنزل كذلك.

أكمل تتبعه حتى الفناء الخلفي، ومن اختفاء أثرها المفاجئ علم أنها



انتقلت لمكان ما، شعر بارتياح بسيط كونها لم تتعرض لهجوم ما قادها للخروج لكنها مع ذلك كشفت عن مكانها، أي أن الخطر وشيك، لذا اختفى منتقلاً للمدرسة بحثاً عن البقية.

جلس رو في حصة الكيمياء المتقدمة بجانب آمبر التي جلس خلفها أليكس، كان رو يتكئ على الطاولة وينظر لآمبر طوال الوقت بلا اهتمام لما تقوله الأستاذة كايتلن بما أنه لا يفهم نصف كلامها على أية حال.

وبينما كان يقرأ الملاحظات التي كانت تكتبها آمبر في دفتر ملاحظاتها تغيرت ملامحه فجأة عندما شعر بحضور وارويك للمدرسة، التفت لأليكس ليجد أنه عاقدٌ حاجبيه باستغراب قبل أن يقف فجأة ليقف رو خلفه تبعاً.

نظرت لهما آمبر باستغراب مع بقية الصف، في الوقت الذي كان فيه أليكس ثابتاً في مكانه، علم رو أن وارويك يقول له شيئاً وشعر بوجود خطب ما، لذا لم يتمالك نفسه واتجه لخارج الصف قائلاً بكلمات متسارعة مقاطعاً شرح الأستاذة التي لم تلاحظ ما كان يحدث خلفها:

«آنسة كايتلن، لا أشعر أنني بخير، سأذهب لغرفة المرضة».

التفتت له الأستاذة ولم تجد الوقت لإجابته قبل أن يغلق الباب خلفه، وما أن وجد الممر فارغاً اختفى منتقلاً لمكان وارويك الذي كان يقول:

«ثم اختفى أثرها هناك، من الواضح أنها انتقلت لمكان ما لكن أين؟ ولم؟»

بينما انتبهت حينها الأستاذة لأليكس الذي كان واقفاً بلا حراك حتى انتهى وارويك من حديثه، فتحت الأستاذة فمها للتحدث لكنه قال متجهاً للخارج:

«دورة المياه».

أسرع لمكان وارويك ووقف بجانب رو الذي كان يسأل بهلع:

«متى خرجت؟ ولماذا لم تخبرنا قبل أن تفعل ذلك؟»

أجابه وارويك بإحباط: «لا علم لي».

قال أليكس بقلق أخفاه أسفل بروده: «هل لاحظت شيئاً في المنزل؟»

هز وارويك رأسه قائلاً: «لم يكن هجوماً، لا وجود لهالة غريبة، خرجت بإرادتها».

قال رو بعدم فهم: «لكن لم ستفعل كيارا ذلك؟ لم ستعرض نفسها للخطر بهذا الشكل وتكشف موقعها؟»

سأل أليكس متجاهلاً حالة الهلع التي تنتاب رو: «هل تركَت رسالة أو ملاحظة؟»

أجابه وارويك: «لم أبحث بعمق، أتيت حالما انتبهت».

قال رو بانفعال: «لقد أخبرناها بأمر السحرة الذين أتوا للميتم، كيارا تعلم أنها ملاحقة من قِبل العشيرة، والآن كشفت هالتها كعنقاء!! سيلاحقها الجميع».



قال أليكس آمراً: «خذنا للمنزل يا وارويك».

أومأ له وارويك ووضع إحدى يديه على كتف رو والأخرى على كتف أليكس ثم اختفى متنقلاً للمنزل دون أن يلاحظ أي منهم آمبر التي سمعت وشهدت كل ما حدث.

ظهر وارويك في الفناء الأمامي للمنزل، ثم أشار لهالة كيارا خارج حدود التعويذة.

قال أليكس باستغراب: «بالكاد أخذت خطوة واحدة».

«ثم عادت أدراجها لسبب ما» أعلمه وارويك مشيراً لآثار هالتها العائدة للمنزل «أحدث أثر تركته في الفناء الخلفي».

توجه أليكس للفناء الخلفي في لمح البصر بينما انتقل وارويك ورو في ومضة، نظر أليكس لهالتها المنقطعة ثم للغابة التي لا تبعد كثيراً عن المنزل.

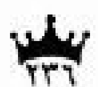
شارك وارويك أفكاره: «انتقلت لمكان ما، هذا التفسير الوحيد».

قال أليكس باستنكار: «لكنني لم أعلمها كيفية فعل ذلك بعد!» ثم التفت لوارويك بوجه متسائل فأجابه بدوره:

«لم أعلمها أنا كذلك».

قال رو همساً: «إنها في خطر، أشعر بذلك».

شد أليكس قبضتيه وتوجه للداخل بحثاً عن أي دليل، أمسك وارويك بيد رو وانتقل به لداخل المنزل بينما حام أليكس من مكان



لآخر بسرعة البصر حتى انتهى به الأمر في غرفتها، انتبه للكتب واقترب منها ببطء، نظر للعناوين ليدرك أنها الكتب التي أخبرتها بها، ثم انتبه لكتاب مفتوح ملقىً على الأرض، رفعه وبدأ بالقراءة بسرعة حتى فهم الأمر.

توجه للطابق السفلي بسرعة ووقف أمام وارويك الذي كان يقول لرو:

«هل تراها الغربان؟»

لكن رو كان ينظر للأمام بشرود شاعراً بخواء غريب.

قال أليكس رافعاً كتاب العنقاء بيده: «إنها تعلم بأمر المختارة» نظر له وارويك بعدم فهم فقام بفتح الكتاب له وناوله إياه قائلاً: «لقد علمت بكل شيء».

أخذ وارويك الكتاب وقرأ بشكل سريع ثم قال: «لكن لم خرجت؟»

أجابه أليكس بانزعاج: «لم تقم بالخروج، بل قامت بالهروب، لقد أخفينا عليها الأمر، لا بد أنها فقدت الثقة بنا».

تنهد وارويك باستياء بينما دار أليكس حول المكان بإحباط، قبل أن يشحب وجه رو فجأة صارخاً:

«خطر!!!»

قال أليكس بقلق: «ماذا؟ أين؟»

«لا أعلم لكنها في خطر!! أشعر بها وحسـ...» أجابه بانفعال قبل



أن يصمت فجأة ويشحب وجه وارويك محدقاً بالفراغ، نقل أليكس نظراته بينهما بعدم فهم قبل أن يقول وارويك بشرود:

«إبادة!»

أليكس بنفاد صبر: «ما الذي تقصده؟ من أباد من؟!»

«إبادة جماعية» قال وارويك بالنبرة الشاردة نفسها ليفهم أليكس مقصده فقال باضطراب:

«أين؟»

همس رو: «كيارا!» ثم اختفى فوراً.

نظر أليكس للمكان الفارغ الذي اختفى منه قبل أن يلتفت لوارويك ويمسك بكتفيه ويهزه بقوة قائلاً:

«وارويك!!!!»

عاد حينها لوعيه وقال بتوتر: «حدثت إبادة جماعية قبل قليل!»

سأل أليكس بخوف من سماع الإجابة: «كيارا فعلتها؟»

«لا أعلم» أجابه وارويك «لكنها كبيرة، أمر لا يستطيع فعله سوى مخلوق قوي».

«خذني لمكان رو، لا بد أنه وجدها» قال أليكس منزلاً يديه لكن واورويك أمسك بيده فوراً واختفى منتقلاً بأليكس لمكان رو.

ظهر كلاهما أمام رو الذي كان مصفر الوجه ينظر لشيء ما خلفهما، التفتا باستغراب لتتسع الأعين بصدمة من هول ما رأياه.



جثث محترقة، بل متفحمة بعضها فوق بعض، أمر لا يمكن حدوثه إلا بنار قوية، نار عنقية، ولا أثر لكيارا.

قال أليكس بخيبة: «آه كيارا! كم حذرتك!»

قال وارويك بشرود: «دفاعاً عن نفسها، لقد كانت في خطر» التفت له أليكس باستغراب لكنه أكمل: «انظر للعدد الذي أرسلوه! قاموا بإرسال جيش لقتل فتاة صغيرة».

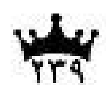
فهم أليكس حينها أن وارويك كان يشبّه الأمر بما حدث لكالونيس، كان يسترجع الماضي، لكن الفرق أن كالونيس هي من ماتت دون أن تقاتلهم بينما كيارا اختارت الدفاع وقتلتهم جميعاً، تلفت حوله باحثاً عن أي أثر لها لكن آثارها كانت مقطوعة رغم أنها حديثة، نظر لرو الذي بدا وكأنه على وشك الإغماء، أمسك يده وبيده الأخرى أمسك يد وارويك وقال:

«وارويك أعدنا للمنزل».

التفت له وارويك ثم انتبه لرو فانتقل بهما فوراً.

كانت كيارا تستمع لأصوات العصافير وتستعين بها لأخذ الاتجاهات متغلغلةً لعمق الغابة، بالرغم من أن كلمات العصافير قصيرة وسريعة الوتيرة؛ إلا أنها فهمت تعليماتهم.

وصلت لنهاية مسدودة بدت لها كحائط مغطّىً بأغصان الأشجار،



توقفت ونظرت حولها بحثاً عن طريق لكن العصافير كانت تردد الكلمات أنفسها:

«تقدمي.... أمامك».

قالت كيارا بحيرة: «أين؟!»

حطت حمامة على كتفها وقالت: «أزيحي الأغصان».

حدقت كيارا بها لوهلة ثم فعلت كما طلبت منها لتجد أن الأغصان كانت غطاءً لكهف خفي خلفها، تقدمت ببطء للكهف المظلم وتوهجت عيناها حتى تستطيع النظر في الظلام، همت بإغلاق المدخل بالأغصان كما كان لكن الحمامة قالت:

«سأحضر المساعدة».

وطارت عن كتف كيارا لخارج الكهف فوراً، غطت كيارا مدخل الكهف وشعرت بالخوف عندما عم الصمت المكان، كان الكهف عميقاً ولم تتجرأ على استكشافه، وجدت صخرة كبيرة بجانب المدخل وجلست عليها.

أخذت تفكر فيما فعلت وما الذي ستفعله الآن بما أنها ملاحقة ومكشوفة، ووسط سرحانها سمعت صوت الأغصان من مدخل الكهف، فزعت ووقفت على استعداد للهجوم قبل أن تلاحظ أقدام طائر خلف الأغصان يحاول الدخول، أزاحت الأغصان ليطير لداخل الكهف صقر كبير الحجم هبط على الصخرة التي كانت تجلس عليها.

تأملته بإعجاب للونه الأبيض المرقع باللون البني، بينما بقي الآخر

في مكانه وكأنه يتفحصها بإمعان قبل أن يقول:

«أغلقي المدخل».

التفتت لمدخل الكهف لتجد أنها نسيت إعادة الأغصان لمكانها بعد أن فسحت له المجال للدخول، همت بإغلاق المدخل لكنها لاحظت الحمامة التي ساعدتها سابقاً تقف بجانب الأغصان من الخارج، انتظرتها قليلاً لكن لم يبد أنها تريد الدخول لذا أعادت الأغصان لمكانها مغلقةً المدخل بدقة حتى لا تترك مكاناً للخطأ.

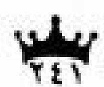
التفتت للصقر مرة أخرى وقبل أن تستطيع قول أي شيء حلق لداخل الكهف، وقفت في مكانها بتردد، لا تعلم إن كان عليها أن تتبعه أم تبقى في مكانها، لكنه سرعان ما عاد للصخرة وحط عليها كما فعل سابقاً.

«اتبعيني» قال ثم حلق للداخل مرة أخرى.

لحقت به بارتياب دون أن تعبر عما بداخلها، استغربت طول المسافة للداخل وكيف قطعها الصقر ذهاباً وإياباً بسرعة، ثم شعرت بالراحة كون هذه المسافة الطويلة كفيلة بإخفائها، وعندما وصلت لنهاية الكهف وجدت الصقر يقف عند أحد أركانه بصمت، نظرت له بانتظار الخطوة التالية لكن صمته طال فقالت:

«ماذا الآن؟»

«أنتِ طائشة» قال مصرحاً بعد وهلة «عنقاء غير نقية» شدت



قبضتي يديها بينما تابع: «لا أحب أن عليّ خدمتك لكنني سأفعل ذلك على أية حال».

قالت بعصبية: «يمكنك الرحيل! لا أحتاج مساعدتك، يمكنني تدبر أمري!»

قال باستخفاف: «كيف؟»

أجابت غاضبة: «لا علاقة لك، سواءً نجوت أو تحتم عليّ الموت! لا حاجة لي بطائر ليساعدني! اذهب وحسب».

«لا أستطيع» قال بلا مبالاة، نظرت له بعدم فهم فكرر: «لا أحب أن عليّ خدمتك لكنني سأفعل ذلك على أية حال، لا قوة لدي لتركك».

قالت ساخرة بغيظ: «يبدو أن قوتك تكمن في لسانك»

ضحك الآخر ثم أجابها: «بل قوتي في سرعتي» صمت قليلاً ثم قال بنبرة جدية: «اسمي سنقر، صقر حر، سأكون معاونك منذ الآن» نظر لها بتمعن قبل أن يكمل: «والآن أخبريني، ما نصفك الآخر؟»

نظرت له باستغراب قائلة: «لماذا تسأل؟»

أجابها: «لنرى إن كان قومك سيقومون بمساعدتك».

قالت بمرارة: «قومي هم من يقومون بملاحقتي».

«إذاً أنتِ ساحرة» استنتج سنقر ثم سأل بعد وهلة: «لم قتلتهم؟» عقدت حاجبيها قبل أن تقول: «كيف تعلم بأمر الحادثة؟»



«الطيور تتحدث» أجابها ثم أَضاف: «كما أنها ليست حادثة، بل أقرب للكارثة».

خفضت رأسها وقالت محاولة تمالك دموعها: «قتلوا عائلتي.... حاولت الهروب لكنهم ظلوا يلاحقونني....، فقدتُ السيطرة» نزلت دمعة عندما تذكرت أشكالهم المحترقة قبل أن تكمل: «لم أقصد قتلهم».

صمت سنقر أثناء بكائها ثم قال بعد لحظات: «لا بد أنهم في أثرك، عليكِ التخفي».

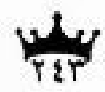
هزت رأسها وهي تمسح دموعها قائلة: «لا أعرف كيف».

سأل باستغراب: «ألم تتدربي على استخدام السحر؟».

«لم أعلم أنني ساحرة سوى اليوم» أجابت ثم صمتت قليلاً متذكرةً تدريبات وارويك لرو لطريقة إخفاء هالته قبل يومه الأول في المدرسة، لاحظ سنقر شرودها فبقي صامتاً حتى تابعت: «أظن أنني أتذكر كيف أخفي هالتي».

«ابدئي بالمحاولة إذاً».

«حسناً» قالت بتركيز ثم رددت كلمات وارويك ذلك اليوم: «أغلق عينيك وتخيل الهالة حولك، ثم حاول جذبها لداخلك وأغلق عليها بالتعويذة» صمتت لعدة لحظات ثم فتحت فمها مرددةً كلماته بهمس: «تخيلها، اجذبها للداخل، أغلق عليها».



فتحت عينيها وأخذت نفساً عميقاً أمام نظرات سنقر الحائرة، ثم ابتسمت معلنةً نجاح الأمر.

أما في منزل أليكس، فكان الوضع غير مستقر أبداً، خرج رو محاولاً الاستماع للطيور علّه يجد ما يرشده لكيارا بينما كان وارويك حانقاً للهجوم الذي قادها للمحرقة التي فعلتها.

قال أليكس وهو يفرك وجهه بيده عاجزاً عن فعل شيء: «أين يمكن أن تكون؟» لم يجبه وارويك وبقي صامتاً وكأنه يخطط لأمر ما، فالتفت إليه بنظرة متسائلة، وعندما لاحظ تشتته ناداه: «وارويك؟»

التفت له وارويك بحاجبين معقودين: «هل قلتَ شيئاً؟»

أليكس بشك: «ما الذي تخطط له؟»

«لا خطط لدي» أجابه والضيق بادٍ على وجهه «مجرد احتمالات».

وعندما هم أليكس بسؤاله عن مقصده دخل غراب من باب الفناء المفتوح متجهاً نحوهما، وقبل أن يحط على الأرض تحول لغمامة سوداء ثم خرج منها رو والاكتئاب يسيطر عليه، ثم قال بضيق:

«لا أستطيع الشعور بها، إنها تحجبني! والطيور لا تتحدث إلي!»

خفض أليكس رأسه متكدراً: «وصلنا لنهاية مسدودة».

قال وارويك بحزم: «ليس بعد!»



رو بتأمل: «هناك طريقة للخروج من هذا المأزق؟»

«ربما، لست متيقناً بعد» أجابه ثم أدار نظره لأليكس مكملاً: «لكن إن بقينا هنا فلن نجد المخرج أبداً».

نظر له أليكس باستغراب للحظة ثم اتسعت عيناه عندما أدرك ما يقصد، فوقف على قدميه قائلاً: «المملكة؟»

أومأ واروِيك: «إن وجدنا كيارا فلا قوة لنا لحمايتها هنا، لكن هناك سيكون لدينا جيش كامل».

قال أليكس باستنكار: «لكن تايرون يقود المملكة!»

أجابه فوراً: «تايرون ليس نداً لك، كما أنه مجرد قائد للجيش أما أنت....» توقف قليلاً واقترب منه خطوة متابعاً: «أنت الوريث الشرعي للعرش، ما أن تصل إلى هناك فسينتهي أمره».

صمت أليكس قليلاً مفكراً بالأمر ثم قال: «لن يسلم القيادة بلا قتال».

«إذاً اقتله» قال واروِيك ببرودٍ استنكره أليكس فرد عليه بانزعاج:

«ما بك؟ هل فقدت عقلك؟ هل سنقوم بقتل كل من يعترض طريقنا الآن؟!»

قال واروِيك محاولاً إقناعه: «ألم تسأم الهروب منه طوال العقود الماضية؟»

أجابه أليكس وقد بدأ ينفعل من مجرى المحادثة: «أنا لم أهرب منه أبداً».

وارويك بسخرية: «أليس تايرون السبب في طلبك لتعاويذ الحماية لكل منزل تسكنه؟»

«ليس للهروب منه، بل لتجنب قتال غير ضروري» قال أليكس مديراً ظهره لوارويك الذي فقد أعصابه في لحظتها فصرخ غاضباً:

«لا طريقة لحمايتها!!!» التفت له أليكس بأعين متسعة بينما عاد رو خطوة للوراء مبتعداً عن وارويك الذي أكمل: «كل ثانية تتردد فيها يكبر الجيش الذي يستعد لقتل كيارا الآن!» ثم أشار بسبابته لأليكس متهماً: «أنت من يجب عليه التصرف فكل ما حدث بسبب أسرارك التي لا هدف منها!!!»

تدخل رو قائلاً بعدم فهم: «أي أسرار؟»

أغمض وارويك عيناه متمالكاً أعصابه ثم نظر لرو وقال بهدوء: «سيخبرك أليكس في طريقكما لوجهتكما» أعاد نظره لأليكس مكملاً: «أي عقبات قد تواجهكما هناك يستطيع رو حلها، سأبقى للبحث عن كيارا ولن أعود حتى أجدها» التفت للخروج لكنه توقف ونظر لأليكس من فوق كتفه قائلاً: «ليس الأمر وكأن تايرون لا يستحق الموت».

ثم اختفى منتقلاً للغابة حيث حدثت الإبادة التي أحدثتها نار كيارا باحثاً عن أي دليل يقوده لها، بينما وقف رو بتشتت وعدم فهم لما قيل، نظر لأليكس الذي كان يفرك وجهه باستمرار وفضل عدم قول أي شيء حتى يهدأ ويتحدث من تلقاء نفسه.

بعد لحظات سمع رو تنهيدة أليكس فالتفت باتجاهه ليجده واقفاً بجانبه موجهاً نظراته للفناء الخلفي، اضطرب رو متفاجئاً لكنه سرعان ما تدارك الأمر قبل أن يقول أليكس بهدوء:

«هل أنت مستعد للرحيل؟»

رو بنظرة متسائلة: «إلى أين؟»

«مملكة إيماتيروس، المملكة الدموية» أجابه ثم ابتسم بمرارة وأكمل: «أليس مثيراً للسخرية؟»

رو بحيرة: «ما هو؟»

«الاسم» قال ثم التفت له مضيفاً: «مملكة مصاصي الدماء تلقب بالمملكة الدموية».

صمت رو قليلاً متأملاً ملامح أليكس المشمئزة ثم قال بهدوء: «لا أجده مثيراً للسخرية، بل ذا صلة».

حدق به أليكس لوهلة ثم أدار نظره للفناء مرة أخرى وتنهد قائلاً: «لا يهم» وضع يده على كتف رو: «أمامنا مهمة شائكة، سنتحرك وقت الغروب، كن مستعداً و.....» صمت قليلاً ورقت عيناه قبل أن يكمل: «اذهب لتوديعها».

ترك أليكس رو خلفه بحاجبين معقودين وضياع، فكيف له أن يودع كيارا وهو غير قادر على إيجادها؟ ثوانٍ قليلة قبل أن يدفن وجهه في كفيه ويتنهد بحزن لإدراكه أن أليكس قصد توديع آمبر.



زوجان

ظهر رو أمام الميتم قبل الغروب بقليل، نظر للمدخل بتردد قبل أن ينتقل لمكان آمبر المعتاد على الكرسي الخشبي في الحديقة الخلفية الخاصة بالميتم، ظهر خلفها لتشعر الأخرى بوجوده فوراً.

أغلقت كتابها ووقفت دون أن تلتفت مسترجعةً المحادثة الغريبة التي سمعتها سابقاً، احتضنت الكتاب والتفتت له بعد أن قررت إخباره بالحقيقة لكنها توقفت عندما التقت عيناها بعينيه اللتين حملتا الحزن والكآبة، ابتسم لها ابتسامة مكسورة قائلاً ببهجة مصطنعة:

«ما كتاب اليوم؟»

أنزلت آمبر نظراتها للكتاب الذي بين يديها بتوتر قبل أن تقول متجنبةً عينيه: «علم الغرابيات».

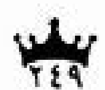
رو باستغراب خالطه بعض الارتياب: «غرابيات؟»

أومأت ثم نظرت لعينيه وقالت: «الغربان».

نظر لها بتمعن وشعر أنها تحاول إخباره بأمر ما، ابتسم محاولاً ألا يثير شكوكها وقال: «هل تثير الغربان فضولك؟»

نظرت للأرض بتردد: «لا يهمني أمر الغربان» ثم أعادت نظراتها له وأكملت: «غراب واحد فقط».

اختفت الابتسامة من وجهه قبل أن يسأل بجدية: «ما الذي تقولينه يا آمبر؟»



شدت آمبر قبضتيها على الكتاب بتوتر فلم تعتد الجدية من رو، ترددت في تلك اللحظة في إخباره بالحقيقة لكن طبيعتها التي تكره الخوف دفعتها للتحدث دون أن تنظر لوجهه:

«كانت كيارا تحصل على كتاب في كل ميلاد لها، وكنت أشعر بالفضول، فقرأت عدداً منها قبل أن أعيدها لمكانها بلا اهتمام فقد كانت مليئة بالخزعبلات التي لا طائل منها، لكن....» رفعت عينيها باتجاهه ثم أزاحتهما سريعاً عندما انتبهت لوجهه المتجهم وأكملت: «مؤخراً كانت الأمور غريبة، اختفاء كيارا وكتبها ثم ظهورك، والغربان التي تظهر حولي بكثرة وكأنها تراقبني» ثم ضحكت بخفة عندما قالت: «والغربان التي تهاجم رايتشل».

قال بهدوء «إذاً؟ ما الذي وصلتِ إليه؟»

هزت رأسها: «لا شيء، مجرد شكوك» رفعت الكتاب الذي تحتضنه متابعة: «أحاول ربط كل الخيوط».

رو بنظرة متسائلة: «لماذا قررتِ التحدث في الأمر الآن إن كانت الشكوك تدور في رأسك منذ البداية؟»

اضطربت نبضاتها لكنها دفعت نفسها للتحدث بكلمات متسارعة: «لأنني سمعت محادثتكم اليوم».

«همممم» همهم رو متفهماً بنظرات ثابتة باتجاهها، صمت لوهلة ثم تنهد باستسلام وقال: «أنتِ ذكية» نظرت له باستغراب بينما أكمل:

«لذلك لن تتحدثي عن الأمر مع شخص آخر» أومأت له بالموافقة لكنه تابع: «ولن تبحثي عن الموضوع أكثر» هزت رأسها تأكيداً لكلامه «وعليكِ تجنب كل من يثير الشكوك مستقبلاً» أومأت مرة أخرى فأعلمها: «لأنكِ لن تعرضي سوى نفسك للخطر».

قالت مقاطعة: «توقعت ذلك، قلت لك إنني لا أهتم لهذه الخزعبلات» ترددت لوهلة قبل أن تكمل ناظرةً للكتاب بين يديها: «غراب واحد يثير فضولي».

عادت نظرات الحزن لرو عندها فقال: «لسوء الحظ ذلك الغراب عليه الرحيل».

تملكت الكآبة وجه آمبر فوراً لكنها حاولت السيطرة على مشاعرها عندما قالت مدعيةً القوة: «اعتدت سوء الحظ».

قال رو بتعاسة: «لا يهمك الأمر إذاً؟»

قالت بثقة مصطنعة: «سأنجو» ثم تبددت ثقتها سريعاً بسبب الدموع التي بدأت بالتجمع على عيني رو البريئتين، فاقتربت منه وأمسكت بيده ثم شبكت أصابعها بأصابعه وقالت ناظرةً ليديهما معاً: «وسأنتظر» رفعت نظراتها له مكملة: «لذا عد سليماً أياً كانت وجهتك».

ابتسم بسعادة في الوقت الذي فرت فيه دمعة فوضعت آمبر الكتاب على الكرسي الخشبي ومسحتها عن وجنته، رفع يده وأمسك بيدها قائلاً:

«سأكون قريباً منك دائماً».

ابتسمت والتفتت لغراب على إحدى الأشجار التي في الحديقة ثم أعادت نظراتها له وقالت: «أعلم» ثم تحولت ابتسامتها لنظرات قلقة عندما أكملت: «أرجو أن تجدها وتبقيَها في أمان، فأنا أدين لها باعتذار».

تنهد رو قائلاً: «أرجو ذلك».

لاحظت ملامحه المهمومة عند ذكرها لكيارا ولم تجد ما يخفف عنه، وبدون تفكير اقتربت منه ولفت ذراعيها حوله، اضطرب وتوردت وجنتاه حرجاً، رفع يده وأنزلها عدة مرات في ارتباك، أراد إحاطتها بذراعيه لكن الحياء تمكن منه ومنعه.

ابتعدت عنه آمبر قائلة: «متى موعد رحيلك؟»

انتبه حينها أن الشمس قد غابت فقال بهلع: «لقد تأخرت، لا بد أن أليكس ينتظرني».

تنهدت بتكدر فوضع رو يده للمسح على وجنتها لكنه توقف مرتبكاً ويده أمام وجهها فأنزلها على عجل على كتفها قائلاً: «انتبهي لنفسك».

ضحكت بلطف وقالت: «أنت كذلك».

أومأ لها مبتسماً ثم اختفى أمامها منتقلاً لمنزل أليكس الذي كان ينتظره في الفناء الخلفي متأملاً هالة كيارا المقطوعة، ما أن شعر أليكس بحضوره قال بصوت مرتفع، معلماً رو بمكانه:

«تأخرت!»

انتقل رو من وسط المنزل للفناء في ومضة سريعة، ممتثلاً أمام أليكس قائلاً: «آسف، لم أنتبه للوقت!»

رفع أليكس نظره من الأرض أثناء قوله: «الطريق طويـ.....» توقف فجأة ممعناً النظر فيه باستغراب ثم قال متفحصاً هالته من الأعلى للأسفل: «ما الذي حدث لك؟»

تتبع رو نظرات أليكس لجسده مجيباً: «عن ماذا تتحدث؟»

«هالتك مختلفة» أعلمه أليكس ثم صمت قليلاً بتركيز قبل أن يكمل باستنكار: «أكثر قوة.... كيف فعلت ذلك!»

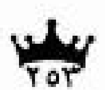
أجابه محتاراً: «لم أفعل أي شيء» ثم أكمل بحماس: «هيا لنكمل مهمتنا».

تفحصه أليكس بتعجب مرة أخيرة قبل أن يقول: «حسناً، اذهب لتغيير ملابسك».

أنزل رو نظراته لملابس أليكس، بنطال أسود وقميص برقبة مرتفعة أسود اللون كذلك، معطف جلدي قرمزي امتد طوله لركبتي أليكس.

قال رو مستغرباً: «ما الذي ترتديه؟»

«ما يساعدني على القتال» أجابه أليكس ثم تابع مقترحاً: «أنصحك بفعل الشيء نفسه فقد تتضمن مهمتنا بعض العقبات» أومأ رو وتوجه للغرفة لكن أليكس استوقفه قائلاً: «ستكون وجهتنا شديدة البرودة».



«فهمت» أجابه وانتقل لغرفته لتبديل ملابسه ثم عاد لأليكس بملابس مشابهة له تماماً عدا أن معطف رو أسود اللون وغير جلدي.

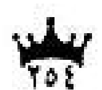
أما آمبر فما أن اختفى رو من أمامها حتى التقطت كتابها وجلست حتى تعيد قراءة جزء معين منه، قلبت الصفحات إلى أن وجدت الفصل المقصود *«تزاوج الغربان»* ثم نزلت عدة أسطر للتثبّت مما قرأته سابقاً حتى وجدته.

إيجاد الغراب لشريكة ليس مجرد تزاوج معتاد بين الطيور، بل أقرب للترقية، فما أن يجد الغراب شريكته التي توافق على بناء علاقة معه، يصبح من الغربان المهيمنة والأكثر قوة، أي أن التزاوج ارتقاء في السلم الاجتماعي بينهم وليس مجرد تكاثر في النسل، وإن ارتبط مع الشريكة أصبح أعلى السلم، بينما يقبع الغراب ذو الارتباط الضعيف - أي الذي ما زال يحاول ترسيخ علاقته بشريكته- في أسفل السلم، أما الغراب الوحيد فيكون بلا قيمة.

أغلقت آمبر الكتاب وأخذت نفساً عميقاً متمنيةً أن تكون موافقتها على علاقتها برو قوة له وعوناً في عودته سالماً.

قال رو بعد وصوله مع أليكس إلى أطراف البلدة: «أين سنذهب من هنا؟»

أجابه أليكس ملتفتاً حوله بارتياب: «إلى جبال الميركور»



قال رو بنظرة متسائلة: «أين تقع؟»

التفت له أليكس: «كم تعلمت عن تاريخ السحرة؟»

ضحك بمرارة مجيباً: «لم أتعلم عن أي شيء سوى ما علمني إياه دريزور».

أليكس بنبرة متسائلة ملتفتاً حوله مرة أخرى: «دريزور؟»

«دريزور هو من اعتنى بي طوال السنين الماضية» قال رو ملاحظاً تلفت أليكس ثم نظر حولها مكملاً: «أتنتظر شخصاً ما؟»

توقف أليكس عن التلفت مركزاً نظراته لبقعة بين الأشجار قبل أن يهمس بتحفُّظ: «هناك من يراقبنا».

توافقاً مع كلمات أليكس ظهر ساحر أسمر البشرة ضخم البنية بين الأشجار وتقدم لهما بخطوات بطيئة، فقال رو مصدوماً حالما ظهر وجه الساحر من بين الأغصان:

«دريزور؟ ما الذي تفعله هنا؟»

أليكس مزمجراً من بين أسنانه في وضعية مستعدة للهجوم: «يظهر الشيطان عند ذكره».

رو باستغراب: «شيطان؟ لا! دريزور صديق لي».

عقد دريزور حاجبيه بتأثر من كلمات رو ثم نظر حوله بتردد قبل أن يظهر مجموعة سحرة من عشيرة أوشان التي انشق عنها رو.

قال أليكس متهكماً: «صديقك ليس وحده».

قال دريزور بنبرة غليظة: «ابتعد يا مصاص الدماء! نحن هنا من أجل المنشق».

اتسعت عينا رو غير مصدق لما يحدث بينما تجاهل أليكس كلمات دريزور ووقف أمام رو حماية له ومستعداً للهجوم.

قال دريزور لأليكس بعد لحظة من تحذيره: «إن كنت تريد الموت فلا مانع لدي».

تحولت عروق دريزور للون الأسود وتكون دخان حول يديه بينما تأهب جميع السحرة للهجوم، عندها أفاق رو من صدمته ووضع كفه على كتف أليكس منتقلاً للطرف الآخر من البلدة، وما أن ظهرا على الطرف الآخر حتى تخفى رو ممسكاً بيد أليكس حتى يختفي معه.

قال رو محذراً: «لا تفلت يدي حتى لا ينقطع تخفيك».

حينها ظهر دريزور ومجموعة السحرة التابعين له، تلفتوا حولهم باحثين عنهما قبل أن يقول أحدهم:

«متخفيان، لكن نستطيع تعقبهما».

هز دريزور رأسه رافضاً: «لا، رو ماهرٌ في الاختباء، لن نجده أبداً» أشار بيده للجميع: «لنعد اليوم ونتعقبه لاحقاً، لن يختفي للأبد» ثم اختفى حينها عائداً للعشيرة مع أتباعه جميعاً.

«لم أعلم أنك ماهر في الاختباء؟» قال أليكس ثم التفت لرو الذي ملأ الحزن ملامحه مجيباً:

«إنها مهارتي الأقوى، ولعبتي المفضلة» تنهد بكآبة مضيفاً: «ودريزور الوحيد القادر على إيجادي إن أراد ذلك».

فهم أليكس حينها أن دريزور تركها بملء إرادته لأنه لم يرد إيذاء رو حقاً، تنهد لحزن رو ووضع يده على كتفه مواساةً له، ابتسم له رو ممتناً وقال: «هيا لنكمل طريقنا».

أومأ له أليكس وقال: «هل تعرف مكان مملكة السحر القديمة؟»

رو بنظرة متسائلة: «مملكة ستونهنج؟»

أجابه مؤكداً: «أجل، هل تعرف أين تقع؟»

قال رو محاولاً التذكر: «أخذني لها دريزور للتدرب منذ زمن طويل».

قال أليكس ممازحاً: «لم يغير الزمن مكانها، خذني لها».

اختفى رو منتقلاً بأليكس لمكان بعيد، وصولاً لمملكة قديمة كان لها من القوة والسلطة ما يخيف أعتى وحوش الأرض، مملكة أُنشئت فوق حقول خضراء شاسعة، على موقع جغرافي استراتيجي، فقد حمل محيطها الجنوبي غابة وحشية، والمياه الهائجة من الشمال والغرب، والجبال الفائقة العلو القارسة البرد من الشرق.

مملكة مزدهرة شديدة السلطة، لكنها الآن تبدو وكأن زلزالاً ضرب بها، زحف الزرع من الأرض إلى جدران بيوتها التي هُدمت أجزاء منها بينما قُلعت أبواب بعضها ونوافذ البعض الآخر، كان من الواضح أن هذا المكان حمل معركة حامية انتهت بخسارته.

أخذ أليكس نفساً عميقاً مسترجعاً ذكرياته ثم قال متأملاً القصر الكبير الذي أحاطت به بيوت المملكة من كل الجهات: «أتعرف من هو ميرلين ستونهنج؟»

أجابه رو وهو يجول بنظراته حول المكان: «مؤسس مملكة ستونهنج».

بدأ أليكس وكأنه يسرد قصة ما: «قبل أن يؤسس هذه المملكة» ثم التفت لرو وأكمل: «كان ميرلين أحد مستشاري الملك آرثر».

التفت له رو متعجباً: «ابن آوثر بندراغون؟»

قال أليكس باستعجاب: «صحيح!» ثم أكمل ممازحاً: «يبدو أن ملاحقتك لآمبر أعطت ثمارها».

حك رو مؤخرة رأسه بإحراج: «سمعت الأستاذ دافيس يتحدث عنه أثناء وجود آمبر في دورة المياه».

قال أليكس مبتسماً بسخرية: «إذاً أنت لم تستمع لأي كلمة في المدرسة إلا عندما اختفت آمبر من محيطك؟!» ثم هز رأسه مستسلماً قبل أن يبدأ برواية بعض الأساطير له: «تقول الأساطير إن ميرلين ساحر نصف شيطان، وإنه شق طريقه للبلاط الملكي عن طريق الملك آوثر بندراغون، كما أنه قام بتربية وتنشئة الملك آرثر وساعده على الجلوس على العرش بعد موت والده» التفت لرو الذي كان ينصت باندماج تام فابتسم وأكمل: «لكن ميرلين لم يستطع حمايته من أخواته

غير الشقيقات، ويقال إن واحدة منهن كانت جنية حاولت تدبير موته عدة مرات».

توقف أليكس عن الكلام فقال رو: «ما الذي حدث لميرلين؟»

أجابه ساخراً: «انقلب السحر على الساحر، كان ميرلين يختبئ تحت الكنيسة المسيحية، لكنهم اكتشفوا أنه ساحر نصف شيطان، فهرب منهم في النهاية بعد أن فقد الأمل في الملك آرثر».

قال رو مفترِضاً: «وأتى إلى هنا لتأسيس المملكة».

«صحيح، ولم يعلم أنها ستكون نهايته» قال أليكس ثم ضحك ضحكة مكتومة لمعالم رو المتفاجئة فأكمل: «وقع ميرلين في حب نينيان، أو كما يعرفها البعض بسيدة البحيرة، سومو نصف ساحرة نصف جنية، تقربت منه لتتعلم منه السحر فوقع في حبها وعلمها كل ما يعرفه لينتهي به الأمر أسيراً لها وأحد ضحاياها!»

قال رو متذكراً: «سمعت أن ميرلين لم يحكم مملكته لمدة طويلة بعد تأسيسها».

أومأ أليكس مؤكداً: «بعد تأسيسه للمملكة بوقت قصير حبسته نينيان في قبره، ولا يُعرف حتى الآن إن كان ميتاً أم حيّاً».

تقدم أليكس باتجاه القصر فتبعه رو قائلاً باستغراب: «لكنني لم أسمع بسيدة البحيرة في تاريخ مملكة ستونهنج».

أجابه أليكس وهو يمشي ببطء بين ممرات المملكة المؤدية للقصر:

«ذلك لأنها لم تحكم لمدة طويلة، تخلصت منها أخت الملك آرثر غير الشقيقة».

رو بتساؤل: «الجنية؟»

«مورغان لو فاي... اتضح أنها لم تكن جنية، بل ساحرة» قال أليكس مستهزئاً لمجرى الأحداث: «كانت إحدى تلاميذ ميرلين كذلك، بقيت للتحقق من سقوط الملك آرثر ثم توجهت للمملكة وأسقطت نينيان لكونها ساحرة غير نقية ثم نصت القوانين التي أبقت المملكة قوية لمئات السنين».

قال رو بمرارة أول القوانين التي تعلمها في صغره: «لا للمهجنين».

تنهد أليكس قائلاً: «صحيح، لكن أقوى قانون كان حظر السحر الأسود».

قال رو ضاحكاً: «أليس غريباً أنك تعرف عن تاريخ السحرة أكثر مما أعرف أنا؟»

قال أليكس ممازحاً: «أيها الصبي الصغير، لقد عشت أكثر من عشرة أضعاف عمرك، أنت بالكاد تعرف أي شيء».

أجابه رو بالنبرة نفسها: «هل تتفاخر بكبر عمرك يا مصاص الدماء؟» ثم ضحك ولم يلاحظ اشمئزاز أليكس مما ناداه به، لكنه لاحظ هدوءه بعد وهلة فقال: «ما بك؟»

هز أليكس رأسه: «لا شيء» ثم توقف عن المشي عند وصولها



لبوابات القلعة الضخمة، تأملها كلاهما قبل أن يلتفت أليكس لرو قائلاً: «قلدني إن استطعت».

توجه أليكس لإحدى الأشجار القريبة من حائط القلعة العالي وقفز للحائط المقابل لها ثم انتقل لأعلى الشجرة وقفز من فوقها قفزة عالية نقلته لداخل القلعة هبوطاً لحديقتها بعد أن أدى بعض الشقلبات البهلوانية في الهواء، رفع نظره لأعلى الحائط منتظراً رو الذي قال من خلفه بغرور:

«ولم أتحمل عناء تقليدك إن كنت أستطيع الانتقال في ومضة؟»

التفت له أليكس ثم ابتسم ابتسامة ملتوية قائلاً: «وما المتعة في ذلك؟»

ثم أكملا طريقهما في حديقة القصر متجهين لبوابة القصر الداخلية يتمازحان حتى قال رو: «ألم تكن وجهتنا مملكة إيماتيروس؟»

«بلى» أجابه أليكس «لكنني أنتظر إجابة من أحدهم قبل الدخول».

رو متسائلاً: «تنتظر إذناً بالدخول للمملكة؟»

أليكس مستنكراً: «بالطبع لا! هذه المملكة هي المكان الوحيد الذي لا أحتاج الإذن لفعل أي شيء فيها».

رو باستغراب: «ولم كل هذه الثقة؟»

أليكس بتجهم: «لأنني الوريث الشرعي».

توقف رو عن المشي ونظر لأليكس بنظرات خلت من المزاح قبل



أن يقول: «لأي نسل تنتمي؟» التفت له أليكس ونظر له في صمت بوجه خال من التعابير، فأكمل رو: «من قام بتحويلك لمصاص دماء؟»

«الملك الراحل رينالد جريك» أجابه أليكس ببرود ثم أكمل: «مؤسس مملكة إيماتيروس».

ابن الخائن

اتسعت عينا رو بصدمة قائلاً: «لو علم السحرة بأمرك....»

قاطعه أليكس: «لا أحد يعلم بأمري، سوى مصاصي الدماء».

رو بتعجب: «أنا لا أفهم! لم غادرت مملكتك؟»

أليكس بتجهم: «لأنني لا أريدها».

قال رو بحيرة: «لم أنت عائد لها إذاً؟» ثم تذكر أمر كيارا فقال: «أوه... هكذا إذاً».

أليكس متهكماً: «ربما حان الوقت لمواجهة الأمر، لقد هربت بما فيه الكفاية».

استطرد رو محاولاً تعديل مزاجه: «ما رأيك بإكمال جولتنا؟ وإخباري بباقي تاريخ مملكة ستونهنج».

أومأ أليكس وصعد مع رو الدرجات المؤدية لبوابة ضخمة الحجم، مزخرفة بالذهب، وقف كلاهما أمامها متأملين بإعجاب، ثم وضع أليكس كلتا يديه لدفعها بقوة لكن صوتاً أنثوياً ناعماً أتى من خلفهما:

«أليكساندر؟»

التفت كلاهما للصوت ليجدا فتاة ذات ملامح حادة وشعر شديد السواد كالفحم، طويل منسدل، وناعم كالحرير، تلونت عيناها بلون الدم لكن ذلك أعطى لجاذبيتها بريقاً مميزاً، كانت ترتدي زياً جلدياً

متيناً أسود اللون مع الأحزمة التي تحيط بخصرها وساقها، وطبقة جلدية أكثر سماكة على منطقة الصدر والأكتاف، إضافةً للأحذية الطويلة -Boot-، أحاط الزي بجسدها كطبقة جلد ثانية، لباس كان من الواضح أنه مخصص للقتال، وبجانبها وقف فتىً طويل القامة عريض الأكتاف بزي مشابه سوى أنه صُمم لجسد رجل مع معطف جلدي مطابق باللون.

كررت الفتاة: «أليكساندر إدريك؟»

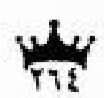
تأهب رو للقتال حال رؤيتها لكن أليكس وضع يده على كتفه ثم تقدم لهما ورو يتبعه من الخلف، ثم قال ببهجة:

«آيريس، كم مضى من الوقت منذ آخر مرة تقابلنا فيها؟» نظر لها من الأعلى للأسفل وأكمل: «لم أعلم أنكِ انضممتِ لقوات القتال، متى فعلتِ ذلك؟»

وضعت يدها على صدرها كتحية عسكرية فتبعها الفتى بجانبها قبل أن تجيبه: «مضت مئة وأربعة أعوام» ثم أجابت سؤاله الثاني بملامحها الخالية من التعابير: «انضممت لقوات القتال قبل تسعين عاماً» رفعت رأسها قليلاً وأكملت بفخر: «أنا الآن من الحراس الملكيين».

ابتسم أليكس بدهشة: «أمر باهر» ثم التفت للفتى بجانبها بنظرات متسائلة فعرفت به فوراً:

«هذا زي».



أليكس باستغراب: «زي؟»

«زينارد أزموديوس» قالت مصححة فالتفت له أليكس مرة أخرى لكن الفتى لم يقل شيئاً فأكملت: «زي لا يتحدث إلا نادراً».

أليكس بارتياب: «لا أذكره».

قالت آيريس بسرعة: «انضم للمملكة بعد رحيلك بوقت قصير».

أكمل أليكس بهدوء: «لكنني أذكر الاسم» ثم تابع موجهاً سؤاله لزي بحاجب مرفوع: «هل أنت من نسل لوكاس أزموديوس؟»

أومأ له الفتى بلا اكتراث دون قول شيء فأومأ له أليكس في المقابل متفهماً، عندها وجه زي نظراته لرو فعقد حاجبيه ونظر لآيريس بنظرة متسائلة فهمتها فقالت:

«ليس وارويك» نظرت الأخرى لرو وأكملت: «هذا هجين صغير» ثم أعادت نظراتها لزي مكملة: «وارويك ساحر نقي ذو نسل أصيل، ستتعرف عليه من غروره».

ضحك أليكس قائلاً: «لم تتغيري أبداً».

«لم يتغير كرهي للمغرورين» قالت بنبرتها الباردة ثم سألت: «من مرافقك؟»

التفت أليكس مشيراً لرو: «هذا رو، فتىً تحت رعايتي».

استغرب رو ما قاله أليكس لكنه فهم أنه يحاول تجنب قتال من أي نوع عندما قام كل من آيربس وزي بتحيته بالطريقة نفسها التي حيّيا بها أليكس.

قالت آيريس: «إذاً؟ ألن تزور مملكتك؟»

أجابها أليكس: «بلى، هذا ما جئت من أجله».

«لكنك وصلت للمملكة الخاطئة» بدت كلماتها ساخرة لكن نبرتها لم تتغير أبداً، باردة وناعمة كالثلج.

ضحك أليكس وقال: «لا، لقد تعمدت المجيء إلى هنا لأعطي رو درساً في التاريخ».

آيريس: «وهل انتهى الدرس؟»

«لا» أجابها أليكس وأضاف: «لكن يمكننا إكماله في يوم آخر» ثم أشار من حيث أتت آيريس وقال: «سنمضي من بعدك».

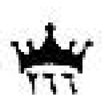
التفتت آيريس فتبعها زي ومن خلفهما أليكس وبجانبه رو الذي قال هامساً لأليكس أثناء سيرهم في حديقة القلعة:

«كيف يعرفون وارويك؟»

نظرت آيريس لرو من فوق كتفها مجيبة: «وارويك أحد المؤسسين الثلاثة لمملكتنا، من لا يعرفه!»

رو باستغراب: «المؤسسون الثلاثة؟»

«أجل، المؤسسون الثلاثة» أجابت ناظرةً للأمام ورفعت إصبعها «الملك الراحل رينالد جريك» رفعت إصبعاً آخر «وارويك إيدور» ثم نظرت لأليكس من فوق كتفها رافعةً إصبعاً ثالثاً «وأليكساندر إدريك».



التفت رو لأليكس بحاجبين معقودين فقال أليكس مبرراً موقفه: «كنت سأخبرك لولا أن قوطع حديثنا».

رد عليه رو متهكماً: «قوطع حديثنا عن تاريخ السحرة لا مصاصي الدماء».

قال أليكس موضحاً: «ألم تنتهِ مملكة السحرة بمصاصي الدماء؟ كنت سأخبرك عند الوصول لذلك الجزء من التاريخ».

«أهذا هو السر الذي أخفيته على كيارا؟» قال رو فالتفت له أليكس بسرعة لكن رو كان قد أزاح نظراته عنه ناظراً للأمام حين أكمل: «ألهذا هربَت؟»

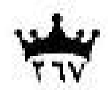
أبقى أليكس نظراته باتجاه رو دون قول شيء، فالتفت له رو بحاجبين معقودين لصمته، عندها أشار أليكس بعينيه للرفقة التي تسير أمامهما ففهم رو أنه لم يكن الوقت المناسب لهذا الحديث.

عندها وصلوا لأحد أسوار القلعة فقفز كل من زي وآيريس قفزات عالية لتجاوزها، أما رو فالتفت لأليكس وقال ساخراً:

«قلدني إن استطعت».

ثم اختفى منتقلاً للجهة الأخرى حيث كان ينتظر زي وبجانبه آيريس، لكن ما أن ظهر رو أمامهما حتى هبط أليكس بجانبه بخفة، ثم وقف مبتسماً بغرور والتفت لرو قائلاً:

«أخبرتك، ما المتعة في ذلك؟»



هز رو رأسه باستسلام ثم قال ممازحاً بعد أن استأنفوا سيرهم: «إذاً، أين تقع مملكتك يا صاحب الجلالة؟»

ضحك أليكس بخفة: «يبدو أنك لم تتعرض للضرب منذ وقت طويل».

رو باستغراب: «لا أفهم لم أخفيت الأمر كل ذلك الوقت!»

أجابه بلا مبالاة: «ليس أمراً مهماً».

فضحك رو غير مصدقٍ لما يسمعه: «غير مهم!!!» وأكمل متعجباً: «أنت أحد الأشخاص الذين غيروا مجرى التاريخ... لقد أسقطتم مملكة قوية عريقة!!»

التفتت آيريس لزي بابتسامة جانبية فخور ثم أعادت نظراتها للأمام دون قول شيء لكن أليكس قال معترضاً:

«جزء من ذلك غير صحيح» تنهد وأكمل مفسراً: «مملكة ستونهنج تدمرت من الداخل».

«ما الذي تقصده؟» سأل رو بعدم فهم فأجابه:

«كُسر القانون الذي أبقى المملكة شامخة لوقت طويل» ثم التفت له متابعاً: «السحر الأسود.. انتشر بين السحرة حتى ضعفت المملكة شيئاً فشيئاً».

«هممم» همهم رو وأومأ متفهماً ثم عم الصمت للحظات قبل أن يقول أليكس بابتسامة جانبية جاذباً انتباهه مرة أخرى:



«أتعلم ما المثير للسخرية؟ أول مرة كُسرت فيها القوانين واستُخدِم فيها السحر الأسود كانت لحماية المملكة من مصاصي الدماء» التفت ووجد أن رو كان ينظر إليه باهتمام بالغ فتابع: «لكنها كانت السبب نفسه في سقوط المملكة لاحقاً، المضحك المبكي للسحرة أنها سقطت بيد مصاصي الدماء».

قال رو ناظراً أمامه: «يبدو أن هذا الجزء من ماضيك يشعرك بالمرارة، أستطيع التخمين أنك لا تحب عودتك لهذا المكان فقد كررت كلمة مثيراً للسخرية أكثر من مرة اليوم».

تنهد أليكس ثم قال بنبرة باردة كالثلج: «لأنه كلفني أغلى ما أملك».

التفت له رو ولاحظ نظراته الباردة المليئة بالقهر، أعاد نظراته للأمام مقرراً الصمت، وبعد لحظات من سير صامت بطيء توقفت آيريس والتفتت لأليكس قائلةً بتضجر:

«هل سنسير بهذا البطء لوقت طويل؟»

نظر أليكس لرو وقال باستثارة: «ما رأيك بسباق؟»

غمر الحماس رو فوراً فأجاب: «موافق، اختر الوجهة».

أشار أليكس للوجهة التي كانوا يقصدونها: «حتى جبال الميركور».

رو محتجّاً: «وكيف سأعرف أنني على الطريق الصحيح؟»

«إن رأيت القمم الجليدية؛ فأنت على الطريق الصحيح» أجابه ثم تابع مطَمئناً: «إن تقدمنا قليلاً فستبدأ برؤيتها».

قالت آيريس بصوتها البارد: «هل السباق محصور بكما؟»

التفت أليكس لرو بنظرة متسائلة فهز الآخر أكتافه غير معترض، فأعاد نظره لآيريس مجيباً: «المتعة تزيد كلما ازداد عدد المشاركين».

نظرت آيريس لزي فابتسم لها ابتسامة ملتوية قبل أن يلتفت للأمام استعداداً للبدء، تقدم رو ووقف بجانبه ومن الجهة الأخرى وقف أليكس بجانب آيريس قبل أن يبدأ بالعد:

«ثلاثة... اثنان... واحد!»

ما أن انتهى أليكس من العد حتى اختفى زي من جانبهم وكأنه انتقل كالسحرة، ابتسمت آيريس ابتسامة صغيرة بينما ارتبك كل من رو وأليكس للحظة وتبادلا النظرات المصدومة قبل أن يسرعا خلفه.

كان رو يستعمل التنقل الآني، فيظهر في بقعة وما أن يحدد وجهته حتى يختفي ويظهر فيها، كان تنقله سريعاً لعدم بقائه في أي بقعة إلا أجزاءً من الثانية، أما أليكس فكان يعدو بسرعة البرق بينما اختفت آيريس التي تحفظ المكان مستخدمة طريقاً آخر.

استمر السباق لدقائق قليلة تضمنت محاولات أليكس تشتيتَ انتباه رو، وضحكات رو الساخرة لفشله المتواصل في ذلك، وفي النهاية وصلا لأسفل الجبل في الوقت نفسه ليجدا أن آيريس التي وصلت قبلهما بثانيتين تلتقط أنفاسها.

قال أليكس مستغرباً: «أين زي؟ بدأ بسرعة خيالية ظننت أنه سيصل قبل الجميع».

قال رو ساخراً: «يبدو أنه ضل الطريق».

لم تجبهما آيريس واكتفت بالإشارة لأعلى الجبل، رفع كلاهما رأسه ليجدا زي يجلس على صخرة ضخمة الحجم، متكئاً بساعديه على ركبتيه، ممسكاً بغصن شجرة صغير ويلعب به متململاً كما لو أنه وصل منذ مدة طويلة.

«لا يبدو أنه استمتع بالسباق» قال أليكس ثم أكمل: «على أي حال لنكمل طريقنا».

نظر رو للجبل الشاهق أمامه بلا ممر للصعود، فقال: «كيف نعبر من خلاله؟»

أجابه أليكس: «لا مجال للعبور إلا بالتسلق».

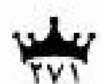
عقد رو حاجبيه: «لا أستطيع الانتقال للقمة دون رؤيتها».

ابتسم أليكس ورفع حاجبه قائلاً: «لكنك لست مجرد ساحر!»

فهم رو مقصده وتحول لغراب مما بعث بغمامة سوداء حوله قبل أن يطير من وسطها.

قالت آيريس متتبعةً رو بنظراتها: «متغير» ثم أنزلت نظراتها لأليكس مكملة: «سومو».

التفت لها أليكس ولم يقل شيئاً لتعليقها الذي لم يحمل أي نبرة توضح له مقصدها، حينها انتبه زي لرو وكأنه كان منفصلاً عن الواقع قبلها، تتبعه بنظراته لوهلة ثم وقف وقفز قفزة عالية قبل أن يمسك بصخرة



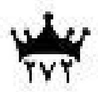
كبيرة الحجم بيد واحدة وتعلق بها كما يتعلق القرد على الشجرة، ثم بدأ بعدها بالتسلق سريعاً بأطرافه الأربعة.

لحقت به آيريس وأليكس الذي تسلق الجبل بطريقة مختلفة، فقد كان سريع الملاحظة لمواضع قدميه، ويتخير الصخور الأكبر حجماً حتى تتحمل قفزاته دون أن تتكسر، وبدلاً من التسلق بأطرافه الأربعة كان يقفز قفزاتٍ بهلوانية من صخرة إلى الأخرى وكانت آيريس وراءه تستخدم يديها للتسلق فقط بحركة رشيقة لخفة وزنها.

ومرة أخرى كان زي أول الواصلين رغم انطلاق رو قبله، لكن رو لم يعره أي اهتمام عند وصوله للقمة الجليدية الشديدة البرودة، فما أن تحول لهيئته الآدمية أدهشه المنظر الذي أمامه، فلم يظن أن المملكة ستكون أمامه بهذه السرعة.

لم يكن الجبل الذي تسلقه وحيداً، بل منتمياً لسلسلة جبال جليدية أحاطت بمملكة إيماتيروس من جميع الجهات كحاجز شديد الحماية، كأبراج شاهقة الارتفاع صُفّت بعضها بجانب بعض، واستقرت وسطها المملكة الجليدية الشديدة البياض.

وصل أليكس وآيريس في الوقت نفسه، ومع وصولهما اهتزت الأرض أسفلهم مسببةً الاضطراب لرو الذي عاد ووقف بجانب أليكس باحتراس قبل أن يظهر من أسفل الثلج مجموعة من الحرس بلباس مشابه لزي وآيريس حاملين رماحاً فضية صلبة بأيديهم.



اعتدل رو متهيئاً للقتال لكنهم حينما انتبهوا لأليكس ألقوا الرماح أرضاً ووضعوا أياديهم على صدورهم تحية له، خافضين رؤوسهم احتراماً، وضع أليكس يده على كتف رو مطمئناً ثم أشار للحرس بيده قائلاً:

«استريحوا».

أشارت لهم آيريس بحمل رماحهم عن طريق أليكس فاستجابوا فوراً وفسحوا لهم طريقهم، تقدمت آيريس ووقفت على الهاوية ثم قفزت برشاقة لأسفل الجبل قبل أن يتبعها زي وأليكس، أما رو فوقف في مكانه متردداً لوهلة ثم انتبه لأليكس الذي رفع رأسه باحثاً عنه فأغلق عينيه وانتقل لجانبه.

قال أليكس فور وصول رو لجانبه: «ما بك؟»

هز رو رأسه دون قول شيء، وبدؤوا بالتوجه للمملكة متجاوزين خطوط الحراس المتواصلة حتى سأل أليكس آيريس:

«ما سبب الحماية المشددة؟»

«تغير الكثير منذ رحيلك» أجابته آيريس ناظرةً للأمام وبعد تجاوزهم لآخر خط حراسة التفتت لرو وقالت مبتسمة: «مرحباً بك في مملكة الدم».

عقد رو حاجبيه بعدم ارتياح، لكنه أكمل طريقه على أي حال، بينما خرج الجميع من بيوتهم بحماس شديد لحضور أليكس مهللين

ومرحبين بقدومه في سعادة غامرة مرددين:

«أخيراً عاد!»

«سنرتاح الآن!»

«ستعود العدالة!»

والكثير من الكلمات التي تحمل المعنى نفسه، كان أليكس مدركاً لمقصدهم وميله لتحقيق العدل أشعره بالارتياح لعودته وإعادة الأمور لنصابها.

توقف أربعتهم عند وصولهم للقلعة التي تمركزت على الطرف الآخر من المملكة، نظر رو بذهول للقلعة الهائلة الحجم أمامه ورفع رأسه ناظراً لأبراجها الشاهقة التي وازت طول الجبال القريبة منها، بينما زينتها أغصان من الفضة المتوهجة، ملتفة حول القصر كزخرفات رُسمت باحترافية.

قال رو بإعجاب: «منظر بديع».

«صممها رينالد بيديه» قال أليكس ثم أضاف: «انتظر لترى ما بالداخل».

تقدم للدخول وتبعه رو وآيريس، ثم زي من خلفهم، دُفعت الأبواب فور اقترابه منها سامحةً للجميع بالتقدم، فتح رو فاهه باندهاش عندما اختلف التصميم الداخلي عن الخارجي تماماً، وكأنه انتقل بالزمن لحقبة زمنية مختلفة، فقد بدا له تصميم القلعة من الخارج

كالقصر الجليدي الشديد البرودة، أما داخلها فكان تصميماً فكتورياً ذا ألوان داكنة تبعث بالدفء لمن يراها.

ما أن أُقفلت أبواب القلعة عازلةً الأصوات من الدخول أو الخروج، حتى تبدلت ملامح أليكس للجدية التامة، التفت لآيريس قائلاً بصوت غليظ لم يستخدمه منذ خروجه من المملكة:

«هل تغيرت الغرف؟»

اعتدلت آيريس بوقفتها متنبهةً لتغير الأجواء وأجابت برسمية: «لا، جلالتك».

قال أليكس بالنبرة نفسها: «لا داعي للمسميات» ثم أكمل بحزم: «سأتوجه لقاعة العرش، استدعي تايرون زامبا».

«أمرك» قالت آيريس حانيةً رأسها ثم انصرفت سريعاً.

نظر حينها أليكس لزي وقال: «أما أنت فاتبعني».

حنى زي رأسه وتبعه دون قول شيء، أما رو المصدوم من كل ما شهده فتبعهما بتحفظ وهدوء دون التعليق على جانب أليكس الذي لم يرَه سابقاً، ثم تشتت انتباهه بتصميم القصر الخلاب، والثريات التي تدلت من السقوف والأبواب المزخرفة بالذهب والمقابض البلورية.

وصل ثلاثتهم لقاعة اختلف بابها عن بقية الأبواب فقد كان مصمماً من الذهب الصافي ثقيل الوزن، وكان من الواضح أن ما وراءه عالي الحماية، وقف بجانب الباب حارسان ارتبكا ما أن رأيا أليكس، وفتحا له الباب سريعاً ثم أغلقاه بعد دخولهم.



نظر رو حول القاعة التي لم تحمل سوى كرسي العرش المرصع بالذهب والألماس، وكان من الواضح أنه عرش الملك الراحل، وخلف الكرسي نوافذ ملونة عالية، بينما أسفله امتد بساط أحمر حتى الباب الذهبي الذي دخلوا منه، وبعض الثريات المعلقة.

لم يتردد أليكس في الجلوس على العرش بعد أن خلع معطفه ووضعه على يد الكرسي، تنهد وأشار لزي بيده للتقدم، امتثل زي أمامه فقال:

«متى قام لوكاس بتحويلك؟»

عندها تكلم زي بنبرة هادئة غليظة نوعاً ما: «قبل تأسيس المملكة بعدة عقود».

تنهد أليكس مفكراً ثم قال: «سبّب لوكاس لنا الكثير من المتاعب وخسرنا الكثير من الضحايا بسبب خيانته» صمت قليلاً ثم أكمل عندما لم يجد أي ردة فعل من زي: «لكنني لا أومن أن الفتى سر أبيه، لذا أجبني بوضوح... لمن ينتمي ولاؤك؟»

أجابه زي ببساطة بالنبرة الهادئة نفسها: «لقاتل لوكاس».

قال أليكس: «قاتل لوكاس هو الملك الراحل رينالد، ألا تعلم ذلك؟»

«بلى» أجابه زي ثم ركع على إحدى ركبتيه واتكأ بيده على الركبة الأخرى مكملاً: «ولائي لقاتل لوكاس ونسله».



قال أليكس دارساً ردود أفعال زي بتمعن: «ماذا عن زامبا؟ أليس هو قائدك الذي أوصلك لمكانك الحالي؟»

وقف زي على قدميه بهدوء ثم رفع رأسه ناظراً لأليكس بحاجب مرفوع: «لا ولاء للخونة».

عقد أليكس حاجبيه وتبادل النظرات مع زي للحظات قبل أن يُفتح الباب مدخلاً تايرون زامبا الذي تغيرت تعابيره ما أن رأى أليكس جالساً على العرش، حمحم منظفاً حنجرته قبل أن يقول بنبرة مبتهجة:

«أليكس، بماذا ندين لهذه الزيارة؟»

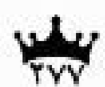
زمجر أليكس محذراً: «لا أحتاج إذنك لدخول مملكتي!»

تايرون وقد استفزه وقع الكلمة: «مملكتك؟»

أليكس بنبرة مشحونة واقفاً عن العرش: «هل لديك اعتراض؟»

أجابه تايرون من بين أسنانه: «لا، كل ما في الأمر أنك لم تعد منذ عقود طويلة، لم يتوقع أحد عودتك».

قال أليكس مقترباً منه ببطء: «عدت الآن لأسترجع ما كان ملكاً لي منذ البداية» وقف أمامه تماماً حتى تصادمت أنفاسهما فخفض تايرون عينيه للأرض «واسمي ليس أليكس.... بل صاحب الجلالة، وسأحكم هذه المملكة ولو تطلب الأمر قتالاً!»



رفع تايرون عينيه حينها قائلاً: «لنتقاتل إذاً!»

وقبل أن يعطيه أليكس أي ردة فعل استقرت سكين تايرون في جنبه الأيمن، تجهم وجهه بصدمة بينما ابتسم الآخر بخبث حين قال:

«متأسف أن زيارتك قصيرة».

حكم عادل

سحب تايرون السكين وحاول طعن أليكس مرة أخرى قبل أن تقبض يد زي على عنقه وترفعه للهواء.

قال زي بنبرة صوته الهادئة: «قلت لك.. لا ولاء للخونة».

حينها حاول تايرون طعن زي، لكن زي أمسك بيده فوراً وشد قبضته حول عنقه محاولاً كسره، زمجر تايرون بألم ورفع يده الأخرى ليد زي المحيطة برقبته ساعياً للتملص منها، لكن رو شل حركته سريعاً بتعويذة جعلته كالجسد بلا روح، فأفلته زي عند قدمي أليكس الذي نظر له بازدراء ممسكاً بجانبه النازف، توجه رو لجانب أليكس وساعده على الوقوف بعد أن بدأ بالترنح ثم ساعده على العودة لكرسي العرش.

قال رو مرتبكاً: «ألا يتعافى مصاصو الدماء سريعاً؟»

«إنها مسمومة» أجابه أليكس فاتسعت عيناه وشحب وجهه خوفاً، وضع أليكس يده على كتفه مطَمئناً: «لا تقلق، هناك طبيب في القصر» التفت لزي مشيراً له باستدعائه فانصرف الآخر سريعاً.

وبعد لحظات عاد زي والطبيب معه ومن خلفهما كانت آيريس التي تفحصت الوضع بهدوء قبل الوقوف بالقرب من الطبيب، بقي الجميع مترقبين بينما فحص الطبيب أليكس بصمت، وبعد وهلة تجهم وجه الطبيب وتنهد مبتعداً عن أليكس الذي قال متسائلاً:



«هل الإصابة بهذا السوء؟»

هز الطبيب رأسه: «لم تصب السكين أي عضو حيوي» ثم أشار حول مكان الجرح الذي تحول للون الأسود «لكن السم ينتشر بسرعة ويأكل كل ما أمامه!»

بدأ رو بالتحدث مستغرباً: «لكن... أنتم مصاصو دماء! أليس سمكم أقوى من أي سم آخر؟!»

أخذ الطبيب نفساً عميقاً قبل أن يقول: «رأيت هذا السم من قبل» ثم اقترب من أليكس وبدأ بدهن مرهم أصفر اللون ذي رائحة قوية وكريهة مكملاً: «آخر رحلة ذهب لها الملك الراحل... تعرض لهجوم سحرة... ثم عاد بإصابات مطابقة للتي لديك» وضع قطعة قماش على مكان الجرح قائلاً: «هذا سم ملعون بتعويذة سوداء».

سأل رو بتأمل: «وكيف عالجت جراحه؟»

أجابه الطبيب بأسىً: «لم أعالجها، ليس لدي سوى هذا المرهم لتبطئةِ آثاره».

قال أليكس معتدلاً في جلسته بصعوبة: «وهذا كل ما أحتاجه» ثم أشار للطبيب بالمغادرة قائلاً: «يمكنك الانصراف».

اتجه الطبيب للباب وتوقف في منتصف طريقه ملقياً بنظرة سريعة باتجاه تايرون الملقى على الأرض، هز رأسه باستهجان ثم خرج من

القاعة، بينما التفت أليكس لزي وقال:

«كيف علمت أنه خائن؟»

التفت زي لآيريس التي تكلمت بالنيابة عنه: «الجميع يشكون بأمره منذ وقت طويل... إصراره المفاجئ في ذلك اليوم على الذهاب مع الملك دون الحرس ثم تعرضهما للهجوم وعودة الملك محتضراً... لم يبد أي من ذلك عشوائيّاً» التفتت آيريس لتايرون ثم أعادت نظراتها لأليكس مكملة: «لم يتجرأ أحد على الكلام بعد أن شن حملة تطهير ضد المشككين بأمره».

شد أليكس قبضة يده بغضب متذكراً آخر كلمات وارويك له:

~ «ليس الأمر وكأن تايرون لا يستحق الموت».

تردد صوت وارويك برأسه قبل أن يقول بنبرة مشحونة: «حان وقت حسابه» ثم أخذ نفساً عميقاً ليهدئ أعصابه قبل أن يضيف: «لكنني سأفعل ذلك بالطريقة الصحيحة» التفت لآيريس وتابع آمراً: «أحضري لي ورقة وقلماً» حنت رأسها وأسرعت بتلبية طلبه، نظر حينها لزي وأمره: «أحضر لي أعواد ثقاب وصحناً فولاذيّاً» فحنى الآخر رأسه وأسرع للخارج كذلك، التفت لرو أخيراً الذي وقف منتصباً في انتظار أمره، ضحك أليكس لتأهبه وقال: «أما أنت فاجلس بجانبي وحسب».

عقد رو حاجبيه وقال معترضاً: «لم لا تعطيني أمراً مهماً لفعله أيضاً؟»

هز أليكس رأسه باستسلام مبتسماً قبل أن يقول مشيراً لتايرون: «إن أرسلتك بعيداً فمن سيقيد حركته؟»

«أوه» قال رو متذكراً ثم ضحك بإحراج: «نسيت أمره».

حينها دخلت آيريس وخلفها زي بطلبات أليكس، تناول القلم والورقة ثم كتب عليها كلمات بلغة قديمة جداً لم يستطع قراءتها أي ممن حوله، لكنه كان يعرف معناها جيداً.

من حيث وُلدنا سنعود... لنصلح ما شوههُ الخلود.... إلى أن نُمحى من الوجود.

أشار لرو بحمل الطبق الفولاذي أمامه، وأخيراً أشعل عود ثقاب وقربه من الورقة لتبدأ بالاشتعال ببطء، لكن ما أن لامست النار أحد الحروف المكتوبة حتى توهجت الكلمات واشتعلت سريعاً قبل أن تنطفئ فجأة تاركةً بقايا الورقة فوق الصحن الذي حمله رو مذهولاً مما رآه، أخذ أليكس الصحن من يد رو وتركه بيده منتظراً.

لم تكن إلا ثوانٍ معدودة حتى ظهر ثقب ناري شديد الاشتعال في وسط القاعة أمام الجميع، توهج الثقب لوهلة قبل أن يبدأ بالتشكل على هيئةٍ آدمية، ثم بدأ بالخفوت شيئاً فشيئًا حتى بدت معالم الغريب لهم.



بشرة بيضاء ثلجية تغطت ببعض النمش، شعر أحمر طويل رفع نصفه العلوي على هيئة جديلةٍ طويلة تاركاً النصف السفلي ينسدل على طول ظهره، بينما تدلت جديلتان من جانبي وجهه الحاد الملامح.

«سبارك... أهلاً بك» قال أليكس متأملاً رداءه المخملي السكريّ اللون الممتد بضعة إنشات خلفه ومفتوحاً من الأمام مظهراً البنطال البني أسفله قبل أن يكمل: «أرى أن ذائقتك لم تتغير».

ابتسم سبارك بقليل من الفخر مجيباً بصوته السميك المنخفض: «ماذا بإمكاني أن أفعل؟ أحب الأناقة».

كان رو يحدق بسبارك مبهوتاً، فلم يقابل عنقيّاً قبل كيارا، ولم تكن كيارا نموذجاً مثاليّاً لما يبدو عليه العنق على أي حال، ومع أن هالة سبارك المهيبة كانت كفيلة بإخافته إلا أن ذلك لم يكن السبب الوحيد لعدم قدرته على التحرك.

فقد كان جسد سبارك نحيلاً جدّاً كأجساد النساء، ولوصف ملامحه بإنصاف؛ كلمة جميل أقرب للحقيقة من كلمة وسيم، لكن الحدة التي رُسمت بها تلك الملامح تجعل من يراه يعلم فوراً أنه ليس شخصاً يمكنك الاستهزاء به، وفي النهاية كان أكثر ما صدم رو هو صوته الذي لا يتناسب مع ملامحه وهيئته الجسدية، فمن يستمع له يظن أنه قادم من شخص ضخم كدريزور على أقل تقدير.

قطع أليكس تسلسل أفكار رو عندما ضحك ضحكةً مكتومة ثم أمسك بمكان جرحه متألماً قبل أن يجيب: «مسرور لرؤيتك».

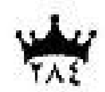
قال سبارك بتعابير مليئة بالاهتمام: «أود قول ذلك أيضاً، لكنك لا تبدو على ما يرام» تقدم باتجاهه حتى وقف أمامه ناظراً لموضع يده ثم أكمل بهدوء: «دعني أرَ إن كان بإمكاني المساعدة».

نظر له أليكس بتردد للحظات لكنه أزاح يده في النهاية، جلس سبارك على ركبتيه متفحصاً جرحه بتركيز.

«الوضع سيئ» قال سبارك مؤكداً ما يعرفونه سابقاً، ثم ابتسم ابتسامة صغيرة مضيفاً: «لحسن الحظ أستطيع معالجتك».

قال أليكس ممتناً: «شكراً لك، طلبت منك معروفاً واحداً وأنت تتفضل عليّ بآخر».

عقد سبارك حاجبيه بخفة ناظراً له بعدم فهم لبرهة قبل أن يدرك مقصده، التفت لتايرون الذي لم يعد أي منهم يلقي له بالاً وقال: «آه... أنت تقصد تايرون زامبا» ثم أعاد نظراته لأليكس مكملاً: «زامبا كان في القائمة على أي حال... كل ما طلبته أنت هو وضعه في أعلاها» نظر لأليكس من أسفل رموشه نظرة خاطفة، ثم تمتم بكلمات متسارعة: «كما أنني أدين لك بالكثير».



قال أليكس ساخراً: «سماعي لهذه الكلمات تخرج من فمك يعني لي الكثير، أعلم أن الاعتراف بذلك يجرح كبرياءك».

رفع سبارك أحد حاجبيه بانزعاج ثم وضع يده النحيلة على موضع الجرح بسرعة واستطرد: «أتوقع أن هذا سيؤلمك».

ظهر وهج برتقالي بين يد سبارك وجرح أليكس، ارتعد جسد أليكس بعد أن تفاجأ بمقدار الألم الذي اعتراه، شد قبضته على الصحن الفولاذي الذي بيده حتى انثنى وتحول لشكل كفه من الداخل وكأنه قبض على قطعة من القطن لا الفولاذ.

بدأ أليكس بالتعرق لكن قطرات العرق كانت ذات لون أسود، بينما حدق الجميع بما يحدث دون تدخل، ثم بعد ثوانٍ رفع سبارك يده عن موقع الجرح الذي اختفى تماماً وكأنه لم يكن، لهث حينها أليكس محاولاً استجماع قوته ومسح عرق جبينه بظهر يده فانتبه للون فوراً.

قال سبارك عندما رأى ملامح أليكس المتقززة: «أسهل طريقة لإخراج السم هي بتعرقه» مسح أليكس يده ببنطاله دون أن يجيب فأكمل ساخراً: «هل كنت تفضل إخراجه من مكان آخر؟» تجعدت ملامح أليكس باشمئزاز فضحك سبارك قائلاً: «هذا ما توقعته».

لم ينتبه أي منهم لخروج آيريس من القاعة إلا عندما عادت بفوطة مبللة وناولتها لأليكس الذي أومأ لها شاكراً قبل أن يمسح بها وجهه.

نظر سبارك لأليكس متفكراً ثم قال بعد وهلة: «أعلم أنني لم أرك منذ عقود كثيرة،.... لكنني مع ذلك لم أتوقع رؤيتك بهذه الهشاشة».

التفت له أليكس بحاجب مرفوع ورمقه ببرود في الوقت نفسه الذي سُمع فيه صوت زمجرة خفيفة تحذيرية من خلفه حيث وقف كل من زي وآيريس، أزاح سبارك عينيه عن عيني أليكس اللتين حملتا بعض التحدي ونظر لمصدر الزمجرة لكنه لم يستطع معرفة من أطلقها كون زي وآيريس أظهرا الملامح الغاضبة أنفسها.

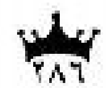
ابتسم أليكس ابتسامة جانبية ساخرة تبعتها ضحكة خافتة باردة لم تحمل المزاح أبداً قبل أن يقول بثقة ناظراً لتايرون: «كنت أستطيع شق عنقه بالسكين نفسها قبل أن يستطيع إخراجها من جيبه» أعاد نظراته لسبارك مكملاً: «لكنني أردت تركه لك لتحاسبه بطريقة عادلة».

ابتسم سبارك مسترجعاً ومضات من الماضي لأليكس في أرض المعركة، قفزاته السريعة وقوة ضرباته ثم عدم تردده في فصل رؤوس أعدائه دون تلطخه بدمائهم، وتذكر سرعة بديهته التي أعطته الأولوية دائماً.

قال سبارك أخيراً: «أعلم أنني لا أريد الوقوف أمامك في قتال».

أجابه أليكس بجدية: «لن يحدث ذلك أبداً، فقتال العنق خطيئة».

ثم تنهد الاثنان محدقين بعضهما ببعض للحظات قبل أن يلتفت



سبارك لتايرون معيداً تركيزهم لما هو مهم، وقال متجهاً لتايرون:

«إذاً... هل أبدأ المحاكمة؟» ثم وقف أمام تايرون الذي كانت عيناه باتجاه السقف بلا تعابير، التفت لأليكس بانتظار إشارته فأومأ له أليكس بصمت.

أعاد سبارك نظراته لتايرون للحظات ثم التفت لأليكس مرة أخرى مشيراً لتايرون بيده، نظر أليكس لرو -ذي الثغر المفتوح- وأشار لتايرون كذلك، نظر رو لأليكس بعدم فهم ثم التفت لسبارك ثم لتايرون قبل أن تضيق عيناه بارتياب معيداً نظراته لأليكس مرة أخرى وقائلاً بنبرة متقطعة:

«مـ.. مـ.. ماذا؟» نقل نظراته بين أليكس وسبارك بهلع: «هل تريدون التضحية بي؟!!»

قال أليكس مبتسماً بلطف: «رو».

لكن تلك الابتسامة زادت ارتياب الآخر فهز رأسه رافضاً: «لست أنا من طلب هذه المحاكمة!! والحقيقة...» توقف وبلع ريقه قبل أن يكمل بهدوء مصطنع مشيراً لتايرون: «أنا أظن أننا يجب أن نعطي هذا فرصة أخرى...»

كرر أليكس بهدوء: «رو».

عقد رو حاجبيه لوهلة محاولاً التذكر: «ما اسمه؟... ما كان اسمه؟»



ضحكت آيريس ضحكة مكتومة ولم يستطع أليكس منع ابتسامته من الاتساع، ثم مسح على فمه بيده محاولاً كتم ضحكته قبل أن يقول مقاطعاً نوبة الهلع التي أصابت رو:

«التعويذة يا فتى».

توقف رو عن التلفت فجأة ونظر لأليكس ببلادة: «هاه؟»

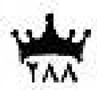
تابع أليكس موضحاً: «ارفع تعويذتك عن تايرون».

«أوه» كان كل ما قاله رو قبل أن يتحول وجهه للون الأحمر، التفت لتايرون بهدوء وبدأ بفك تعويذته، بينما كان سبارك يراقبهم بصمت، ثم قال بصوت منخفض أقرب للهمس حتى لا يسمعه رو:

«أرى أنك قمت بتبني حيوان أليف».

حينها انفجر أليكس ضاحكاً ولم يستطع حبسها أكثر، تردد صوت قهقهته في القاعة بينما تجهم وجه رو ممتعضاً ظاناً أنه يضحك لانفعاله السابق، قرر عدم التعليق وأكمل رفع التعويذة بينما كان أليكس يحاول السيطرة على ضحكاته، لكن في تلك اللحظة خرج تايرون من تأثير تعويذة رو غاضباً فزمجر عالياً حتى تزلزل المكان حولهم وبدأت الثريات تطقطق إثر اصطدام بلوراتها بعضها ببعض.

رفع سبارك يده باتجاهه فعاد الصمت وعم الهدوء مرة أخرى، لكن الجو أصبح مشحوناً بالفعل، ارتفع جسد تايرون عن الأرض طافياً



باتجاه سبارك ثم سقط على ركبتيه عند قدمي العنقي الذي بدأ محاكمته قائلاً بصوت أغلظ من السابق:

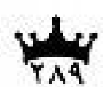
«أستطيع تعديد ذنوبك لكن ذلك سيكون مضيعة للوقت، مع ذلك....» صمت لوهلة وأمال رأسه قبل أن يكمل: «سأكون عادلاً وسأرى إن كان بداخلك شيء يستحق إنقاذك».

تقدم سبارك خطوة واحدة ورفع يده واضعاً كفه على رأس تايرون من الجانب، علم أليكس أن سبارك يبحث في ماضي تايرون عن فعلٍ خيّر يخفف به عقوبته، لمعت عينا سبارك بينما جحظت عينا من أمامه عندما بدأت تُعرض له حياته خلف عينيه، كل أفعاله وجميع ذنوبه وجرائمه أمامه الآن ولا يستطيع الهروب منها.

ارتفعت شفتا سبارك من الجانب في ابتسامة ساخرة قبل أن يقول: «أنت أسوأ مما توقعت، سأتوقف هنا حتى لا أقوم بتعذيبك جراء ما رأيت» ثم عاد خطوة للوراء قبل أن يعلن حكمه: «اذهب وواجه مصيرك!»

عندها شعر تايرون بالحرارة تتصاعد داخله، فبدأ بترجي سبارك في أن يعطيه فرصة أخرى، ثم انقطع صوته فجأة عندما بدأ جسده بالتحلل إلى ما يشبه الورق المحترق وتطاير في الهواء حتى اختفى تماماً.

أخذ أليكس نفساً عميقاً بينما تبادل زي النظرات مع آيريس بصمت، أما رو فكان يومه مليئاً بالأحداث ولم يعد بإمكانه التحمل



أكثر فتوجه لأحد جدران القاعة وأسند ظهره قبل أن ينزلق للأرض خائر القوى.

تقدم سبارك لأليكس قائلاً: «لقد انتهى دوري هنا».

قال أليكس مستوقفاً: «في الحقيقة أردت عقد اتفاقية معك....» عقد يديه خلفه ورفع كتفيه بعزم عندما أكمل: «اتفاقية عدل».

نظر له سبارك بتمعن ثم قال: «هل أنت واثق؟... استلام الحكم صعب، والأخطاء تحدث».

أجابه أليكس دون تردد: «أنا واثق، إن كنت سأحكم جنساً كاملاً فسأفعل ذلك بالطريقة الصحيحة، ولأن الأخطاء تحدث أريدك حاضراً لمحاسبتي كل مرة».

أومأ سبارك متفهماً: «أعلم أن لا مجال لتغيير رأيك لذا لا فائدة من التأخير» رفع يده موجهاً كفه للأعلى فظهرت شعلة تحولت لقطعة ورقية كُتب في رأسها بخط مزخرف (اتفاقية عدل)، تقدم سبارك أكثر ووضع يده على صدر أليكس قبل أن يسأله: «سأسألك لآخر مرة..... هل أنت واثق مما تطلبه؟» أومأ أليكس فبدأت حروف مضيئة بالتشكل أسفل الورقة حتى أنزل سبارك يده، فانطفأ ضوء الكلمات كاشفاً عن اسم أليكس الكامل (أليكساندر إدريك).

أمسك سبارك الورقة وبدأ بلفها قائلاً: «سأستخدم الباب للخروج».

ابتسم أليكس ممتناً: «رؤية الاتفاقية ستطمئنهم بعد مرورهم بالكثير مع تايرون... شكراً لك».

التفت سبارك وتوجه لباب القاعة ففُتح له، تقدم عدة خطوات ثم توقف فجأة وكأن شيئاً ما يحدث، نظر لأليكس لوهلة حملت بعض التردد بعينيه، رفع ورقة الاتفاقية التي في يده ونظر لها قائلاً: «يبدو أن الاتفاقية سببت بعض التغييرات».

عقد أليكس حاجبيه: « أي نوع من التغييرات؟»

تردد سبارك قليلاً لكنه قرر الإفصاح عما بداخله في النهاية: «هناك فتاة انتقلت لقائمتي للتو.. أنت تعلم أن الانتقال بين القوائم لا يحدث بدون سبب، لذا لا بد أن أمرها متصل بك».

شعر أليكس أن الأرض تهتز أسفله فلم يتوقع حدوث ذلك، فهم مقصد سبارك وكان يعلم بالفعل من هي الفتاة ولماذا انتقلت لقائمته الآن، لكنه أراد عدم التصديق بشدة، فشد على قبضتيه سائلاً:

«من هي الفتاة؟»

«كيارا جرانت» أجابه سبارك بعد برهة «انتقلت لقائمة محاكمتي للتو».

فشل وإحباط

«فهمت» قال أليكس من بين أسنانه بعد لحظة وقد غطى البرود تعابير وجهه فلم يظن أن الاتفاقية ستعقد الأمور بهذه الطريقة.

لاحظ سبارك اضطراب أليكس فطمأنه قائلاً: «ما زالت في أسفلها.. لديها بضع سنوات حتى تصحح ما فعلته».

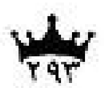
زفر أليكس تنهيدة عميقة متذكراً ما فعلته كيارا ومفكراً في رد فعل سبارك حين يعلم حقيقة الأمر، أومأ بصمت تحت أنظار آيريس وزي الحائرة فتابع سبارك طريقه للخارج.

ثم بعد لحظات قليلة من خروج سبارك صدحت الأصوات المهللة في جميع أنحاء المملكة لسعادة الشعب بالملك الجديد، كان سبارك حريصاً على المرور بجميع المنازل حتى يتسنى للجميع رؤية ما في يده.

خرج رجل من منزله مهرولاً ثم توقف ونقل نظراته بين سبارك والورقة التي حملها بيده ثم قال مدهوشاً: «هل ما أراه حقيقة؟»

خرجت زوجته خلفه باستغراب وقالت متسائلة: «ما الذي تراه؟» ونظرت للبيوت المجاورة وأصحابها السعداء قبل أن تكمل: «ما بال الجميع؟»

التفت إليها زوجها وأمسكها من كتفيها ثم قال بحماسة شديدة: «وقع الملك اتفاقية عدل مع عنقي!! ألا تدركين ما يعني ذلك؟»



قالت زوجته بعدم فهم: «اتفاقية عدل؟ لم أسمع بها من قبل» لكن زوجها لم يخفف من حماسه عندما أجابها:

«اتفاقية العدل تعني أن الملك يُحرم على نفسه الحكم الظالم.. وأنه عيّن هذا العنقي لمحاكمته فور وقوع الظلم على شعبه».

التفتت حينها الزوجة لسبارك بأعين متسعة فوجدته واقفاً في مكانه يبادلها النظرات، ابتسم لها بلطف ثم أكمل طريقه بينما أكمل زوجها وهو يهز كتفيها من فرط السعادة:

«لن يسرق تجارتنا أحد.. لن تضطهد جهودنا بعد اليوم..» ثم التفت لجيرانه وهتف: «انتهى طغيان زامبا!!» فردد البقية معه حتى وصلت كلماتهم للقصر لمسامع رو المنهك من يومه الطويل فقال بصوت متعب:

«ما الذي يحدث في الخارج؟»

التفت له أليكس متذكراً وجوده ثم قال موجهاً كلماته لآيريس: «أخبري جميع المستشارين بالتجهز لحضور الاجتماع غداً وإحضار جميع المستندات اللازمة لإعادة الأمور لنصابها» ثم التفت ناظراً لها بنظرة متسائلة: «هل ما زال جناحي على حاله؟»

أومأت له آيريس: «استأثر زامبا بجناح الملك الراحل لكنه لم يقترب من جناحك أو جناح وارويك».

«إذاً قوموا بتجهيز كليهما فوارويك قادم قريباً» التفت مشيراً برأسه



لرو: «جهزوا له واحداً ليرتاح، أما جناح الملك الراحل...» تردد قليلاً لكنه أكمل بنبرة حاول إخفاء قلقه خلفها: «فنظفوا أي أثر فيه لزامبا ثم جهزوه من أجل كيارا».

«ومن هي كيارا؟» قالت آيريس باستصغار لكن التفاتة أليكس السريعة ونظرته الحادة لها جعلتاها تخفض رأسها بتحفظ وتكمل بسرعة: «أعتذر... ما قصدته هو أي نوع من التجهيزات؟ فنحن نتحدث عن جناح الملك الراحل».

اقترب منها أليكس ببطء ووقف أمامها فرفعت عينيها باتجاهه، رفع أحد حاجبيه وقال بصوت غليظ:

«النوع الذي يليق بملكة هذه المملكة».

استقام كل من زي وآيريس وقالا في الوقت نفسه: «أمرك!»

ثم توجها لخارج القاعة لتنفيذ أوامره، حينها توجه لرو وجلس بجانبه على الأرض، أسند رأسه على الجدار بصمت دام للحظات.

«هل انتهى الأمر؟» قال رو لكن نبرة صوته كانت تحمل التأمل لا التساؤل.

أطلق أليكس ضحكة مكتومة ثم قال: «بقي شيء واحد» ثم وجه نظره لرو مكملاً: «أرسل لواورويك أن المملكة آمنة، وأن يأتي فور أن يجد كيارا، وأخبره أنني سأقوم بتنصيبها ملكة حتى لا يفكر أحد بإيذائها».

ابتسم رو مبتهجاً وقال: «سأفعل» ثم تذكر أن كيارا تحجبه عنها فتبدلت البهجة إلى حزن، خفض رأسه وقال بنبرة متألمة: «لا أفهم لم تحجبني؟ ما الخطأ الذي ارتكبته؟»

«ربما تريد حمايتك» قال أليكس مبرراً لكن رو هز رأسه قائلاً:

«لا... أنا أشعر بالنبذ من الطيور... إنها بالتأكيد غاضبة لسبب ما».

عقد أليكس حاجبيه مفكراً فهو يعلم لم كيارا غاضبة منه، لكنه لم يجد سبباً يغضبها من رو، قال بعد لحظات: «هذه معضلة ليوم آخر.. اذهب لترتاح الآن».

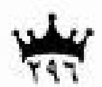
أومأ رو له في الوقت الذي دخلت فيه آيريس، وقفت أمامهما وقالت: «الجناحان جاهزان».



بعد أربعة أشهر

في غابة ريفر ريتش، اتكأ وارويك بظهره على شجرة وقد بدأ الإحباط يتسلل إليه.

«أي قوة تخفيكِ يا كيارا؟» قال محدثاً نفسه بعد أن نفدت منه الطرق لإيجادها، فكل خيط يجده ويذهب خلفه إما أن ينقطع فجأة أو يؤدي به لنهاية مسدودة.



أربعة أشهر قضاها وارويك في غابة ريفر ريتش باحثاً عن كيارا دون أي جدوى، ولم يستفد من بقائه خلف أليكس ورو في هذا المكان عدا أنه يتخلص من أي ساحر يأتي بحثاً عنها ويشتت طرقهم وأدلتهم دون أن يشعروا بذلك.

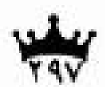
لم يظن وارويك أو أليكس أن إيجادها سيأخذ كل هذا الوقت، ومع توتر أليكس المتزايد؛ لم يعد وارويك يستطيع التحدث معه فكل الأخبار باتت تصله عن طريق رو باستخدام تعويذة الزاجل الأزرق وهي التعويذة التي يستخدمها السحرة لإرسال رسائلهم بأمان.

تضمنت رسائل رو جميع الأخبار المهمة عن المملكة كالتخلص من زامبا وتصفية مجلس الشورى من جميع الموالين له مستعينين بسبارك، كما أخبره عن اتفاقية العدل التي وقعها أليكس ولم يستغرب وارويك من قراره.

وبين كل تلك الرسائل كانت هناك رسالة خاصة طلب منه رو عدم قراءتها وإعطاءها لآمبر.

فجأة.. ظهرت شعلة زرقاء بجانبه فمد يده وفتح كفه أسفلها، سقطت من داخل الشعلة ورقة أمسك بها وارويك وانطفأت الشعلة بعدها، فتح الورقة وبدأ بقراءة رسالة رو الجديدة:

«خطاب الأمس كان ناجحاً، توج أليكس كيارا ملكة إيماتيروس وأمر بحمايتها وطاعتها أينما وجدت، تقبل شعبه الأمر برحابة صدر



وسعادة، ومما يبدو لي أنهم لا يطيقون صبراً لمقابلتها، لكن أليكس ما زال منزعجاً بسبب فشلك في إيجادها، أصبح من الصعب التعامل معه أو حتى التحدث إليه، أظنه يخطط لإرسال بعض الفرق للبحث عنها لكنه ما زال يدرس الأمر».

تنهد وارويك لما آلت إليه الأمور وأحرق الرسالة بتعويذة سريعة قبل أن ينتقل لمنزل أليكس حيث اعتاد العودة إليه واستخدامه للراحة قبل أن يكمل بحثه اليومي، توجه للطاولة حيث يترك قلمه وأوراقه التي يستخدمها للرد على رسائل رو، جلس على الكرسي وأمسك القلم ثم كتب:

«سعيد بالأخبار المبشرة وآمل أن يقابل شعب إيماتيروس ملكتهم قريباً، بالنسبة لأليكس المنزعج والصعب المراس فأنا أنصحك بتجنبه قدر المستطاع، أما عن الموضوع الأهم وهو إرسال فرق للبحث عن كيارا فقل له أن لا فائدة من ذلك، فإن لم أستطع إيجادها أنا؛ فكيف سيجدها مصاصو دماء! ولكن إن حالفهم الحظ فلا أظن أن كيارا قد تعطيهم الفرصة لتفسير مجيئهم قبل أن تقتلهم، وإن حدث ذلك بالفعل لا أظن أن شعبه سيتقبلها بعد ذلك».

فرقع وارويك أصابعه فظهرت الشعلة الزرقاء نفسها، وضع الورقة بداخلها وبدأت بالاحتراق حتى اختفت الورقة والشعلة معاً.





في مملكة إيماتيروس كان رو يقف أمام أليكس في قاعة الاجتماعات وكان يصب كل تركيزه حول كيفية التهدئة من روعه، فلم يعد أليكس هو أليكس نفسه الذي يعرفه، فلم يعد هادئاً أو بارداً إلا عندما يقابل شعبه، أما الحرس والخدم بالقصر فكانوا يمشون على أطراف أصابعهم طوال الوقت خوفاً منه.

قال رو بنبرة هادئة: «لقد قطعنا شوطاً كبيراً، وفعلنا كل ما يلزم... فالجميع يعرفون الآن أن دمها محرم».

لكن أليكس لم يبد عليه الارتياح أبداً ولم يبد أنه سيشعر به حتى يجدها، تنهد رو للطريقة التي انقلبت بها الأدوار، فقد كان هو المرتاع طوال الوقت بينما أليكس كان هادئاً ومطمئناً، أما الآن فأصبح من الصعب توقع تحركات أليكس ومدى عقلانية قراراته.

حينها ظهرت الشعلة الزرقاء بجانب رو حاملة رسالة وارويك، مد رو يده أمام نظرات أليكس المترقبة وقام بفتحها وقراءتها، وبعد أن انتهى كان أليكس ينتظر منه أن يخبره بفحواها لكن التوتر كان واضحاً على تعابير وجهه مما جعل أليكس يقول بنبرة مشحونة:

«ما الذي أرسله سوى الفشل؟»

بدأ رو بالتراجع نحو الباب بتوتر مجيباً بتلعثم: «يقول إن.. إرسال الفرق للبحث عنها.... فكرة خاطئة لعدة أسباب».

اضطربت أنفاس أليكس لغضبه المتصاعد الذي سينفجر في أي

لحظة، فأسرع رو بالخروج، وما أن أغلق الباب حتى صدحت زمجرة أليكس مترددةً في جميع أنحاء القصر، لم يدرك رو أنه كان يكتم أنفاسه إلا بعد ما توقف صوت أليكس، فبدأ حينها بالتقاط أنفاسه لاهثاً.

«أنت من أغضبه؟» قالت آيريس من خلفه.

قفز ملتفتاً لها بفزع لعدم ملاحظته حضورها، ووضع يده على صدره في محاولة بائسة لتهدئة ضربات قلبه أثناء قوله: «يا إلهي، ستقومون بقتلي يوماً ما» وقف معتدلاً ليستجمع نفسه وأكمل: «لم لا تحدثون أي صوت عند حضوركم؟»

أجابته بلا مبالاة: «تعلم أننا لا نتعمد ذلك».

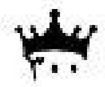
تنهد والتفت متوجهاً لغرفته فلحقته آيريس، التفت لها باستغراب وقال: «ألم تأتي من أجل أليكس؟»

«بلى...» أجابته ثم زفرت مكملة: «سأنتظر جلالته حتى يهدأ».

رسم ابتسامة مشفقة على وجهه قائلاً: «لديك حق في ذلك».

واصلا سيرهما ببطء، وكانت آيريس تنزعج من استخدام السرعة الإنسانية إلا أنها لم تكره الأمر مع رو، وفي الوقت نفسه كان رو يستطيع الانتقال لغرفته لكن المشي كان يساعده على الاسترخاء وسط الأجواء المتوترة التي يسببها أليكس.

بعد برهة تيقنت آيريس من عدم وجود متنصتين فقالت بتردد: «ما الذي فعلته؟... الملكة».



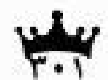
تجمد رو في مكانه للحظات ثم شد على قبضتيه والتفت لها بكامل جسده محاولاً إبقاء مشاعره تحت السيطرة، قبل أن يقول: «لا أفهم ما ترمين إليه».

«فعلت الملكة أمراً ما...» قالت بإصرار، بينما انزعج هو لملاحظته أن نبرتها حملت حكماً مسبقاً تجاه كيارا لكنه تمالك نفسه وتركها لتكمل: «لهذا السبب دخلت قائمة محاكمات العنق قبل أن تنتقل لقائمة سبارك».

جحظت عيناه ففتح إحدى قبضتيه ووجه كفه باتجاهها مطلقاً تعويذة ألصقتها بالحائط، تقدم لها ببطء بينما كانت التعويذة ممتدة من يده حتى جسدها على هيئة دخانية قرمزية أحاطت بجسدها.

قال بصوت منخفض أقرب للهمس: «ما الذي تتفوهين به؟» لكن آيريس كانت تطبق على أسنانها بقوة دون قول شيء.

حرك يده فابتعد جسدها عن الحائط وتقلصت المسافة بينهما حتى أصبحت أمامه تماماً، وقبل أن يكرر سؤاله لاحظ عروق عنقها البارزة فعلم أن التعويذة تعذبها وتمنعها عن الكلام، أنزل يده لتقطع التعويذة فوراً، هبطت آيريس على قدميها وكادت أن تقع لولا أنها تمالكت نفسها سريعاً، رفعت عينيها باتجاه رو مثيرة تعجبه حيث إنها لم تحمل سوى اللا مبالاة وقد توقع أن تكون غاضبة أو منزعجة، لانت تعابيره حينها تذكر كبرياء آمبر المشابه لآيريس لكن آيريس قاطعت ذكرياته سريعاً:



«اليوم الذي عاد فيه جلالته إلى المملكة ووقع فيه اتفاقية العدل؛ هو نفسه اليوم الذي انتقلت فيه كيارا جرانت لقائمة محاكمة سبارك» قالت آيريس بنبرة مسطحة لم تحمل أية مشاعر ثم أكملت: «هذا ما قاله سبارك لجلالته».

ثم التفتت مبتعدةً عنه بينما وقف رو في مكانه مصعوقاً لوهلة قبل أن ينتقل لغرفته، وبخطوات متسارعة وقف أمام مكتبه وأمسك بالقلم ليكتب الأمر لوارويك.

في غابات النور حيث استوطنت العشائر النقية بعد سقوط المملكة، داخل مقر عشيرة أفيتاز بالتحديد -عشيرة وارويك السابقة- جلست إستل أمام إلوديوس إيدور والد وارويك الذي يحكم العشيرة.

قال إلوديوس بازدراء واضح: «ما الذي ترمين إليه يا إستل؟»

لكن هدف إستل لقتل كيارا أكبر من أن تهتم لتعالي إلوديوس عليها، فقالت محاولةً إقناعه بالوقوف في صفها وضم جيشه لها:

«تلك الفتاة ستكون دماراً للعالم!»

قال إلوديوس بتهكم: «لكنها مجرد طفلة!»

كشرت إستل عن أنيابها ثم تمالكت نفسها سريعاً وأكملت دجلها: «يجب ألّا تضللنا هيئتها، لقد نجحت في الاختباء لثمانية عشر عاماً، كيف يمكن لطفلة أن تحمل هذا الكم من القوة! فكر في الأمر» أكملت بمكر اختبأ خلف قناعها المثالي: «إن كانت هجينة فهي مسخ يجب



إبادته، أنت من بين الجميع تعرف مدى خطر هؤلاء فقد فقدت ابنك الغالي بسبب واحدة مثلها».

هدر إدريفيار من خلف والده غاضباً: «أتلمحين لضعفنا أمام تلك الطفلة؟»

رفع إلوديوس يده أمام ابنه لإيقافه ثم أشار لإستل أن تكمل.

«ما يخيفني أن تكون هذه الفتاة أخطر من ذلك..» صمتت إستل قليلاً حتى تعطي كلماتها التالية وقعاً قويّاً: «قد تكون المختارة» تجهمت وجوههم فابتسمت بخفة لنصرها ثم قاومت الابتسامة لتتابع ببطء: «هذه التي تقولون إنها مجرد طفلة... أبادت عدداً كبيراً من عشيرتي في ومضة سريعة، وتمكنت من الوصول إلى البلاط الملكي في إيماتيروس؛ المملكة التي أسقطت مملكتنا وألحقت بها العار، هل تظن أن لجوءها للمملكة الدموية مجرد مصادفة؟ إن تركناها لتزداد قوة فسوف تقوم بإبادتنا جميعاً يوماً ما، ولن نجد الفرصة لإعادة المجد للسحرة بعد ذلك».

صمت إلوديوس لعدة لحظات متفكراً، ووجد أن النقاط التي عددتها إستل صحيحة ومقنعة، لم يكن ساذجاً ليصدق أن التي أمامه تريد إعادة المجد لمملكتهم، لكنه لم يمانع الاستعانة بها للوصول لهدفه طالما أن مصالحهم مشتركة، وقف منتصباً بعد لحظات من التفكير وقال لابنه:

«ابدأ بتجهيز الجيش!»



خرج وارويك من دورة المياه بعد أن أخذ حماماً ساخناً ليفاجئه الزاجل الأزرق الذي ظهر أمام وجهه، قطب حاجبيه لإحساس بداخله يخبره أن الرسالة لا تحمل التباشير بها، تسلم الرسالة وبدأ بالقراءة:

«كيارا انتقلت لقائمة محاكمة سبارك، لهذا يفقد أليكس عقله... لا أظن أنه سيصمد طويلاً، إما أن تجدها أو تأتي من دونها في الوقت الحالي».

صدم وارويك من الأمر فقد أخبره رو بشأن الاتفاقية، وانتقال كيارا للقائمة سيعقد الأمور بالتأكيد، حك رأسه بانزعاج ثم أغلق الورقة وتنهد لعدم قدرته على التوجه للمملكة وترك كيارا خلفه مع تزايد عدد السحرة الباحثين عنها، انتقل للطاولة وكتب رده، أخبره بعدم مقدرته على الذهاب للمملكة وأنه سيكثف البحث عنها أكثر ثم عاد لغرفته التي كان يستخدمها رو سابقاً وارتدى ثيابه.

وأثناء خروجه من الغرفة ظهر الزاجل الأزرق مرة أخرى، هز رأسه للتوتر الذي أصاب رو، تنهد بضيق وفتح يده ليستلم الورقة التي ما أن فتحها حتى انتبه أنها لم تكن من رو، بل من أخيه إدريفيار يقول له:

«ظهرت عنقية هجينة، الأولى من نوعها، وسببت العديد من المشكلات وقد تكون المختارة، بدأنا بتجهيز الجيش وانضمت لنا العشائر المتحالفة، أعلم أنك ما زلت غاضباً بشأن كالونيس لكن لا



أظن أنك ستترك عائلتك تتجه للحرب دون الانضمام للمساعدة، ستنطلق صفوفنا بعد عشرة أيام باتجاه مملكة ستونهنج وستتجمع جميع العشائر المتضامنة هناك قبل أن نشن هجومنا باتجاه إيماتيروس -حيث تختبئ الهجينة- آمل أن أراك هناك».

قبض وارويك على الورقة بين يديه بسخط وقال مزمجراً: «آمل ألا تتفاجأ يا أخي عندما تراني في الجهة الأخرى من المعركة» ثم كشر عن أسنانه وتوهجت عيناه بينما ظهرت العروق الفضية التي أرعدت مسببةً زلزلة بسيطة للمنزل قبل أن تضرب في كل مكان حوله، ارتعش جسد وارويك لشدة غضبه وقال من بين أسنانه:

«لن أدعكم تقتلون هجينة أخرى!»

لقاء مفاجئ

كانت ومضات من ذكرياته مع كالونيس تتردد داخل رأسه حين كتب رسالته لرو محذراً من القادم، قبل أن ينتقل إلى الغابة فوراً مصمماً على العثور على كيارا في لحظتها.

تسلم رو الرسالة ثم انتقل بذعر لغرفة الاجتماعات حيث ترك أليكس قبلها بلحظات، كان أليكس يتحدث مع آيريس لكنه توقف بسبب دخول رو المضطرب.

«ما الأمر؟» قال أليكس متجهماً لكن ما لبث أن تغيرت ملامحه للبرود حين أجابه رو بكلمات متسارعة:

«أقنعت إستل عشيرة أفيتاز بالانضمام للحرب وهم الآن يجهزون جيوشهم للقدوم إلينا، ماذا سنفعل؟» صمت أليكس متجمداً في مكانه بلا تعابير على وجهه، فأكمل رو بإلحاح: «ماذا سنفعل؟»

أجابته آيريس باستنكار وكبرياء: «لقد تخلصنا من السحرة سابقاً حين كانوا يحكمون مملكة، ألن نستطيع التخلص من عشيرة واحدة الآن؟ كلامك مهين أيها الغراب».

«الأمر مختلف» قال أليكس بهدوء فالتفتا إليه قبل أن يكمل: «المملكة كانت على وشك السقوط لذا إن تكلمنا بصدق فنحن لم نسقطها كما تحمل الكلمة من معنىً» تنهد وكأن حمل جبال وُضع فوق كتفيه ثم تابع: «عشيرة أفيتاز عشيرة قوية للغاية، وتتبعها الكثير من



العشائر القوية مثلها، يمكنكما القول إنها كالعائلة الحاكمة للسحرة»
ثم نظر لعيني آيريس حين أضاف: «لذا لا تستهيني بالأمر، نحن بصدد حرب مع مملكة السحر الجديدة... مملكة أكثر قوة... أكثر ثباتاً من سابقتها».

كان رو ينصت لأليكس بإمعان وقلق متزايد ثم سأل: «كيف نتجنب الأمر؟»

أجابه أليكس بصرامة: «لن نتجنبه! هذه أول مواجهة حقيقية تتعرض لها المملكة، وهي التي ستحدد مكانتها أمام الجميع».

قالت آيريس بعد برهة: «ما الحل إذاً؟»

أخذ أليكس نفساً عميقاً ثم أجاب: «سنجعلهم عبرة لغيرهم».

ثم بدأ بالتخطيط فوراً، أرسل آيريس لإعلام زي بتجهيز الجنود، ثم أمر باجتماع مع المستشارين وجميع القادة الحربيين، وعندما انفرد أخيراً مع رو قال له:

«ما شعورك حيال مقابلة عائلتك؟»

قطب رو حاجبيه متذكراً كيف قتلت عشيرته كلا والديه ووالدي كيارا فقال باستغراب: «لم يتبق من عائلتي سوى كيارا!»

قال أليكس موضحاً: «قصدت أبناء الغراب».

«أوه» قال رو بينما رمش بعينيه بتردد.

لاحظ أليكس تردده فقال بنبرة محايدة حتى لا يشعره بالضغط:

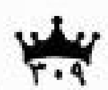


«أبناء الغراب تضرروا كثيراً من مملكة السحر السابقة، قد يوافقون على الانضمام إلى صفوفنا إن طلبت منهم المساعدة... قوة الزيروسكو -بث شعور الموت- لا يستهان بها في الحروب، لكنها خاصة بأبناء الغراب، لذا إن انضمت إلينا سلالتك فقد تصبح لنا اليد العليا».

تنهد رو بعد أن انتهى أليكس من الكلام ثم قال: «سأفكر في الأمر، لكن لا أظن أنني سأفعل ذلك» زم أليكس عينيه محاولاً إخفاء استعجابه من رفض رو المساعدة لكن رو أكمل: «إن كانت لدي عائلة أخرى فأنا لا أريد التضحية بها من أجل كيارا».

ارتفع حاجبا أليكس وقد فشل في إخفاء تعجبه فردد كلمات رو بعدم فهم: «من أجل كيارا!!» خفض رو رأسه بينما تصارع عقله مع قلبه، وكان أليكس بالكاد متمسكاً بهدوئه حين أكمل بنبرة باردة حاول إخفاء غضبه العارم خلفها: «أنا لا أفهم!! أنت مستعد للتضحية بكيارا مقابل حماية عائلة لم ترها من قبل!! ظننت أنك غير قادر على التخلي عنها!»

قال رو بانفعال: «هي من تخلت عني!» وتجمعت الدموع داخل عينيه على الفور فأكمل بصوت متحشرج من الحزن: «رحلت دون أن تقول شيئاً وتركتني خلفها دون أدنى اهتمام» اقترب من أليكس وهو يشير لصدره مكملاً: «أتعلم كم هو مؤلم أن تكون منبوذاً؟ لقد شعرت بذلك طوال حياتي وها هي الآن تكمل الدائرة... لم يكن ولائي لكيارا طوال الشهور السابقة نابعاً من الغراب داخلي، بل مني أنا... كيارا



تخلت عن ذلك الغراب عندما نبذته بلا سبب واضح» تراجع متمالكاً نفسه ثم مسح دموعه بظهر يده قبل أن يقول: «أعتذر إن كان تعلقي بعائلة لم أقابلها بعد يثير استغرابك، لكنني لا أريد البقاء وحيداً للأبد» ثم اختفى من أمام أليكس الذي أنب نفسه لعدم معرفته أن رو كان يعاني طوال الشهور الماضية.

في الغابة كان وارويك يجول متخفياً بين الأشجار ويلحق بالطيور أينما ذهبت علها تقوده إلى كيارا، أوقف تخفيه ظاهراً أمام عش طائر كان يلحق به لفترة ليجد في النهاية أنه كان يجمع الطعام لصغاره فقط، تنهد وأغمض عينيه بخيبة قبل أن يسمع صوتاً ظهر فجأة من إحدى الأشجار المحيطة به.

التفت برأسه فوراً ووجد فتاة ذات شعر أحمر طويل تركض للاتجاه المعاكس له وكأنها تهرب منه بعد أن لاحظت وجوده، استغرب عدم ملاحظته لوجودها سابقاً ثم رفع يده بهدوء وحرك أصابعه بلا مبالاة فتقيدت أقدام الفتاة ووقعت على الأرض.

التفت بجسده ناظراً لها وهي تسحب نفسها لإحدى الأشجار وتردد في ذهابه لها أو تركها لتذهب لكنه في النهاية قرر الذهاب لينصحها بعدم التجول في الغابة مرة أخرى، اقترب منها ببطء ومع كل خطوة كانت تظهر حول الفتاة فراشات حمراء اللون.

توقف بجانبها فتوقفت الفتاة عن محاولاتها للهرب وأبقت رأسها منخفضاً، جلس بوضعية القرفصاء ونظر للفراشات التي حطت على كتفها باستغراب، رفعت الفتاة رأسها ببطء وحذر حتى ظهرت ملامحها له.

قال وارويك بدهشة: «جنية!» ثم ابتسم وأمال رأسه بإعجاب: «بل جنية جميلة» شعر بنفسه وهو يقع تحت تأثير جمالها عالماً تماماً ما الحيلة التي تحاول فعلها، فقال بصوت مسحور: «ما الذي تفعله جنية جميلة مثلك في الغابة؟»

رفرفت إحدى الفراشات من كتفها وحطت على شفتيها وكأنها تمنعها من التحدث فتيقن وارويك من شكوكه في أن وجودها في الغابة مثير للريبة، فقد كان على علم بأن هذه الفراشات هي فراشات الميستِكو، وهي فراشات يستخدمها الجن لإخفاء الأسرار كونهم لا يستطيعون الكذب، فتساعدهم على إخفاء أي شيء وإن كان صغيراً ككلمة لا يريدون البوح بها، أو شخص يريدون حمايته، وقد يصل الأمر بإخفائهم لمعالم طبيعية كالبحيرات المؤدية لعالمهم، وكل ذلك بمساعدة هذه الفراشات القادمة من غاباتهم الساحرة.

ظن أنها استخدمت الفراشات لإخفاء هالتها فقط كونه لم يلاحظ أنها جنية إلا عند رؤية وجهها، لكن هبوط الفراشة على فمها يدل على أمر آخر، فرفع يده أمامه بهدوء وما أن حطت فراشة في باطن كفه حتى أغلق عليها، انتفض جسد الجنية بخوف على الفراشة ومع اضطرابها

المفاجئ سقط أثر سحرها عنه بعد أن تركها لتظن أنها على وشك أن توقع به.

«إذاً...» أكمل بنبرة مرحة: «إما أن تشاركيني الحقيقة.. أو آخذها بالقوة» نقلت الجنية نظراتها برعب بين وجهه وقبضته حيث حاصر إحدى فراشاتها دون قول شيء، نظر ليده بينما كانت الفراشة ترفرف بجناحيها محاولة الخروج، التفت إليها وكاد صبره ينفد من الإحباط المتواصل فقال بهدوء وكأنه يكلم نفسه: «أكره أن أعذب فتاة، لكن لا أظن أنني سأنتظر أكثر».

شد قبضته حول الفراشة فتوقفت رفرفتها وظهر صوت كسر خفيف ينبئ بانتهاء حياتها القصيرة، حينها ظهرت هالة كيارا حول الجنية بعد أن كانت الفراشات تخفيها، لحظة خاطفة ظهرت بها الهالة بسبب الاضطراب الذي سببه موت إحدى الفراشات.

كان يعلم أنها تخفي شيئاً لكنه لم يتوقع أن تكون حبل الوصل لكيارا، وبينما كان يتفحصها بذهول اقتربت هي من يده وفتحتها ناظرةً للفراشة بحزن، وقبل أن تستطيع فعل أي شيء شعرت بيده الأخرى تشد على عنقها وترفعها عن الأرض، أمسكت يده بيديها الاثنتين وحاولت دفعه لكنه كان يقيدها بقوته.

هدر بصوته: «أين هي؟» ثم دفعها لشجرة خلفها وشدد القبض حول عنقها بيده الأخرى آمراً: «تكلمي!»



لكنها بعد أن لامست الشجرة غارت بداخلها ساحبةً واورويك معها، سقط كلاهما على أرض خشبية في مكان مختلف فتوارى واورويك عن الأنظار فوراً بينما تلفتت الجنية حولها بخوف باحثة عنه، بينما جال هو بعينيه حول الغرفة التي انتقل إليها حتى انتبه إلى الرجل العجوز الجالس على الأرض، رفع العجوز رأسه ونظر لعيني واورويك فانقشع تخفيه دون إرادته.

قال العجوز للجنية بابتسامة أعطت واورويك بعض الراحة غير المبررة: «لماذا أحضرته يا تريشا؟»

تريشا بانزعاج وهي تفرك عنقها: «أعتذر يا فانكا، لكنه كان يحاول قتلي».

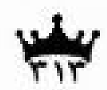
عاد واورويك لوعيه فالتفت لتريشا لإكمال تحقيقه لكن فانكا أظهر أذياله وحرك أحدها ليتوقف الآخر عن الحركة شاعراً بالاسترخاء، التفت لفانكا متفرساً في هيئته التي ظهرت فجأة قبل أن يقول:

«أين أنا؟»

اتسعت ابتسامة فانكا مجيباً: «ما زلت في ريفر ريتش، لا تقلق».

زم واورويك عينيه باستغراب سائلاً: «وما الذي يفعله رسول السلام في ريفر ريتش؟»

«أعتقد أننا نتشارك السبب في وجودنا في هذه المدينة» أجابه فانكا ثم وقف ونظر لتريشا نظرة فهمت مغزاها قبل أن يقترب من واورويك مكملاً: «فشلت تريشا في إقناعها بالذهاب إليه، أقنعها أنت».



وقبل أن يستطيع وارويك فهم أي شيء شعر بيدي تريشا على كتفيه تدفعانه للأسفل حتى اختفى في عمق الأرض، أغمض عينيه لارتباكه وعندما فتحهما كان يقف أمام جبل تغطيه الأغصان، نظر حوله بتوجس بعد أن اختفى تأثير فانكا عنه ثم سمع صوتها....

كيارا...

التفت لمصدر الصوت وبعد أن تمعن بالأغصان انتبه أنها تخفي وراءها كهفاً، وبدلاً من إزاحتها انتقل لداخل الكهف المظلم ثم تخفى قبل أن يبدأ بالتقدم لمصدر الضوء الخافت باستعجال حتى رآها، كان أول ما لاحظه هو هالتها المختلفة التي أخبرته فوراً أنها لم تكن عنقية فحسب، بل ساحرة، فهم حينها كيف استطاعت الاختباء طوال تلك الفترة فلم يبحث أحد عن ساحرة، بل كانوا يبحثون عن أثر لعنقية.

آلم وارويك تشابه كيارا بكالونيس كثيراً، نبذُها لكونها هجينة، اقترافها لخطأ واختباؤها بكهف، أغمض عينيه عندما تذكر جثة كالونيس ثم فتحهما ونظر لكيارا متمنياً ألا يكون هذا الكهف قبرها كحبيبته، حينها أزال تخفيه مصمماً أنه لن يكرر الخطأ نفسه، وأنه لن يرحل من دونها.

كانت كيارا تنظر إلى النار أمامها منغمسة في أفكارها ولم تنتبه إليه حتى غقغق سنقر الذي لم ينتبه وارويك لوجوده في البداية، التفتت كيارا بسرعة ووقفت على استعداد للهجوم في الوقت نفسه الذي

تفاقم فيه حجم الشعلة بجانبها مضيئةً به كل ركن في الكهف، مما أتاح لوارويك رؤية ما لم يلاحظه من قبل.

بعض الحيوانات العشبية معلقة على حيطان الكهف حولها، البعض مسلوخ والبعض الآخر ما زال دمه طازجاً، بينما كان بعضها مجرد عظام تعلق بها القليل من اللحم، وفي أحد الأركان كانت هناك كومة من الفاكهة التي فسد بعضها، بينما في الركن المقابل لها كانت بقايا جلود الحيوانات وعظامها.

«وارويك!» قالت كيارا في صدمة حين أدركت من أمامها بينما امتلأت نظرات الآخر بالشفقة حين رآها، فقد كان منظرها مزرياً، وجهها شاحب... ثيابها رثة ومتسخة.. وشعرها أشعث، غقغق سنقر مرة أخرى فتداركت صدمتها وقالت بجدية: «كيف وجدتني؟»

أجابها بهدوء: «الجنية ذات الشعر الأحمر».

«تريشا!» قالت بعدم تصديق قبل أن يكمل:

«والثعلب رسول السلام».

نظرت له بارتياب لوهلة ثم رقت نظراتها لتعابير وجهه القلقة عليها، فعادت لتجلس أمام النار التي تقلصت لحجمها الطبيعي.

قالت بنبرة غير مرحبة دون أن تنظر له: «اذهب من هنا يا وارويك».

لكنه تقدم إليها وجلس أمامها على الجهة الأخرى من النار، أرادت طرده مرة أخرى لكنه سبقها بالتحدث:

«كيف حالك؟» سألها بعطف خالطه القلق لكنها لم تجبه فتنهد وقال: «لم هربتِ؟»

رفعت عينيها إليه بغضب قائلة: «لأنني لا أثق بك أو برو أو بأليكس» شعرت بانقباض قلبها عند آخر اسم بعد أن ابتعدت عنه لوقت طويل، ظنت أن السبب هو غضبها منه، لكنها شعرت بأمر آخر عندما ومضت صورته في رأسها، وبينما كانت تحاول دفع تلك المشاعر جانباً أخذ وارويك نفساً عميقاً في استعداد للنقاش ثم قال:

«لنترك أمري وأليكس جانباً لدقيقة، ما الذي فعله رو؟ لم قمتِ بنبذه؟»

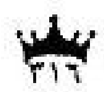
أجابته بضيق: «لأنه السبب في كل شيء» ثم أكملت مشيرةً حولها: «هو من كسر التعويذة التي كانت تحول بيني وبين كل هذا».

صُدم وارويك وفكر لبرهة قبل أن يضحك ضحكة مكتومة ساخرة، ثم قال: «ألا تظنين أن إستل هي المسؤولة عن ذلك؟»

ضربت كيارا قبضة يدها بكف يدها الأخرى وهي تجيبه بغضب تحاول كتمه بشدة: «بلى».

وارويك بعدم فهم: «إذاً؟»

لانت ملامحها متذكرة رو ثم قالت: «أعماني الغضب في البداية، لكنني توصلت للحقيقة بعد التفكير في الأمر» ضحكت بحنين مكملة: «رو ساذج ويسهل خِداعه!»



ابتسم وارويك بلطف بعد أن فهم السبب فقال: «أردتِ حمايته؟»

أومأت بصمت فأكمل: «لكن يا كيارا ألا تظنين أن رو سيفضل الموت على الافتراق؟»

«لا يهم ما يفضله رو، المهم أنه على قيد الحياة» أجابته ثم أكملت بحزن حاولت إخفاءه: «يجب أن يبقى بعيداً عني».

«ماذا عن أليكس؟» داهمها وارويك بسؤاله فلم تستطع أن تخفي ارتباكها:

«أ... أليكس.. أخفى علي أموراً مهمة و..»

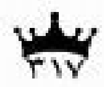
سألها مقاطعاً: «ماذا عني؟»

«أنت.... أنت» نظرت له بذعر محاولةً الإجابة ثم قالت متسرعة: «لا أثق بك».

عقد وارويك حاجبيه باستنكار ثم انفجر ضاحكاً فتجهمت كيارا مرتبكة، غقغق سنقر بشيء فالتفت له وارويك متذكراً وجوده، بينما عادت ملامح كيارا للجدية.

قال وارويك مهدداً بعد أن لاحظ تأثير الصقر عليها: «أخبري صديقك إن تكلم مرة أخرى فسأرسله لمكان لن يستطيع العيش فيه ليوم واحد».

أجابته بجدية: «يستطيع فهم كلامك، كما أن اسمه سنقر» ثم أكملت محذرة: «ولن ترسله لأي مكان!»



رفع واروبك حاجبه لنبرتها الواثقة فقال: «تعجبني كيارا الجديدة» ثم ابتسم وأكمل: «أود أن أجرب قتالها».

حينها غقغق سنقر بذعر فالتفت له واروبك بانزعاج لكن الصقر اختفى قبل أن يفعل له أي شيء، أعاد نظراته لكيارا باستغراب فوجد سنقر على كتفها، ارتفع حاجباه بإعجاب قبل أن يقول:

«أجل، تعجبني كيارا الجديدة بالتأكيد».

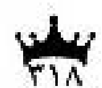
تنهدت بانزعاج وقالت بنفاد صبر: «ارحل فقط يا واروبك».

قال بشرود ونظراته ما زالت على سنقر: «لن أرحل بدونك» ثم هز رأسه ليعاود التركيز ويعود لما هو مهم: «أنتِ تعلمين أن كل ما فعله أليكس كان لحمايتك».

«لا يهم» أجابته بسرعة فنظر لها بحاجب مرفوع وابتسامة ملتوية، قلبت عينيها ثم تنهدت مكملةً باكتئاب: «أليكس تم التلاعب بمشاعره من قبل فانكا».

قال واروبك مفكراً: «دعيني أتحقق.. فانكا هو رسول السلام صحيح؟» أومأت فقال: «كيف انتهى بك الأمر معه؟»

بدأت كيارا بقص كل شيء عليه، بداية بما حدث لوالديها ووالدي رو والعشيرة وكيف وصلت لميتم هاربر وكيف أعلمها فانكا عن كل شيء عن طريق الكتب، كما أخبرته عن كون أليكس جزءاً من خطة فانكا لبيته المحمي وماضيه، ثم أخبرته عن الكوابيس التي كشف



فانكا عن حقيقته من خلالها وذهابها لمقابلته لتجد أنها في مملكة الجن مع تريشا قبل أن ترسلها إليه، انتهاءً بالإبادة التي حدثت.

أخذ وارويك نفساً عميقاً ثم قال: «لكنت سأقترف الخطأ نفسه إن اكتشفت كل ماضيَّ دفعة واحدة» نظر لعينيها بعمق وقال بعطف: «لا بد أن الأمر كان صعباً عليكِ».

نظرت لعينيه لبرهة ثم تجنبتها قائلة: «ارحل!»

«قلت لكِ إنني لن أرحل بدونك» أجابها فوراً ثم تنهد وفرك كفيه بعضهما ببعض وقال: «لم لا تعطينه فرصة للتبرير؟» صمتت كيارا وبدت وكأنها تدرس الموضوع فأكمل بسرعة: «ألا يستحق أليكس ذلك؟»

فكرت قليلاً ثم هزت رأسها فجأة ووقفت متجهمة، قالت بغضب بينما طار سنقر عائداً لمكانه: «قلت لك أن ترحل!»

وقف وارويك باستغراب: «ما الذي يغضبك لهذه الدرجة؟»

قالت مبتعدة عنه: «هو من اختار أن يكذب».

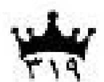
لكنه لحق بها قائلاً: «أليكس لم يكذب قط!»

«إخفاء الحقيقة لا يختلف عن الكذب».

«حسناً لنقل إنّه قام بالكذب، أليس لديه الحق لتبرير نفسه؟»

توقفت والتفتت إليه قائلةً بانفعال: «لا أريد سماع تبريراته!!!»

عقد وارويك حاجبيه ناظراً لها بعدم فهم لوهلة قبل أن يقول



بهدوء: «كيارا!... هل تحاولين حمايته بالابتعاد عنه كما تفعلين مع رو؟» شدت قبضتيها وبدأت الدموع ترقرق في عينيها بينما قال موضحاً: «أتفهم أمر رو لكن أليكس يستطيع حماية نفسه».

قالت بغصة وهي تحاول إمساك دموعها: «لم يكن قراره! كما هو الحال مع رو... لقد كانت خطة فانكا منذ البداية.. كان تحت تأثيره منذ البداية» ذرفت دموعها حين لم تعد تستطيع منعها أكثر، وسقطت على الأرض وبدأت بالبكاء، حاولت التكلم أثناء نشيجها: «أنـ... أنا... مر.. مرهقة» جثا وارويك على ركبته أمامها ونظر لها بشفقة ثم مسح على رأسها بينما أكملت: «لا أريد التفكير في هذا الأمر أكثر... لا أريد الشعور بأن الجميع يحاولون حمايتي دون إرادتهم، لقد مللت هذه المشاعر المؤلمة».

قال وارويك بهمس: «ماذا عني؟» نظرت له بين شهقاتها فأضاف: «لست تحت تأثير فانكا، ولا أظن أنني أحمل أي جينات أتت من الطيور» ضحكت بخفة فمسح وجهها بيديه وأكمل: «في الوقت الذي نبذتِ فيه رو سقط تأثيرك العنقي عنه، لكنه ما زال يحاول حمايتك، قد تظنين أن أليكس تحت تأثير فانكا لكن أيتها الصغيرة! رسول السلام لا يملك هذا الكم من القوة، بالإضافة إلى أن تأثيره أضعف من بيت العنكبوت وسيسقط بمجرد إخبار أليكس بشأنه».

توقفت حينها عن البكاء وتذكرت أن فانكا أيضاً أخبرها بأن كسر التأثير سهل، لكن الحزن ما زال يتملك ملامحها فتنهد وارويك قبل أن



يتابع: «لقد مضت أربعة أشهر... لم نتوقف خلالها عن البحث عنكِ أو حمايتك» ثم زم عينيه وقال ممازحاً: «لن تصدقي عدد السحرة الذين تخلصت منهم في الغابة بينما كنت أبحث عنك».

ابتسمت بامتنان وأومأت موافقتها بالذهاب معه، فأمسك بيدها ووقف ليسحبها معه، التفتت لسنقر وقالت:

«هل أنت قادم؟»

قال سنقر بكلمات فهمتها كيارا وحدها: «هل الذهاب قسري؟» ابتسمت بلطف وهزت رأسها نفياً فقال: «إذاً استدعيني إن كنتِ بحاجتي» ثم حلق لخارج الكهف بينما تتبعه كلاهما بنظراتهما.

قال وارويك بنظرة متسائلة ويده ما زالت تمسك بيد كيارا: «هل ننتظره؟»

أجابته بحزن طفيف: «أظن أن دوره انتهى».

ابتسم مواسياً ثم قال: «هيا لنذهب».

أومأت له فاختفيا من الكهف وانطفأت النار فور حدوث ذلك.

نكهة أليكس

ظهر كل من وارويك وكيارا في منزل أليكس، اصطدمت رائحة المنزل بأنفها فنظرت حول المكان بحنين مسترجعةً ذكرياتها السعيدة، ثم انتبهت للفوضى في بعض الأماكن مما أثار استعجابها فأليكس ليس من طبعه أن يترك المنزل بهذه الصورة، وأثناء تمعنها بالمنزل كان هناك صوت بداخلها يحاول قول شيء ما لها لكنها لم تستطع سماعه بوضوح، استغربت الأمر لكن استغرابها تغير مصدره حين لاحظت تفرّد هالة وارويك في المكان فقالت:

«أين هما؟»

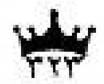
«أوه» قال وارويك متذكراً ما لم يخبرها به: «كلاهما رحل في اليوم الذي اختفيتِ فيه».

سألت باستغراب: «إلى أين؟»

حك مؤخرة رأسه قائلاً: «حسناً، هناك سر آخر على أليكس تبريره لك» زمّت عينيها بخفة بانتظاره أن يكمل ففعل على مضض: «ترك أليكس ريفر ريتش في اليوم الذي اختفيتِ فيه، وعاد للمملكة حتى يستطيع حمايتك».

قالت بجهل عما يتحدث: «أي مملكة؟»

«مملكة إيماتيروس» أجابها بعفوية لكن وجهها الدال على جهلها التام جعله يكمل مفسراً: «المملكة الدموية».



صمتت لبرهة ثم قالت: «حيث يعيش مصاصو الدماء؟»

أومأ لها فهمهمت متفهمة لكنه قال مغلقاً عينيه: «هناك أمر آخر» رفعت حاجبيها بتساؤل فقال: «أليكس نوعاً ما من العائلة الحاكمة».

قالت بعدم فهم: «نوعاً ما؟»

قلب واورويك عينيه بانزعاج قائلاً: «لم أتحمل عناء أسراره؟» ثم أمسك بكتفيها وقال بكلمات متسارعة: «إنه الملك هناك!»

انتظر رؤية وقع كلماته عليها لكنها لم تبد أي ردة فعل، هز كتفيها بخفة فرمشت بعينيها عدة مرات قبل أن تقول بنبرة محايدة:

«فهمت».

سحب يديه ووضعهما في جيبي بنطاله، ونظر لها بتمعن قبل أن يقول: «يبدو أنكِ أصبتِ بالتبلد!»

تنهدت ثم قالت متعجبة: «كيف يمكن لشخص واحد أن يحمل هذا الكم من الأسرار!»

«مقارنة بعدد السنين التي عاشها لا أظن أن.....» بدأ واورويك ثم توقف عندما رأى التساؤل على وجهها، ابتسم بتوتر قائلاً: «هو لم يخبركِ بعمره أيضاً، أليس كذلك؟» هزت رأسها بوجه مكتئب فقال مستطرداً: «لم لا تأخذين حماماً ساخناً قبل أن نذهب؟»

انتقلت كيارا للحمام مما أثار استمتاع واورويك بمهاراتها الجديدة، أما هي فقد عادت بذكرياتها لأول يوم لها في منزل أليكس واستعجابها



من ميله للون الأسود، ضحكت بمرارة لبساطة كل شيء حينها، رغم أنها ظنت أن حياتها انقلبت رأساً على عقب وأن لا شيء أسوأ مما حدث.

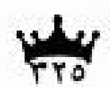
دفعت جسدها أسفل المياه الدافئة التي اشتاقت لها خلال الأشهر الماضية وتمنت لو تستطيع البقاء أسفلها لساعات طويلة لكن توترها لرحلتها المنتظرة أزعج استرخاءها فأنهت استحمامها على عجل، انتقلت لغرفتها التي كانت على حالها منذ مغادرتها لها وبدأت بالبحث عن شيءٍ لارتدائه، فتذكرت عامل التوصيل وكم كانت خائفة منه حينها.

ابتسمت لقطعها شوطاً كبيراً منذ تلك الأحداث فهي الآن قادرة على حماية نفسها، ثم عاد أليكس لأفكارها عندما شعرت بالامتنان له فالفضل يعود له لتدريبها واحتوائه لها بمنزله، شعرت بألم داخل صدرها عند تذكره فهزت رأسها وارتدت ملابسها بسرعة، وبعد انتهائها جمعت كتبها وبعض الملابس في حقيبتها ثم نزلت لواروايك الذي كان بانتظارها.

قال متجهاً نحوها: «مستعدة؟»

أجابته غير واثقة: «لا أعلم» توقف في مكانه فأكملت مطمئنة: «لكنني سأذهب على أية حال».

حمل حقيبتها وأمسك بيدها بينما كانت هي تودع البيت بعينيها



متسائلةً إن كانت ستعود لهذا المكان مرة أخرى، لاحظ وارويك الخوف والحزن عليها فشد قبضته على يدها قليلاً ليطمئنها قبل أن يقول:

«سنعود لهذا المكان بعد أن ينتهي كل شيء، وسنعيش فيه بأمان لسنوات طويلة».

تخيلت كيارا ذلك اليوم الذي ستعود فيه، ثم تكونت بداخل رأسها صورة لها مع أليكس أثناء ذهابهما للمدرسة، ابتسمت لذلك الخيال ثم شعرت بانقباض قلبها لما هو آتٍ، وضعت يدها على صدرها وقالت:

«لنذهب قبل أن أهرب عائدةً للكهف».

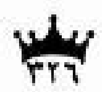
حينها اختفى وارويك فوراً، منتقلاً لمدخل القصر الذي يعرفه جيداً، نظرت كيارا بإعجاب للألوان الدافئة حولها والتصميم القديم شاعرةً أنها داخل كتاب تاريخي، أسرعت كبيرة الخدم للحضور وما أن رأت وارويك حتى قالت:

«سيد وارويك مرحباً بك في المملكة مرة أخرى».

أجابها مبتهجاً: «سعيد بالعودة» التفتت كبيرة الخدم لكيارا بنظرات متسائلة فقال: «أقدم لكِ... كيارا جرانت».

تفاجأت كبيرة الخدم وانحنت على الفور باحترام قائلة: «مرحباً بقدومك جلالة الملكة!»

عقدت كيارا حاجبيها حتى كاد الحاجبان أن يلتصقا بعضهما



ببعض، التفتت لواريك بثغر مفتوح فأشار لها بالصمت مبتسماً، بقيت كبيرة الخدم على انحنائها منتظرة أن تأذن لها كيارا بأن ترتاح، أشار لها واريك بيديه لكنها كانت تنظر له بعدم فهم ومع ارتباكها أمسكت برأس كبيرة الخدم ورفعته حتى اعتدلت في وقفتها بوجه مضطرب من فعل ملكتها.

وضع واريك يده على فمه محاولاً ردع ضحكته، تنحنح أخيراً منظفاً حنجرته قبل أن يقول: «أين أليكس؟»

اضطربت نبضات كيارا لسماع اسمه وانتبهت لذلك كبيرة الخدم فابتسمت بخفة ظناً منها أنها كانت مضطربة من الحب، بينما كانت كيارا مليئة بالخوف والتوتر وشيء آخر لم تعلم ما هو.

«جلالته يشرف على تدريبات الجنود في الساحة الجنوبية» أجابته مشيرة بيدها لتدلها على الطريق لكن واريك قال:

«أعرف المكان جيداً» ثم مد حقيبة كيارا لها: «ضعي هذه في جناحها» تناولت الحقيبة منه باحترام فقال: «الآن اعذريني».

انحنت له فأمسك بيد كيارا واختفى منتقلاً لغرفة أليكس، نظرت كيارا حول الغرفة مستنتجةً مالكها على الفور، تذكرت تطفلها على غرفته سابقاً عندما شعرت برغبة في فعل ذلك مرة أخرى، لكن واريك استعجلها وسحبها من يدها لباب الشرفة الصغيرة المطلة على الساحة الجنوبية، كانت أصوات التدريبات عالية مُعلمةً كيارا أن



أليكس قريب، شعرت بجسدها يرتجف وحاولت تمالكه، تساءلت حينها ما الذي ستقوله له؟ هل هي غاضبة؟ أم فضولية بشأن ماضيه؟ هزت رأسها متذكرة فانكا ولم تعد تطيق فكرة أن أليكس تحت تأثيره، حينها قررت أن ذلك سيكون أول شيء تخبره به.

وضع واروِيك يده على كتفها منتظراً استعدادها، أومأت له أخيراً فشقت ابتسامته تعابير وجهه وفتح باب الشرفة على مصراعيه، انتبه لأليكس الذي كانت نظراته للاتجاه الآخر حيث الجنود فقال بصوت جهوري:

«سموك!»

التفت له أليكس وقطب حاجبيه لرؤيته غير المتوقعة، توقف الجميع ناظرين لوارويك الذي اتكأ على سور الشرفة بمرفقيه قائلاً بابتسامة لعوب:

«أحضرت لك هدية».

حينها خرجت كيارا من خلفه بخطوات هادئة بينما تجمد أليكس لرؤيتها، وما أن وصلت لجانب وارويك حتى التقت أعينهما، علمت كيارا حينها ما هو ذلك الشعور الذي لم تفهمه سابقاً، كانت تشعر بالخوف والتوتر... والاشتياق.

وجدت أنها بدأت بنسيان ما أتت من أجله وهي تنظر لعيني أليكس، فاستمرت في تذكير نفسها بفانكا وكسر تأثيره، لكن نظرات



أليكس لها كانت هادئة ورقيقة، ومع تزايد الهمسات من الجنود لاحظ وارويك أن أليكس لم يكن مهتماً بتقديمها بقدر اهتمامه بالتحديق بها، فانتقل لجانبه مقابلاً للجنود وقال باسطاً ذراعيه:

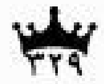
«جنود إيماتيروس رحبوا بجلالة الملكة!»

استقام زي في وقفة عسكرية ثم وضع يده على صدره قبل أن يهبط على ركبته لتستقر اليد الأخرى على الأرض، فتبعه جميع الجنود، تشتت انتباه كيارا ونظرت للجنود الذين استمروا في انحنائهم لها واحداً تلو الآخر، اقشعر جسدها لذلك المنظر بينما كانت تنقل نظراتها بينهم بتوتر لاحظه أليكس من مكانه فقال أخيراً:

«استريحوا».

وقف جميع الجنود في الوقت الذي ركض فيه أليكس باتجاه الأشجار، قفز فوق واحدة ثم قفز منها للشرفة هابطاً أمام كيارا المرتبكة، نظر لعينيها وابتسم بلطف لتبادله الأخرى بابتسامة ضعيفة لا إرادياً، رفع يده وأزاح بعض الخصلات عن وجهها برقة، ثم لف ذراعيه حولها بنعومة وهدوء منتظراً أن تقوم بدفعه لكنها فاجأت نفسها وفاجأته بمبادلته العناق.

ملأتها أنانية تملكية تجاهه لم تشعر بها من قبل، وعندما أحست بالدفء الصادر منه يحيط بجسدها وجدت أن قلبها يرفض فكرة إخباره بأمر فانكا نهائياً وأن إبقاءه تحت ذلك التأثير بجانبها ليس أمراً بالغ السوء.



مرت لحظة صمت قبل أن يبدأ الجنود بالهتاف للمشهد الرومانسي الذي يشاهدونه أمامهم، ففصل أليكس عناقهما والتفت للجنود مبتسماً:

«أكملوا التدريب!»

اضطربت نبضات كيارا لصوته الجهوري الذي لم تسمعه من قبل، ورغم ظنها سابقاً أن ما يميز أليكس هو هدوؤه وصوته المنخفض إلا أنها وجدت نفسها تعجب به أكثر، بينما أمسك هو بيدها وسحبها للداخل مقفلاً باب الشرفة خلفه، ثم التفت إليها واقترب منها أكثر مما اعتادت منه، نظر لملابسها وقال:

«هل تشعرين بالبرد؟»

هزت رأسها نفياً.

تفرس بوجهها سائلاً: «هل تشعرين بالتعب؟»

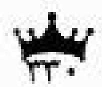
هزت رأسها مرة أخرى.

«هل مسكِ ضرر؟»

ابتسمت بلطف وهزت رأسها.

تنفس بارتياح ثم أكمل بقلق سيلاً من الأسئلة: «أين كنتِ؟.. كيف أمضيت الشهور الماضية؟... هل كان هناك من يعتني بك؟.. هل كنتِ وحيدة طوال تلك المدة؟..»

ضحكت بخفة واجتاحها شعور بالألفة تجاه اعتنائه بها فتجهمت



لذلك، كانت تعلم جيداً أن عليها كسر التأثير لتحرره لكنها لم تجد القوة لفعلها، لم تجد سبباً يدفعها للتخلي عنه، رغم علمها أنها لم تكن مشاعر حقيقية لكنها مشاعر تألفها وتسعدها.

قال أليكس بعد أن لاحظ صراعها للتحدث: «كيارا، ما الأمر؟»

كان سماع اسم أليكس مربكاً بحد ذاته كما أن نظراته لها أشعرتها بشوق تجاهه لم تشعر به من قبل، ثم كان هناك صوته الذي يشتت تركيزها عما هو مهم وانتهاءً باسمها القادم من بين شفتيه، كانت كيارا قد نسيت تماماً لم عليها تحريره.

قد يكون فانكا تلاعب بمشاعر أليكس لكن أليكس استحوذ على مشاعر كيارا بين يديه بطريقة كلية، ولم تعلم بحقيقة هذا الأمر إلا عندما أصبح عليها التخلي عنه.

فتحت فمها لإخباره ثم أطبقته بقوة لعدم مقدرتها على ذلك، نظرت لعينيه اللتين حملتا القلق نحوها وكأنه يتمنى لو يستطيع أخذ كل ما يسبب حزنها ليحزنه هو بدلاً عنها.

رسمت ابتسامة على وجهها بجهد كبير وقالت أخيراً محاولة إبقاء نبرتها مستوية لكن صوتها لم يسعفها فخرجت كلماتها همساً: «أريد إخبارك بأمر ما، لكنني مرهقة».

سحبها باتجاه فراشه وأجلسها فوقه برقة ثم قال: «يمكنك أخذ قسط من الراحة» استلقت لتريح جسدها فجلس على ركبته بجانب



السرير وأكمل: «جهزت لكِ جناحاً خاصّاً لكن ذلك كان من أربعة أشهر، سآمرهم بإعادة تنظيفه».

وقف للخروج لكنها أمسكت بمعصمه، نظر ليدها ثم لها قبل أن يعود لمكانه بانتظارها أن تتحدث، ترددت للحظات بينما بقي هو صامتاً بصبر أمامها.

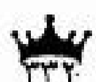
قالت أخيراً بتلعثم دون أن ترفع عينيها: «ابق هنا.... قليلاً».

حدق بها لبرهة قبل أن يومئ، تنحت فاسحةً له مكاناً بجانبها فجلس مسنداً ظهره على مسند الرأس ومد قدميه فوق الفراش، بينما أمسكت هي بمعصمه وكأنها تخاف اختفاءه.

لم تكن كيارا ممن يعجبهم الصمت قط، فقد ذكرها بوحدتها، خاصة خلال الأشهر الماضية، حيث قضتها في صمت مع سنقر القليل الكلام، لكن في هذه اللحظة كانت مشاعرها تجاه الصمت المطبق حول المكان مختلفة، تساءلت إن كان وجود أليكس بجانبها هو ما أضفى للصمت نكهة مختلفة، نكهة أشعرتها بالسلام، فوجدت أن اسم الصمت غير مناسب للجو المحيط بها.

انشغلت أفكارها بأسماء مناسبة أكثر، ففكرت باسم نكهة السلام كونه يصف ما تشعر به الآن، مزيجٌ من الأمان والطمأنينة، لكن كل تلك الكلمات أرشدت أفكار كيارا إلى الجالس بجانبها.

همست بعد برهة: «لم يظنون أنني الملكة؟»



«لأنني قلت لهم ذلك» همس مجيباً ببساطة وكأنه يتكلم عن حال الطقس لا عن حكم مملكة.

تكهنت السبب وراء فعله فقالت محاولة إخفاء اضطرابها: «لمَ فعلت ذلك؟»

بينما أجابها باستنكار لسؤالها وكأن السبب بدَهيٌّ: «لحمايتك».

اضطربت نبضاتها رغم أنها توقعت إجابته، فقد كان هذا أليكس، اهتمامه بمن حوله كان جزءاً منه، وكانت كيارا قد أدركت ذلك منذ وقت طويل، شدت قبضتها حول معصمه وأغمضت عينيها آخذةً نفساً عميقاً فتسللت رائحته لها.

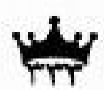
حينها لمع اسم جديد للصمت بداخل رأسها بشكل مفاجئ... نكهة أليكس.

ضحكت ضحكة مكتومة لسخافة تلك الفكرة فالتفت ناظراً لها باستغراب، هزت رأسها رافضةً إخباره بما يدور في رأسها، ثم أخذت نفساً عميقاً بقصد استنشاق رائحته مرة أخرى قبل أن تُتمتم:

«ظننت أن هذه رائحة المنزل لكن يبدو أنها رائحتك أنت».

قُطب حاجباها حين عادت أفكارها للواقع فجأة ثم تنهدت بحزن وأغلقت عينيها لتهرب منه.

نجحت كيارا في هروبها وغطست في النوم، لكن واقعاً آخر كان بانتظارها، كابوس لم تره منذ أربعة أشهر، المكان نفسه، والمنظر نفسه



الذي كرهت رؤيته مرة أخرى بعد أن علمت أنها حقيقة احتفظ بها فانكا في ذكرياته، ثم حدث أمر آخر...

أليكس.....

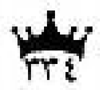
ظهر فجأة أمامها، لكن لم يبد مرتبكاً من المرأة المغطاة بالدماء أو بكاء العنقي، بدا وكأن أمراً أكثر رعباً يحصل أمامه، التفتت حيث كان ينظر لترى ما أرسل القشعريرة حتى أطراف أصابعها...

جموعٌ كبيرة من السحرة تسير باتجاه أليكس، استغربت الأمر ولم تفهم الصورة بشكل واضح، أعادت نظراتها له لتجد أنه لم يعد يقف وحده، وقف بجانبه وارويك ورو، ومن الجهة الأخرى وقفت تريشا بينما حملت تعابيرهم الخوف والرهبة من الآتي.

عندها صدر صدى صوت صيحات من خلفها فالتفتت مرة أخرى لترى أنهم يعدون تجاه أصدقائها بوحشية لم تستطع تفسيرها، لكن مع اقترابهم أكثر رأت وجهاً بينهم استطاعت تمييزه فوراً..... إستل.

اكتملت الصورة أمامها وفهمت ما كان يدور حولها، لم يكن مجرد تجمع عشوائي من السحرة، بل جيشاً قُصد من أجلها، لكنه الآن يتجه لأصدقائها الذين قرروا حمايتها.

نقلت نظراتها بينهم وبين الجيش القادم نحوهم بهلع، صرخت بكل قوتها لتحذرهم لكن صوتها كان قد علق في حنجرتها، صرخت مرة أخرى تخبرهم أن عليهم الهرب، لكن صوت الجيش كان أعلى



من صوتها الضعيف، بدأت حينها بالركض باتجاههم بكل سرعتها، سقطت عدة مرات بسبب أقدامها التي كانت أضعف مما توقعت.

ومع آخر سقطة لم تعد تستطيع التحمل، كان كل ما يحدث حولها يسحقها من الداخل، كانت تعلم أن هذا مجرد كابوس، لكن كونه غير حقيقي لم يخفف من مدى رعبه، رفعت عينيها باتجاه أليكس وبدأت بالبكاء أمام نظراته الخائفة من الجيش القادم.

رفعت يديها من الأرض وضربت رأسها صارخة: «فلينتهِ هذا الكابوس اللعين!!!» ضربت رأسها عدة مرات ثم صرخت مرة أخرى ووجهها ملطخ بدموعها الحارة: «استيقظي!!!»

ثم أتاها صوت أليكس الغاضب: «لا تهربي!»

نظرت له من بين دموعها في لحظة صمت لم تدم إلا لبضع ثوانٍ قبل أن يلتحم الجيش بهم وتتعالى الصيحات، فعاد الخوف إليها وبدأت بالهلع مرة أخرى.

شعرت أنها ستستيقظ، فقد بدأت الأصوات تبتعد وكأنها تُسحب لبعد آخر، ثم رأت شيئاً أفزع كل ما بداخلها.

جسد رو المحتضر ملقىً على أرض المعركة...

شهقت بكل قوتها حالما فتحت عينيها على مصاريعها، لهثت محاولةً التقاط أنفاسها ثم سمعت صوت نشيج وشعرت بحرارةٍ على وجهها، مدت يدها ومسحت وجنتيها لتشعر بالبلل الدافئ على أصابعها، وقبل أنْ تفسر سببه أدركت أن ذلك النشيج الذي تسمعه صادرٌ منها.

أغلقت عينيها بقوة حتى تلملم شتاتها لكن ومضات ذلك الكابوس أتتها مرة أخرى ففتحتها بسرعة لتهرب منها.

«كيارا!» قال أليكس بصوته الهادئ الذي امتلأ بالقلق الآن، التفتت له مدركةً وجوده حينها، وضع يده على كتفها والأخرى على وجهها ليمسح دموعها مكملاً: «كابوس؟»

أومأت له وقالت بنبرة متقطعة وسط بكائها: «لقد... أتوا من... أجلي.... وأنت.... غاضب... لكن.... لكن رو.... على الأرض...»

قربها أليكس منه واضعاً رأسها على صدره: «لا بأس، اهدئي» مسح على رأسها وربّت بيده الأخرى على كتفها: «مجرد كابوس لا تقلقي».

لحظات طويلة طمأن فيها أليكس كيارا بصبر، وبعد أن هدأت نبضاتها وانتظمت أنفاسها قال:

«ما الذي رأيته في كابوسك؟» كان صوته هادئاً ومنخفضاً أقرب للهمس «ما الذي أفزعك؟»

أخذت نفساً عميقاً متذكرةً تفاصيل كابوسها الجديد، ومع أنه كان أقل رعباً حينها إلا أنها تمنت ألا يصبح كابوساً متكرراً كسابقه.

قالت بصوت منخفض بعد برهة: «حرب.. تقودها إستل....» صمتت قليلاً وهي تفكر إن كان عليها إخباره عن وجوده في كابوسها أم لا، ثم وجدت أن لا مانع لذلك فأكملت: «لقد كنت هناك... تنتظرها».



شعرت بتوتره من خلال يديه اللتين توقفتا عن التربيت عليها فرفعت رأسها عن صدره لتأخذ نظرة أفضل له، تقابلت أعينهما وتجهمت تعابيرها فور أن لاحظت تجهمه، ضحك بتهكم ثم قال:

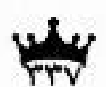
«يبدو أنها كانت رؤيا وليست كابوساً».

عقدت حاجبيها بعدم فهم للحظة، كان هناك صوت متذبذب داخل رأسها يحاول إخبارها بأمر ما، صوت باهت وبعيد للغاية لم تستطع تحديد ما كان يريد إخبارها به، لكن نظرات أليكس المتجهمة كانت تخبرها بشكل واضح أن هناك ما هو آتٍ، لحظات قصيرة مضت قبل أن تُصفع كيارا بالحقيقة، فابتداء الكابوس بفانكا كان كفيلاً بإنبائها أنه لم يكن مجرد كابوس.

هزت رأسها متمنية أنها مجرد تحذيرات قبل أن تقول: «لم تقول ذلك؟»

تنهد أليكس كارهاً أن عليه إخبارها بالأمر لكنه دفع كلماته أخيراً: «ستقع حرب هنا، الجيش قادم بالفعل».

جحظت عيناها عندما بدأت تتذكر كل ما أفزعها قبل لحظات واحتمالية تحوله لحقيقة، ثم لمعت صورة احتضار رو أمامها فقفزت من فوق الفراش متذكرة سبب هروبها لأربعة أشهر من الأساس، كل ما أرادته هو حمايتهم، لكن الهرب والابتعاد عنهم لن ينقذاهم هذه المرة، تزاحمت الأفكار داخل رأسها قبل أن تطفو واحدة بدت لها أفضل



الحلول، أومأت لنفسها بعزم ثم نظرت للشرفة أمامها مقررةً أن عليها تسليم نفسها لإستل قبل أن تصل هي إليهم.

مصارحة

جالت كيارا ذهاباً وإياباً داخل الغرفة مفكرةً في طريقة لتملصها من هذا المكان وتسليم نفسها لإستل دون تعريض أي منهم للخطر، كان الصوت الخافت بداخلها يقترب ويتضح أكثر مع كل لحظة، لكنها لم تعره اهتمامها وقتها.

راقبها أليكس بتحفظ قبل أن يقف مقترباً منها، قال بصوت ناعم آملاً أن يرسل لها بعض الراحة: «كيارا».

لكنها عند سماع صوته تذكرت أمراً أزعجها فانفجرت غاضبة، التفتت إليه وقالت بنبرة مشحونة: «هل كنت ستخبرني لو لم أر هذا الكابوس أم كنت ستحتفظ به لنفسك كبقية الأمور؟!!!»

تنهد وقال مفسراً: «لم أكن متيقناً من أمر المختارة».

مع أن أمر المختارة هو ما سبب أول ثغرة في علاقتها بأليكس إلا أنه كان آخر شيء تفكر فيه حينها، فقالت متهكمة: «آآآه، صحيح، المختارة».

أكمل أليكس تبريره: «فضلت ألا أخيفك بالأمر».

قالت من بين أسنانها محاولة السيطرة على غضبها: «ليس هذا ما أقصده!»

صمت لبرهة مفكراً فيما قد يكون سبب غضبها فقال أول سبب خطر بباله: «المملكة؟»



اقتربت منه ببطء قائلة: «غيض من فيض» رفعت إحدى يديها: «أمر المختارة» ثم رفعت يدها الأخرى: «والمملكة» هزت رأسها ساخرة: «ثم هناك أمور سخيفة للغاية كعمرك» وعندما اقتربت منه كثيراً ناظرةً لعينيه أكملت بصوت منخفض: «وأمور وقعها مؤلم كحقيقة أنك عنقي».

حينها تشوشت أفكار كيارا، فرغم أنها هي من أشارت لكلمة مؤلم إلا أنها لاحظت الألم جلياً في عيني أليكس، عبر للحظة خاطفة قبل أن يخفيه خلف تعابير باردة، ضاقت عيناها وعادت خطوة للوراء في إدراك لما فعلته.

أمر لم تفكر به سابقاً، كان غضبها لأمر المختارة مبرراً، لكنها تركت نفسها تنجرف وراء مشاعرها المجروحة دون أن تدرك مشاعر الذي أمامها، أنبت نفسها لتفكيرها في ذاتها فقط وكيف أنها تناست أن أليكس قد يحمل جراحه الخاصة.

«أليكس... أنا...» قالت دون أن تعلم ما عليها قوله لكنه قاطعها بنبرته الباردة:

«بعض الأمور يصعب التحدث عنها» شد على قبضتيه متابعاً: «وماضيّ كعنقي ليس أحد تلك الأمور فحسب، بل أكثرها صعوبةً» ثم تنهد متجهماً قبل أن يضيف: «لكن إن كنتِ تريدين معرفة أي شيء فكل ما عليكِ فعله هو السؤال».



«لا» قالت على عجل ورفعت يدها أمامها لإيقافه: «أنا آسفة، تمكن مني الغضب ووجهته في الاتجاه الخاطئ» أنزلت يدها بهدوء ثم تنهدت قبل أن تضيف: «لقد مللت من عدم معرفة ما يدور حولي بينما يضحي البقية بحياتهم لحمايتي» هزت رأسها معترضة: «لا أريد الشعور بالعجز بعد الآن» نظرت لعينيه بحزم: «عليّ خوض معاركي بنفسي وإلا فلن تنتهي».

تبادلا النظرات للحظة علِم فيها أليكس ما كان يدور في رأسها فقال: «في الحقيقة الجيش القادم لم يأت من أجلك» أخذ نفساً عميقاً ثم زفر مكملاً: «بل من أجلي».

اقترب منها بينما قالت باستغراب حين لم تستطع التوصل لأي سبب قد يدفع أحدهم لمعاداة أليكس: «لم قد يأتي جيش من أجلك؟»

وقف أمامها بمسافة قريبة قبل أن يقول: «لم لا أعطيكِ درساً في التاريخ أنتِ أيضاً؟» ثم رفع يده باتجاه مقعد مخملي خلفها بجانب باب الشرفة مشيراً لها بالجلوس، وبعد أن امتثلت لما أراده جلس هو على المقعد المقابل لها وبدأ بسرد تاريخ السحرة كما فعل مع رو، بينما أرعت هي انتباهها له.

ابتسم في كل مرة قاطعته فيها بالأسئلة أنفسها التي ألقاها رو لمدى تشابه تفكيرهما، ثم وصل للمكان الذي بدأ منه كل شيء.

قال أليكس: «ثم أتى هازارد...»



قاطعته باستعجال: «أول من أعاد السحر الأسود للمملكة؟»

ضاقت عيناه وقال: «كيف علمتِ ذلك؟»

هزت كتفيها مجيبة: «الكتب».

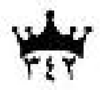
«آه، نسيت أمر الكتب» قال متذكراً ثم تابع بنبرة متسائلة: «ما كان اسمه؟ الشخص الذي أعطاكِ تلك الكتب؟»

شدت كيارا قبضتي يديها وتجنبت النظر إليه ثم أجابت بانقباض: «فانكا».

حدق بها باستغراب من تضايقها المفاجئ واضطراب نبضاتها غير المسبوق حين ذكر فانكا، فقد لاحظ اطمئنانها وامتنانها له سابقاً، بينما شعرت كيارا أن الصمت الذي عم المكان فجأة جعل الصوت البعيد في رأسها يقترب أكثر مردداً أن عليها إخباره فوراً، وأحست أنها إن لم تغير الموضوع على الفور فقد يسمعه أليكس دون أن تدرك هي ذلك.

قالت مستطردة: «وقع في شر أعماله» ثم لاحظت علامة الاستفهام على ملامح الذي أمامها فألحقت موضحة: «أقصد هازارد».

«صحيح» قال بشرود لم يدم طويلاً ثم أعاد تركيزه إلى الموضوع الأساسي مسترسلاً: «هازارد أراد السلطة المطلقة، لذا ألقى بتعويذة قوية أصابت جميع مصاصي الدماء، تعويذة سوداء ألقت بالعداوة بينهم وفرقت جموعهم» أنزل رأسه ناظراً لكفيه لبرهة قبل أن يقبضهما بقوة ويكمل: «كنت لا أزال عنقياً حينها، وارويك كان قد انشق عن



قبيلته فلم يسمع بحدوث الأمر، لكننا لاحظنا التشتت الذي حصل بينهم» رفع نظراته لكيارا التي كانت تنظر إليه بشحوب فتوقف عن سرد قصته وسأل: «ما الأمر؟»

أجابته متلعثمة: «لـ.. لم أعـلم أنك بـ.. بهذا العمر» قطب حاجبيه بعدم فهم فأردفت: «هازارد.. ساحر قديم... للغاية».

ابتسم حينها بعد أن فهم مقصدها ثم فسر لها الأمر: «هازارد اسم شائع بين السحرة» رفع حاجبيه لها في انتظار أن تستنتج مقصده لكنها لم تفعل فتابع: «هازارد الذي ألقى بتعويذة على مصاصي الدماء ليس صاحب الاسم الأول».

قالت بشك: «أتقصد أنه ليس هازارد البابلي؟»

ضحك ضحكة خافتة كتمها سريعاً ثم هز رأسه لها وقال: «لا، ليس هو، أعتقد أن هازارد البابلي مات قبل آلاف السنين» تنهدت بارتياح فسأل: «هل يقلقكِ عدد السنوات التي عشتها؟»

حدقت بعينيه لوهلة مفكرةً في الأمر ثم ابتسمت قائلة: «لا أظن ذلك، لقد تفاجأت فقط».

تفرس في ملامحها لبرهة ثم قال: «العمر عامل مهم للبشر، لكنه مجرد رقم للمخلوقات أمثالنا، أنتِ كذلك لن يهمك الأمر بعد عدة سنوات، عندما تلاحظين أن الأيام تمضي بينما أنتِ على حالك».

همهمت بشرود سارحةً بأفكارها، تخيلت نفسها بعد عشرة أعوام



ثم بعد خمسين عاماً وهي تحمل الوجه نفسه دون أن تتغير ثم أخذتها أفكارها لإستل وإن كانت لا تزال تحاول قتلها بعد خمسين سنة، حتى قطع حبل أفكارها صوت أليكس:

«أكثر من سبعمائة...» قال ناظراً لها، فنظرت له مقطبةً حاجبيها بينما تابع: «أقل من الألف».

«أوه» كان كل ما قالته قبل أن يتبادلا النظرات في صمت.

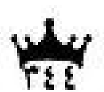
كان أليكس يدرس ردة فعلها بينما سرحت هي بأفكارها مرة أخرى، لكن هذه المرة كانت كلها تخيلات عن ماضي أليكس وكيف كانت حياته قبلها، تساءلت إن كان هادئًا طوال حياته أم أن أمراً ما غيره وجعله بهذا الهدوء، حدقت بعينيه متذكرةً كلماته خلال درسها الأول:

- «ما تبحثين عنه ليس فيهما، بل ما في داخلهما، هما مجرد ممر لما تريدين الوصول إليه.... العقل».

كان أليكس حينها يعلمها كيفية الدخول للعقل، لكن ذلك تطلب اتصالًا جسديًا، حدقت بعينيه أكثر شاعرةً أنها قد تصل لداخله دون ذلك الاتصال، سمعت صوتاً بعيداً بداخلها يؤكد لها أن ذلك ممكن، لكن أليكس كسر الصمت الذي دام للحظات بينها وبينه قائلًا:

«هل أكمل؟»

عادت للواقع وأخذت نفسًا عميقاً لتستجمع نفسها قبل أن تجيب: «أجل، من فضلك».



فبدأ أليكس بسرد الماضي لها مرة أخرى: «كان الملك الراحل رينالد صديقاً لنا، وقد لاحظنا التغيير الذي حصل له لكننا لم نستنكر الأمر حتى أصبح من الصعب عليه الوجود حول أي مصاص دماء دون الهجوم عليه، كانت العداوة التي زُرعت بينهم واضحة وجلية، لكننا ظننا أنه أمر خاص برينالد فقط، ولم نفهم الأمر حتى طلب منا المساعدة فلم يعد يطيق الأمر هو نفسه» اتكأ بظهره على الكرسي ونظر لخارج الشرفة مسترجعاً ذكرياته قبل أن يروي لها ما حدث بعد ذلك: «بدأنا بالتحقيق في الأمر، وبعد فترة بسيطة علمنا أنه لم يكن وحده، لذا فعل وارويك شيئاً ما... أحضر مصاص دماء ووضعه مع رينالد في غرفة مغلقة لدراسة ما يحدث أكثر، كدت أن أُلف كليهما بالسلاسل للوحشية التي أرادا قتل بعضهما بعضاً بها، بينما كان وارويك يستكشف الأجواء بينهما بتعويذات متعددة حتى رأى السحر الأسود الذي يزداد كلما اقتربا بعضهما من بعض ثم يختفي تماماً بخروج واحد منهما من الغرفة، حينها طلب رينالد أن أحرره، وكعنقي لم أستطع رفض المهمة كون ما حصل له لم يكن عادلًا أبدًا، وتحول التحقيق لمهمة رسمية لكسر التعويذة» توقف قليلاً والتفت لكيارا التي كانت تنظر له باهتمام بالغ، حدق بها لوهلة لكنه كان يبدو وكأنه في مكان آخر فقالت:

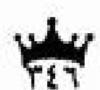
«أليكس» كان صوتها لطيفاً أعلم أليكس بتفهمها لضيقه «ليس عليك إخباري بأي شيء لا تريد مشاركته، تلك كانت أنانية مني، فهذا ماضيك وهو أمر خاص بك، ولا أملك الحق في المطالبة بمعرفته».

هز رأسه مجيبًا: «أريد مشاركته معك، كل ما في الأمر هو أنني لم أتحدث عنه من قبل» تنهد حينها ثم تابع: «لم أتوقع أن التعويذة بتلك القوة، وهنا يكمن خطئي، كانت مهمة طويلة وشاقة تطلبت مساعدة وارويك وساحرين آخرين بمثل قوته، وعندما كدنا أن نوشك على التخلص منها، أعتقد أننا تراخينا في الحذر ظنًّا منا أننا نجحنا بالفعل، فحصل أمر ما....» صمت قليلاً فمدت كيارا يدها ووضعتها فوق يده، اعتدل في جلسته ونظر لها بجدية كالنظرة التي تعلو وجهه أثناء التدريب وأردف: «السحر الأسود خبيث للغاية، لذا عند التعامل معه يجب أن يكون الحذر أول الحاضرين» أومأت رأسها بتفهم ليكمل: «كانت التعويذة ضعيفة بفعل قوتنا لكنها وجدت ثغرة قبل النهاية ففرت منها للعودة لصاحبها، وقفتُ أمامها في محاولة لمنعها، لكنها أصابتني قبل أن أوجه النار باتجاهها..... وهنا بدأت بالاحتضار».

فرت شهقة من بين شفتي كيارا بصدمة فوضعت يدها على فمها لتمنع بقيتها من الخروج: «الاحتضار! لماذا لم...»

قاطعها أليكس: «لم أستطع، لذلك قلت إن السحر الأسود خبيث، توقفت النار عن الخروج بسببه ولم أستطع بعث نفسي من جديد، كنت عالقًا معها بينما كانت تأكل ما بداخلي ببطء حتى فقدت الوعي، ظننت أنني فارقت الحياة، لكنني استيقظت وحينها كان كل شيء قد تغير ولا سبيل للعودة وإصلاح ما حصل».

قالت محاولة التخفيف عنه: «ربما كان السبيل الوحيد لإنقاذك».



«بعض القرارات المصيرية يجب التروي عند اتخاذها، وإن كانت السبيل الوحيد» ثم أخذ نفساً عميقًا قبل أن يردف: «لكنني لم أحملهم مسؤولية ما حصل، فعل رينالد ما توجب عليه فعله لإنقاذي.... وأصبحت من نسله» ابتسم ابتسامة صغيرة لم تفهمها كيارا حين قال: «لم أغضب في حياتي من أمر ما كما غضبت من السحرة الذين يستخدمون السحر الأسود، في الحقيقة لم أغضب قبلها أبدًا بفضل قواي العنقية، لكن حواسي حينها تبدلت وجميع استشعاراتي توقفت فجأة، كان تغيراً جذرياً أصابني بالجنون، وذلك ما أدى إلى قرار إسقاط مملكة ستونهنج. قرارٌ يقوده الغضب فحسب، غضبي لخسارة أغلى ما لدي وغضب مصاصي الدماء للوحشية التي عاشوا بها لسنوات، فمنهم من قتل أصدقاءه ونسله دون القدرة على إيقاف نفسه» نهض عن المقعد وتوجه للشرفة واقفاً أمامها متأملاً ما ظهر له من المملكة «توحيد مصاصي الدماء كان سهلاً لكنه مع ذلك أخذ سنوات طويلة، وخلال تلك السنوات كان السحرة يسقطون مملكتهم بأيديهم، فقد كان نقاء سحرهم هو مكمن قوتهم، لكنهم تهاونوا في ذلك وسمحوا للقوة التي تأتي مع السحر الأسود بأن تدمرهم من الداخل، كل ما تطلبه الأمر هو الهجوم، واستمرت المعركة لعدة أيام قبل أن يهرب السحرة تاركين مملكتهم خلفهم».

توقف عن الكلام فأخذت كيارا فرصتها للسؤال: «لم اخترتم هذا المكان للمملكة؟»



أجابها دون الالتفات: «أجساد مصاصي الدماء حارة بسبب السم الذي يجري في عروقهم، لذا يفضلون الأماكن الباردة».

قالت بفضول: «ألهذا السبب تفضل اللون الأسود؟ لتعزل أعلى قدر من الحرارة؟»

«الأمر مختلف قليلًا بالنسبة إلي» التفت ناظرًا لها بابتسامة صغيرة ووضح أكثر: «بقي بداخلي جزء بسيط من نار روح العنقاء» نظر ليديه مكملاً: «ربما تكون هدية لمواساتي، لا أعلم حقاً ما السبب» أعاد نظراته لها: «لكنها تجعل جسدي أكثر حرارة من أي مصاص دماء آخر، لذا الشمس تزعجني بشكل أكبر من الجميع، أشعر وكأن جسدي على وشك الانفجار من شدة حرارته أحياناً».

مرت في ذاكرة كيارا صور أليكس بقلنسواته السوداء العديدة التي رأته بها في المدرسة، وبدأت تتضح الأجوبة لجميع الاسئلة التي كانت تراودها عنه. استنتجت أن حرارة جسده هي السبب أيضاً في خلو منزله من النوافذ، ومع ذلك كانت هناك أسئلة جديدة تتكون داخل رأسها، كان صوتٌ بداخلها يقول لها إن أليكس ما زال يحتفظ ببعض قوى العنق لكنها قررت عدم سؤاله، وهذه المرة لن تنزعج إن قرر عدم إخبارها فقد باتت تعلم أن هذا طبع أليكس فقط وأنه لا يتعمد إخفاء حياته عليها.

قالت بعد برهة: «هناك أمر لا أفهمه، لم تركت المملكة التي شاركت في بنائها؟»

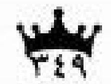


«ليست مكاني» أجابها ببساطة ثم استرسل موضحاً أكثر: «كنت أشعر أنني غريب يوماً بعد الآخر، كما أن وراثة العرش جعلتني هدفاً لمن طمعوا في الحكم بعد رينالد، لم أرد القتال معهم او حتى التعامل مع كل تلك الفوضى لذا استعنت بتعويذة الحماية الخاصة بواروبك لتجنب كل ذلك» نظر للأسفل بنظرات مضطربة وبدا لكيارا أنه يشعر بالخزي، ثم تيقنت من ذلك عندما أكمل: «لأكون أكثر صدقاً.... لقد كرهت نفسي في هذا المكان» التفت إليها مبتسماً بإحراج: «وجدت أن غضبي لم يتبدد كلياً وأن جزءاً منه كان متجهاً لرينالد لأنه الشخص الذي قام بتحويلي، رغم علمي أنه كان يريد إنقاذ حياتي فحسب» خفض صوته حتى أصبح أقرب للهمس مردفاً: «العنق هم أشرف المخلوقات الأسطورية، هم من يحافظون على النظام بينهم، ويقومون بمحاسبة المضرين منهم، يقومون بمقام القضاة» عاد للمقعد وانحنى مقترباً منها قبل أن يتابع بهمس: «هل تتخيلين شعور السقوط من قمة العالم حتى أدناه؟.... هذا ما حدث لي، تحولت إلى مخلوق مفترس يعتمد نظامه الغذائي على الدم، بعد أن كنت حامي السلام تحولت إلى مخلوق لا يستطيع العيش حتى يزهق روح مخلوق آخر».

نظرت له بتفهم محاولةً إخفاء شفقتها تجاهه ثم سألت بعدم فهم: «إن كنت تكره الأمر لهذه الدرجة! فلم عدت؟»

رقت عيناه محدقاً بخاصتها: «لأنه السبيل الوحيد لحمايتك».

اضطربت نبضاتها كما اضطربت مشاعرها بين امتنان واستنكار قبل أن ينتصر الثاني فقالت مقطبةً حاجبيها: «عدت لحمايتي؟»



أومأ قائلاً: «بعد الذي حصل مع السحرة، بعد أن...... قتلتهم» أجفلت كيارا لا شعورياً للذكرى التي أرادت نسيانها بشدة، اللحظة التي تحولت فيها لقاتلة، لاحظ أليكس تحول ملامحها فرقق نبرته مكملاً: «الجميع معرضون للخطأ، المهم هو كيف نصلحه».

قالت بتهكم: «هل هناك سبيل لإصلاح مثل هذا الخطأ؟»

مد يده وأمسك بيدها مطَمئناً: «هناك سبيل دائماً».

حدقت بيده بوهن لم تستطع إخفاءه فشد قبضته حول يدها مما دفعها لرفع نظراتها لعينيه، كانت الفوضى تحيط بها وتشعرها بالضياع والاختناق، من جهة هناك إستل التي تريد قتلها وجهزت جيشاً لفعل ذلك، ماضي أليكس الحزين وعودته لمكان يكرهه حتى يقوم بحمايتها، قطع اتصالها برو لحمايته كان يؤلمها أكثر يوماً بعد يوم، لكن الجهة الأخرى من الفوضى التي تشغلها كانت الأكثر ضجيجًا، تأثير فانكا على الرجل الممسك بيدها، رغم أنها أرادت إخباره فور وصولها إلا أنها لم تجد الشجاعة للتخلي عنه، رغم علمها بضرورة إخباره وتحريره لم ترد فعل ذلك، تلك الأنانية المقيتة قيدت كل المنطق الذي تعرفه.

«حرريه» قال صوت من مكان ما، التفتت حولها باستغراب قبل أن تدرك أن الصوت قادم من رأسها، نفسه الصوت البعيد الذي يحاول التحدث إليها منذ مغادرتها للكهف، لكنه الآن أصبح أقرب وبات واضحاً تماماً، تساءلت إن كان سبب ظهور هذا الصوت فجأة هو

محاولة عقلها تعويض غياب سنقر الذي اعتادت أخذ توجيهاتها منه، لكنها قبل أن تتعمق بتلك الفكرة أكثر سمعت صوت أليكس يقول:

«ما الأمر؟»

هزت رأسها: «لا شيء، أنا فقط أصاب بالجنون يومًا بعد يوم» تنهدت مضيفة: «أصبح صوت أفكاري عالياً حتى بات من الصعب تجاهله».

ضحك أليكس بخفة مثيراً استغرابها قبل أن يقول: «أعتقد أن كونك هجينة لا يغير من واقع أنك عنقاء».

«ماذا تقصد؟» قالت بنبرة متسائلة فأجابها:

«ما تسمعينه ليس صوت أفكارك، بل صوت الطائر العنقي بداخلك».

فوضى

زمّت عينيها مسترجعةً كل ما كانت تسمعه من هذا الصوت الذي ظنت أنه مجرد صدىً لأفكارها لكن أليكس أكمل: «كيف تظنين أن العنق لا يقعونَ في الأخطاء بشكل شبه محتم؟ إنه العنقي بداخلهم الذي يقودهم لما هو صائب، من يقوم بحمايتهم وتحذيرهم من الخطر».

قالت بشرود: «لم أعلم ذلك».

«الآن وبما أنكِ تدركين هويته سيكون صوته أعلى، يقودك ويوجهك لما هو صحيح، كل ما عليكِ فعله هو الإنصات» أكمل مفكراً: «بالنسبة لي كان من المستحيل تجاهل تعليمات ذلك الصوت، لكن أنتِ مختلفة، ربما تحملين حرية قراراتك لأنكِ هجينة».

وبينما كانت تستمع لشرح أليكس سمعت الصوت مرة أخرى يردد: «عليكِ إخباره» كان الصوت واضحاً الآن بعد أن فهمت مصدره، أكثر حدة وأكثر تطلباً لأن تُنفذ توجيهاته، عقدت حاجبيها محاولةً التركيز مع الذي أمامها لكن الصوت قال بحزم: «حرريه!»

انتفض جسدها فقالت بكلمات متسارعة: «أليكس عليّ إخبارك بأمر ما».

كان أليكس ينظر لخارج الشرفة ببال مشغول فالتفت إليها سائلاً: «هل يحتمل التأجيل؟» شعرت بجسدها يسترخي قليلاً كونه من يريد تأجيل الأمر، سكن قلبها لوهلة لكنه عندما أكمل أعاد لها

اضطرابها: «هناك من تدينين له بتفسير» التفت للشرفة مرة أخرى: «إنه بالأسفل.... رو».

حرك الاسم بداخلها أمراً ظنت أنها استطاعت التخلي عنه، ألا وهو إحساسها بالمسؤولية تجاه رو، مشاعرها التي تقودها لحمايته والاعتناء به توهجت بداخلها فجأة بعد أن خملت لوقت طويل، مما دفعها للنهوض مسرعة، توجهت لخارج الشرفة باحثةً بعينيها حتى وجدته، جالساً على أحد أطراف دكة بنيت كمنصة للقادة وقت إلقاء خطاباتهم على الجنود، كان يجلس وحيداً بينما اعتلى الاكتئاب ملامح وجهه.

انتقلت كيارا من مكانها لفوق الدكة خلف رو. التفت للخلف بهدوء عندما سمع قدوم أحدهم، ظن أنها آيريس لكنه ما أن وقعت عيناه على قدمي كيارا حتى تعرف على هالتها، مع أنها كانت مختلفة كثيراً عما مضى، حدق بقدميها للحظة ثم أعاد نظراته للأمام دون قول شيء، بينما تقدمت هي ببطء وجلست على مسافة قريبة منه، تفحصت ملامحه بينما آثر الآخر الصمت. مضت عدة لحظات لم تجد فيها كيارا ما تقوله.

تنهد ثم قال مصرحاً بنبرة منهكة: «لقد نبذتني» لكنها لم تجبه فتابع: «دفعتني بعيداً».

«غير صحيح» قالت متسرعة ثم صححت نفسها: «نسبيّاً».



التفت لها ونظر لعينيها بعد فترة طويلة من الافتراق، ثم قال: «نسبياً؟»

أخذت نفساً عميقاً قبل أن تفسر مقصدها: «ظاهرياً قمت بنبذك ودفعك» زفرت أنفاسها قائلةً بنبرة حنون: «لكن كل ما أردته هو حمايتك».

قال ببرود معيداً نظراته للأمام: «ألا تظنين أنني أستطيع حماية نفسي؟»

«بلى، تستطيع ذلك» أجابت سؤاله ثم بررت أكثر: «لا أريدك أن تضطر إلى ذلك».

ضحك ضحكة مكتومة ساخرة قبل أن يقول: «لم أعلم أن ذلك الاختيار من حقك».

عقدت حاجبيها وقالت: «لم تملك أنت حرية ذلك القرار!» لوحت بيدها في المسافة التي تفصلهما: «العلاقة التي تربطنا تمنعك من التفكير بنفسك».

سأل متهكماً: «لذا أعطيت لنفسك تلك الحرية؟»

قالت بانفعال: «ما بك؟ لم لا تفهم أن كل ما أردته هو حمايتك؟ إبعادك عن أمر أنت لا تستطيع الابتعاد عنه بإرادتك!»

حينها انفجر رو غاضباً وصاح بها: «ذلك الاختيار ليس ملكاً لك!!! لقد حرمتني حق الاختيار باختيارك ما ظننتِ أنه الصواب»

زم شفتيه محاولاً منع نفسه من إخراج بقية أفكاره لكن ذلك الحاجز لم يصمد طويلاً فاستكمل بغصة: «لطالما كنت منبوذاً... من إستل.. من العشيرة.. من السحرة!.. وقد تقبلت ذلك الواقع لوقت طويل» نظر لها وأكمل بأنفاس مضطربة: «لكن أن يأتي الأمر منكِ!!....»

فتحت فمها لكنها لم تجد ما تقوله بينما ترددت كلماته داخل رأسها، لتدرك أنها فعلت برو الشيء نفسه الذي فعلته بأليكس، فكرت بمشاعرها دون أن تضع مشاعر رو بالحسبان، هل كانت حمايته أهم من مشاعره! تضاربت أفكارها داخل رأسها قبل أن تسمع ذلك الصوت يتحدث مرة أخرى:

«الاختيار... حقه».

دفعت جسدها للأمام للنزول من مكانها ثم وقفت أمام رو ووضعت كفيها على وجنتيه قائلة: «أنت محق، لقد حرمتك حق الاختيار» تابعت بنبرة مليئة بالعطف: «لا أستطيع تفسير ما فعلته إلا بقول إنك شخص مهم لدي، ومجرد التفكير بخسارتك....» توقفت غير قادرةٍ على إخراج الكلمات وقد صعُب عليها مجرد التفكير فيها، أخذت نفساً عميقاً وسألت: «لذا سأصحح فعلتي الآن» نظرت لعينيه بعمق: «رو، هل تريد إعادة الاتصال بيننا؟»

نظر لعينيها للحظات قبل أن يرفع يديه وينزل كفيها عن وجنتيه مجيباً: «لا».



حدقت بعينيه شاعرةً بلذعة الألم بعد أن انعكست الأدوار وأنه هو من يقوم بدفعها الآن، رغم أن ذلك ما كانت تريده؛ تحريره، ولحمايته، لكن قدوم الاعتراض منه مزق قلبها، تساءلت إن كان ذلك هو السبب في نبذها له، حتى لا يعرض عنها بنفسه، لتحمي مشاعرها من تخليه عنها، ووسط أفكارها المؤلمة والفوضوية أكمل رو:

«لتيقني أنني أفعل كل هذا بكامل إرادتي» رقّت عيناها بارتياح بينما أضاف: «لأنني أيقنت خلال الأشهر الفائتة أن ولائي لكِ لم يكن بسبب أنني طائر تحت خدمتك أبداً، بل لأنكِ آخر فرد من عائلةٍ أرفض التخلي عنها».

لطالما كانت كلمة العائلة تجلب معها الألم لكيارا أينما سمعتها، لكنها في هذه اللحظة فجرت بداخلها أنهاراً من السعادة والاطمئنان، ولذلك لم تشعر بجسدها حين اندفع باتجاه رو، ولم تفكر بردع ذراعيها عن الالتفاف حوله، ابتسم الآخر بارتياح ولف ذراعيه حولها ليشعر بالاتصال يعود بينهما، لكنه هذه المرة لم يكن اختيار أي منهما، ولم يكن الاتصال نفسه الذي ربطهما قبلاً، بل اتصالاً جديداً ومن نوع آخر لم يدرك كلاهما حدوثه.

«شكراً لعودتك» قال بصوت منخفض لتجيبه بالنبرة نفسها:

«شكراً لانتظار عودتي».

فصلت العناق بعد برهة فوجدت تعابيره ما زالت غير مرتاحة، وعندما همت بسؤاله عمّا يشغله سبقها هو بسؤاله:



«ما الذي ستفعلينه؟» نظرت له بحيرة بينما تابع حديثه: «تستمر المشكلات بالظهور والاشتباك بعضها ببعض، وكأن الحياة مصرة على تعقيد كل شيء».

عقدت كيارا حاجبيها باستغراب، فرغم أن ما قاله صحيح وأن الفوضى تحيط بها إلا أنها لم تشاركه تفاصيلها بعد، فرو لا يعلم عن أمر فانكا بعد أو ماضي أليكس، نظرت له متسائلةً ما إن أخبره أليكس بالحقيقة لكن ذلك لم يكن احتمالاً مرجحاً، لذا غلب على ظنها أنه يتحدث عن إستل.

سألت عائدةً للجلوس بجانبه على الدكة: «هل تقصد إستل؟»

صدرت عنه حينها تنهيدة عميقة أثقلتها همومه، ثم قال: «لم أظن أنني سأقول هذا، لكن الآن وبعد أن علمت أن هناك ما هو أسوأ... وجدت أن خوفنا من إستل كان أمراً مبالغاً في تقديره».

ضحكت كيارا ضحكة مكتومة ساخرة قبل أن تجيبه: «هذا صحيح» هزت رأسها بحنق مضيفة: «مللت الهرب والاحتراس في كل خطوة آخذها حذراً منها» نظرت أمامها مدركةً أن فكرة تسليم نفسها لإستل لم تعد مطروحة، وأنها الآن تريد القتال والمواجهة، رفعت نظراتها للسماء بترقب للمعركة التي ستحدث قريباً ثم تابعت: «باتت المواجهة قريبة، سينتهي كل شيء حينها».

التفت لها رو باندهاش ثم قال بشك: «مواجهة؟ هل تفكرين بالانضمام للمعركة؟»



قالت باستنكار: «أفكر!» ثم أضافت مؤكدة: «أنا حتماً سأكون هناك، سأنهي ما بدأته إستل».

«لكن..» بدأ رو لكن كيارا استوقفته:

«لن يتغير قراري أبداً» قالت ثم تذكرت صورته في كابوسها محتضراً على الأرض، سرت قشعريرة في جسدها فهزت رأسها لإخراج الصورة منه قبل أن تتذكر ما قاله قبل قليل فأردفت: «لكن ما الذي قصدته بأن هناك ما هو أسوأ؟»

تنهد بتكدر ثم قال: «دخولك لقائمة المحاكمة».

عقدت حاجبيها بعدم فهم وقبل أن تسأله تحدث الصوت بداخلها: «سيحاكمك أحد العنق لقتل السحرة في الغابة».

«أوه» قالت كيارا بإدراك لمعنى المحاكمة بعد أن تجمعت بعض قطع الأحجية بداخلها، قول أليكس إن العنق كالقضاة بين المخلوقات غير البشرية، بالإضافة لدرس الدخول للعقول وأنه إحدى طرق المحاكمة، كان الأمر منطقياً. ورغم أن فكرة خضوعها للمحاكمة أرهبتها إلا أنها لم تجد الرغبة لعدم الامتثال لها، مما قادها لإدراك أنها أرادت التطهر من ذنبها كذلك.

«ما يقلقني هو رد فعل أليكس» قال رو مباغتاً استسلامها للأمر «ستتعقد الأمور بالتأكيد».

قالت ساخرة: «أليكس من بين الجميع لن يقف في وجه عنقي».



«هل تصدقين ذلك؟» سأل باستغراب ثم ألحق بسؤال آخر: «هل سيقف أليكس مكتوف الأيدي بينما يشاهد محاكمة قد تنتهي بإعدامك؟» فتحت فمها لكنها لم تجد أي إجابة لسؤاله فتابع بإصرار: «لن يقف أي منا بلا حراك يا كيارا» التفت للأمام بحاجبين معقودين مضيفاً: «اتفاقية العدل عقدت كل شيء، قد يتعرض أليكس للمحاكمة إن أخل بها في سبيل إيقاف محاكمتك».

سألت بعدم فهم: «ما الذي تقوله؟» التفت إليها رو ليجيبها لكن الصوت تحدث قبله فوضعت يدها على شفتيه لإيقافه عن الكلام قائلة: «انتظر لحظة» استمعت للصوت يفسر لها اتفاقية العدل وتبعاتها، بينما راقب رو ملامحها وهي تتحول من الشرود للهلع مستغرباً قبل أن تعيد نظراتها إليه قائلة: «لكني لا أفهم لم قد تُخل اتفاقية العدل بحمايتي؟»

أجابها رو موضحاً: «لأن سبارك هو العنقي الذي وقع أليكس معه اتفاقية العدل، وهو كذلك العنقي الذي انتقلتِ لقائمة محاكمته».

نظرت له بوجه شاحب للحظات عديدة، ظن رو أنها تحاول استيعاب الأمر لكن الواقع أنها تاهت وسط الفوضى التي ملأتها ولم تجد مخرجاً منها أو حلًّا لها، بينما استمر الصوت بداخلها بترديد الحل الذي كانت تتمنى لو استطاعت تأجيله لوقت أطول.





بعد لحظات من علم كيارا بالطريقة التي تعقدت بها كل الخيوط حولها، جلست برفقة رو إلى المائدة المعدة خصيصاً من أجلهما كونهما داخل مملكة لا يتغذى مواطنوها على غير الدماء.

انضم لهما وارويك بعد عدة دقائق قائلاً: «أرى أن الأمور عادت لنصابها معكما» ابتسمت كيارا باكتئاب وتبادلت النظرات مع رو لكن ابتسامتها المكسورة لم تدم عندما تابع وارويك: «هل صارحتِ أليكس كذلك؟»

أنزلت نظراتها للطبق أمامها بضيق قبل أن تقول: «ليس بعد».

قال باستغراب: «لم لا؟» هزت أكتافها بخفة فأردف: «هل تراجعتِ؟» هزت رأسها نفياً ليكمل بعدم فهم: «لم تؤجلين الأمر إذاً؟»

«ما الذي تؤجله؟» قال أليكس مقترباً منهم.

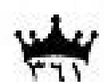
التفتت إليه ثم أعادت نظراتها لوارويك بذعر، تبادل معها النظرات لبرهة كادت كيارا أن تفقد عقلها خلالها، ثم هز رأسه مجيباً:

«أمر غير مهم».

وقف أليكس في مكانه ونقل نظراته بينهم والشك ينتابه ثم قال متجاهلاً الأمر: «كيارا جناحك جاهز».

نهضت من المائدة بارتباك: «لنذهب إذاً».

«أنهي طعامك أولاً» قال باستغراب من اضطرابها لكنها قالت سريعاً:



«لقد انتهيت».

نظر لطبقها شبه الممتلئ ثم أعاد نظراته لها، وقبل أن يستطيع قول أي شيء التفتت مبتعدةً عن المائدة. كانت قدماها تمشيان بين ممرات القصر بلا وجهة محددة، وكان هدفها الوحيد الابتعاد عن نظرات وارويك وإخفاء جبنها عليه.

شعرت بأصابع دافئة على ظهر كفها فتوقفت خطاها فجأة. التفتت ببطء بينما أمسك أليكس بيدها ناظراً لعينيها، لتدرك حينها أنها كانت تهرب منه كذلك، ليتسنى لها تأجيل الأمر قليلاً، لكن كل شيء تعقد بطريقة سيئة قادتها للنهاية الحتمية، وباتت تعلم أن لا مجال لتأخير الحقيقة أكثر.

قال أليكس بصوته الهادئ: «أنتِ في الاتجاه الخاطئ» ثم أشار برأسه ليساره: «من هنا».

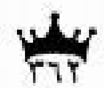
لحقت به محدقةً بأيديهما المتشابكة بينما كانت لا تستطيع سماع أي صوت عدا الذي بداخلها يقول:

«أخبريه بالحقيقة!»

توقفت خطوات أليكس معيدةً كيارا للواقع، نظرت له باستغراب فوجدت ابتسامةً فخوراً على وجهه قبل أن يقول:

«أرجو أن يعجبك الجناح».

ترك يدها لفتح الباب فشعرت بنفحات الهواء الباردة عليها مما



قادها لشد قبضتها، لكنها لم تستطع دفع الإحساس البارد الذي تسلل إليها، وقبل أن تحاول إخفاء تضايقها من الأمر تشتتت بالمكان أمامها، تقدمت ببطء للجناح الذي أشرف أليكس على تجهيزاته بنفسه، فقد حرص على أن يناسبها تماماً، ويشبه شخصيتها، ولم يخفَ ذلك على كيارا التي لاحظت الأمر فور دخولها.

كان الجناح واسعاً ويشرح الصدر، مضاء بواسطة مشاعل عتيقة تتوزع على الجدران، وتخلق شعلاتها القرمزية مزيجاً ساحراً مع ألوان الجناح لتبث شعوراً بالدفء والأمان، كما كان هناك عدة رفوف من خشب البلوط خصصها أليكس للكتب المتنوعة من أجل كيارا التي لاحظت أن كتب فانكا قد وُضعت بينها سلفاً، بالإضافة إلى فراش ذي تصميم دائري يتوسط الجناح وتحت قبّة السقف التي احتوت رسومات وزخارف جميلة وذات معنىً، لتحدق بها قبل نومها، وكان هناك شرفة وهي أكثر ما حرص عليها أليكس، بل ومن أجلها قرر تخصيص الجناح لكيارا، فقد كانت أكبر شرفة في القلعة وتطل على أروع منظر في كل المملكة، محمية إيماتيروس للحيوانات.

تأملت كيارا الجناح بانبهار قبل أن يثقل العبء كاهلها لأن أليكس أخذ من وقته الكثير حتى يجهز لها هذا المكان ليتسنى لها الارتياح فيه في الوقت نفسه الذي كانت تختبئ فيه عليهم في الكهف برفقة سنقر، ومن تلك الذكرى تذكرت ما بات يثقلها أكثر من الحرب الآتية، وهو سبب اختبائها والسر الذي تحاول البوح به بلا نجاح يذكر.



ثم لاحظت فستاناً فوق الفراش ظنت في بادئ الأمر أنه جزء من التطريز على غطاء السرير، نظرت للفستان ثم لأليكس منتظرةً توضيحاً منه فقال:

«انتشر خبر وصولك للمملكة، لذا من الأفضل تقديمك لهم».

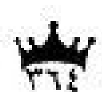
أعادت نظراتها للفستان بانجذاب ثم اختلطت تعابير وجهها بالاكتئاب المترتب عن السر المثقل لصدرها، لاحظ أليكس الضيق على وجهها وظن أن الفستان لم يعجبها فقال بلطف:

«يمكنكِ اختيار شيء آخر».

أعادت نظراتها إليه بينما توجه لباب آخر داخل الغرفة، وفور أن فتحه علمت أنه يخفي خزانة خلفه، لكن كلمة خزانة كانت غير وافية، فقد بدت كجناح آخر خصص للثياب والمجوهرات والأحذية.

تقدمت نحوه ووقفت بجانبه لبرهة قبل أن تخطو لداخل الخزانة مُتبعةً بأليكس الذي انتظر منها أي ردة فعل عدا الصمت. دارت حول نفسها بعينين متفحصتين للمكان ثم أغلقتها بقوة عندما أصبحت مقابلة لأليكس الذي فهم أن هناك أمراً ما.

فتحت عينيها ونظرت له باكتئاب، وبينما عدد الصوت بداخلها كل الأسباب التي تلزمها بإخباره بالحقيقة إلا أن قلبها كان يسبح عكس تيار المنطق بعناد شديد، ورغم أن كل سبب كان كفيلاً بإقناعها لكن الصوت أعطاها سبباً آخرَ لم تستطع البقاء واقفةً بعده:



«مصير شعب هذه المملكة متعلق بالحقيقة التي تخفينها!»

شعرت بقواها تخور وأحست بالوهن في قدميها فجلست ببطء على الأرض.

«كيارا» قال أليكس بقلق لكنها رفعت يدها لإيقافه عن التقدم أكثر.

نظرت لعينيه بحزن، فرغم أن مجرد بضع خطوات هي التي تفصلهما بعضهما عن بعض، كانت هناك عدة جبال تحول دون ذهابها له.

قال بضيق: «أنتِ لستِ بخير، ما الذي يثقل كاهلك؟» لمعت عيناها بدموع دفعتها للداخل بسرعة لكنه انتبه لها بسهولة فتابع: «من الذي سبب لكِ كل هذا الحزن؟»

كانت كلماته كعلامة تؤكد لها لم عليها إخباره بالحقيقة وتحريره، شكوكها السابقة في أن أليكس لن يقف في وجه عنقي من أجلها تبددت تماماً، وعلمت في تلك اللحظة أنه سيفعل أكثر من مجرد الوقوف في وجه أي شخص يحاول إيذاءها، اتسعت عيناها بعد أن رسمت لها مخيلتها صوراً لكل شيء سيسببه إخفاؤها لتأثير فانكا، صوراً جعلت كابوسها السابق يبدو وكأنه حلم جميل، أدركت حينها أن دفاع أليكس عنها يعني دفاع شعبه عنها كذلك.

حينها كرر لها الصوت أهم سبب لإخباره مرة أخرى: «مصير شعب هذه المملكة متعلق بالحقيقة التي تخفينها!»

وهكذا.. اتخذت قرارها ولتضمن عدم تراجعها عنه مرة أخرى وجدت أن الآن هو الوقت الأنسب، حسمت أمرها وأخذت نفساً عميقاً ألحقته بكلمات متسارعة: «فانكا ليس بشرياً!»

اعتراف

فتحت عينيها لتقابلها تعابير أليكس القلقة من وضعها المضطرب، انخفضت أكتافها بعد أن شعرت أنها منهكة من حمل السر فوقها لوقت أطول مما يجب، ثم تابعت موضحة:

«إنه ثعلب».

قال بعدم فهم: «ثعلب؟»

«ذو الأذيال التسعة!» قالت بنبرة أقرب إلى السؤال، فقد توقعت أن يكون أليكس ملماً بجميع المخلوقات الأسطورية لكنها شكّت في الأمر لوهلة لم تدم طويلاً.

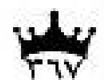
همهم رافعاً حاجبيه بتعجب قبل أن يقول: «أمر باهر».

ابتسمت بمرارة وأنزلت نظراتها للأرض قائلةً بصوت منخفض: «أجل، باهر».

قال ببرود: «ما الذي فعله؟»

رفعت نظراتها له من جديد وتمعنت بملامحه لوهلة ثم سألت: «لم تعتقد أنه فعل شيئاً؟»

«لقد تغيرت مشاعرك تجاهه» أجاب دون تغيير ملامحه المتجمدة ثم تابع: «فعل صاحب الكتب أمراً ما بعد خروجك من منزلي، أمراً غير نظرتك تجاهه» تنهدت كيارا بتهكم فأضاف: «يبدو أنني مصيب».



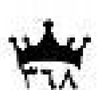
«جزئيّاً» قالت ثم أكملت موضحة: «فعل أمراً قبل ثمانية عشر عاماً، وأنا علمت به بعد خروجي من منزلك».

قال عاقداً حاجبيه بترقب: «وما هو هذا الأمر؟»

قبضت يديها في توتر فما ستفعله ليس مجرد مشاركة همومها معه، بل قطع التأثير الذي أبقى على العلاقة بينهما، وبرغم أن الصوت بداخلها يستمر بالتأكيد لها بضرورة إخباره، إلا أن قلبها ما زال معارضاً لها بشدة.

«حرري نفسك من هذا الحمل الثقيل» قال الصوت فتخيلت نفسها تبتعد عن أليكس وتفقد كل شعور تحمله بداخلها تجاهه، لكنها لم تصدق أيّاً من ذلك فكيف لمشاعرها التي تؤلمها لهذه الدرجة أن تختفي فحسب، ثم تخيلت أليكس يبتعد وينظر لها بطريقة مختلفة ويتحدث إليها بنبرة باردة غير التي اعتادت منه، فشعرت بقلبها يعتصر داخل صدرها حتى باتت فكرة الهرب من أمامه مغرية، لتجنب ما سيحدث، لكن الصوت داهمها: «أزيحي العبء عن صدرك وتعاملي مع الألم لاحقاً».

ومع كل تلك الصراعات الداخلية فتحت فمها لتنطلق الكلمات للخارج دون توقف، بداية من: «لقد كان لقاؤنا جزءاً من خطته...» استرسلت دون أخذ استراحة لالتقاط أنفاسها أو مسح دموعها التي بللت خديها، بقي أليكس واقفاً في مكانه يستمع إليها بتركيز وثبات محاولاً عدم التشتت بدموعها أو التحرك لمسحها عن وجنتيها



والتربيت على رأسها لتهدئتها، حكت له كل ما حدث دون ترك أدنى تفصيل حتى تستطيع إسقاط التأثير وعدم ترك أي شيء معلق بينهما.

«لكننا تحت تأثيره» أنهت كلماتها ثم أخذت نفساً عميقاً علق بصدرها عدة مرات فبدا كنشيجٍ لبكائها.

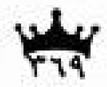
اقترب منها بهدوء بينما كانت ملامح وجهه باردة لدرجة آلمتها كثيراً، جلس على ركبته أمامها ثم رفع يده ومسح إحدى وجنتيها بظهر إصبعه قبل أن يتنهد قائلاً بارتياح:

«هل كان هذا هو سبب توترك؟» تبدلت تعابيرها من حزينة لمتحيرة فضحك ضحكة خافتة قبل أن يكمل: «كيارا» كان سماع اسمها بنبرته الهادئة مطمئناً لها لحد ما، لكن مخاوفها كانت أكبر من أن تختفي بسهولة، ومع ذلك شعرت ببعض الاطمئنان عندما أضاف: «الثعلب ذو الأذيال التسعة لا يملك هذا الكم من القوة».

تذكرت حينها أن وارويك قال الشيء نفسه كما أن الصوت ذكرها مؤنباً: «كذلك فانكا أخبرك بأنه لا يستطيع فرض الحب لكنك لا تصغين إلا لمشاعرك».

«إذاً...» قالت بعد برهة شاعرة بأن جميع أفكارها مشوشة «ما كان المغزى من تأثيره؟»

أجابها بعدم تيقن: «أعتقد أن ما فعله هو إزالة بعض العوائق حتى لا تشعري بأنني مصدر للخطر كوني مصاص دماء وغريزتك



قد تصدك عني، إن فكرت في الأمر أنتِ لم تكوني متحفظةً حولي إلا بسبب وقوعك المتكرر واصطدامك بي، عدا ذلك أنتِ لم تشعري بالخطر تجاهي» صمت مفكراً قليلاً ثم تابع بنبرة متسائلة: «أو ربما ليضمن أنني لن أرفض مساعدتك إن وقعتِ في خطر» ابتسم بجانب فمه قبل أن يكمل ممازحاً بصوته العذب: «لكنه لم يعلم أن سذاجتك جذبت انتباهي منذ أول مرة تقابلنا فيها».

برقت عيناها محدقةً به، تاركةً همومها التي كانت في غير محلها تُغسل من فوق أكتافها، لم تعلم كيف من الممكن أن يصل المرء لهذه الدرجة من السكينة وبهذه السرعة، بعد أن كانت المخاوف تعصف وترعد بداخله، لكنها في النهاية سمحت لنفسها بالاستمتاع بتلك الطمأنينة طالما أن لا شيء يردعها.

رفع حينها كلتا يديه واضعاً كفيه على خديها بينما مسح دموعها بأنامله برقة، وبادلها النظرات بابتسامة لطيفة، أخذت نفساً عميقاً عالمةً أن قرب يديه من أنفها سيمكنها من استنشاق رائحته التي تألفها وتطمئن لها.

رفع عينيه ونظر للثياب التي تحيط بها ثم أعاد نظراته لعينيها مردفاً: «ارتدي ما تريدينه، سأكون بانتظارك».

ثم نهض متوجهاً للخارج وأغلق باب الخزانة خلفه، وضعت كيارا يدها على قلبها المتنعم بالهدوء بعد وقت طويل من الزعزعة، قبل أن



تنهض وتجول بنظراتها على الثياب المعلقة حتى وقعت عيناها على قطع وجدت أنها مناسبة، تقدمت نحوها والتقطتها متمعنةً بها.

ملابس سوداء ضيقة مع معطف طويل بقلنسوة، ارتدتها سريعاً وخرجت من الخزانة لتجد أن أليكس يقف عند باب الشرفة، التفت إليها وتفرس بها للحظة قبل أن يبتسم قائلاً:

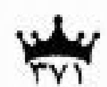
«لم أصب في ظني، لكنه يناسبك».

سألت مقتربةً منه: «وماذا ظننت أنني سأرتدي؟»

«لا يهم الآن، أريد أن أريكِ شيئاً» قال ثم أمسك بيدها وفتح باب الشرفة: «هذه الغرفة لديها أجمل إطلالة في المملكة».

تقدم نحو الشرفة الواسعة التي حملت طاولة إفطار صغيرة بمقعدين، لكنها كانت حينها خالية إلا من مزهرية صغيرة بداخلها وردة تباع شمس واحدة، توقفت ناظرةً للوردة باستغراب كونهم في مملكة تقع وسط جبال جليدية متجمدة، لا يمكن للنباتات كتباع الشمس العيش بها، تساءلت إن كان أليكس يكلف أحدهم بإحضارها كالطعام الذي يحضره خصيصاً لهم، حينها شعرت بقبضته تشتد حول يدها ليجذب انتباهها فالتفتت إليه، أشار برأسه في الاتجاه الآخر، ثم أكمل طريقه وكيارا من خلفه وصولاً لسور الشرفة التي أطلت على محمية تركت فمها مفغوراً.

علمت حينها من أين أتوا بالوردة، بل علمت من أين أتوا بالطعام



كذلك، محمية زجاجية شاسعة أمام عينيها، منظر جمالي لم يبد حقيقيّاً، بل بدت كقطعة من الجنة في وسط الثلوج، كالواحة وسط الصحراء، ملاذ جميل لا ينتمي لما حوله، لكنه بطريقة ما وُجِد في ذلك المكان.

محمية وُجدت بداخلها الطبيعة بردائها الأخضر، تسر كل من ينظر إليها وتشعره بالارتياح، ألوان متعددة بدت لكيارا من مكانها وأعلمتها أن المحمية تحمل بداخلها الكثير من الأزهار الجميلة، بل شوقتها لدخولها وملء رئتيها برائحتها الخلابة.

كان الجزء من المحمية الذي أطلت عليه شرفتها مبنيّاً من زجاج أملس مستوٍ، يمكنها من رؤية جزء مما بداخلها، ومع ذلك كان المنظر الذي يلي ذلك باهراً عمرانيّاً، فلم تتخيل أنه من الممكن بناء تلك الأشكال الهندسية بالزجاج.

نظرت لأليكس غير مصدقةٍ لما تراه: «كيف لهذا أن يكون حقيقيّاً؟»

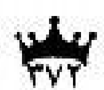
«الكثير من العمل» أجابها ثم هز كتفيه وأضاف: «وبعض السحر».

«هذا...» قالت عاجزةً عن التعبير.

قال مقترحاً: «آسر؟»

قالت بانبهار: «على أقل تقدير!»

التفت أليكس للخلف وكأنه سمع شيئاً ما ثم أعاد نظراته لها وأعلمها: «حان الوقت» التفتت إليه بعدم فهم فأكمل: «الشعب ينتظر».



شعرت بالتوتر يتسلل لها ببطء فلم تكن واثقة من مدى تقبلهم لها، فالمشكلة لم تنحصر في كونها ليست مصاصة دماء مثلهم فقط، بل في كونها هجينة كذلك، والأولى من نوعها.

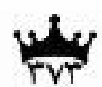
اكتفت حينها بالإيماء، فأمسك بيدها وقادها خارج الشرفة ثم خارج غرفتها حيث تقابلت مع زي وآيريس للمرة الأولى. انحنى الاثنان احتراماً لها فنظرت لهما ثم لأليكس بارتباك غير واثقة مما عليها فعله فلم ترد تكرير الخطأ المحرج الذي حدث مع كبيرة الخدم.

ابتسم أليكس للطافة ارتباكها ثم قال: «استريحا» استقاما في وقفتهما فتابع: «كيارا لا تحب مثل هذه الشكليات، لذا يمكنكما الاستغناء عنها حولها».

أومأ كلاهما فالتفت لكيارا بينما أشار بيده تجاه آيريس قائلاً: «هذه القائدة آيريس وهي من تتولى رئاسة الحرس الملكي، ستكون الحارسة الشخصية الخاصة بك» ثم وجه يده لزي قبل أن يكمل: «المارشال زينارد وهو المسؤول عن تدريبات الجنود حالياً لكنه سيعود ليكون حارسي الشخصي بعد انتهاء الحرب».

اضطربت نبضات كيارا لذكر الحرب الموشكة على الوصول فالتفت ثلاثتهم لها باستغراب مما زاد من اضطرابها، نظفت حنجرتها بإحراج وقالت محاولة إبعاد تركيزهم عنها:

«إذاً آيريس وزينارد».



تنهد زي تنهيدة خافتة لم تسمعها كيارا بينما التقطتها حاسة السمع لدى البقية بسهولة فصحح أليكس الاسم قائلاً:

«يمكنك مناداته بزي».

التفتت لزي وسألته: «هل تفضل ذلك؟»

لكن أليكس أجابها: «زي لا يحب التحدث كثيراً، لكنه سيجيب أي سؤال توجهينه له...»

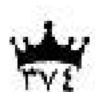
قاطعته كيارا متكهنة ببقية كلماته بنبرة عابثة: «لذا مراعاةً له، لا تقومي بإلقاء أسئلتك الكثيرة عليه؟»

ابتسم أليكس قبل أن يقول مدافعاً: «لم أكن لأضعها بهذا السياق» هز كتفيه مضيفاً بمزاح: «لكنها كلماتك».

ضربت كتفه بيدها ضاحكةً بلطف قبل أن تلتفت للحارسين أمامها لتلاحظ ابتسامة جانبية خاطفة مرت بشفتي زي، ثم انتبهت لعيني آيريس محدقةً بيد أليكس الممسكة بيدها بنظرات غير مرحبة، تفرست كيارا بها حتى أدركت الأخرى ذلك ورفعت عينيها لتقابلا عيني كيارا ثم تجنبتها فوراً.

التفتت لأليكس لكنه لم يزح عينيه عنها ليلاحظ ما لاحظته هي، وبينما حدقت بعينيه وجدت أنها لم تنس فقط ما حدث قبل قليل، بل نسيت كذلك أين كانت تقف ومع من.

«هل نذهب؟» قال أليكس بعد برهة معيداً كيارا من البعد الذي تاهت فيه.



أومأت له بصمت فقاد الطريق ممسكاً بيدها ومن خلفهما زي وآيريس، ساروا باتجاه الشرفة الملكية المطلة على الساحة الخارجية للقصر حيث تجمع شعب المملكة من أجل اللحظة المنتظرة، ألا وهي رؤية الملكة الأولى للمملكة.

كان وارويك ورو بانتظارهم وما أن تقابل الجميع حتى قال وارويك:

«هل يمكنني الخروج أولاً؟»

شخرت آيريس مستهزئة ثم قالت بهمس: «متفاخر».

التفت إليها وارويك بابتسامة جانبية رافعاً حاجبه بغرور، ثم رفع يده وتراقصت أصابعه بمرح قائلاً بنبرة ساحرة:

«أهلاً آيريس».

قلبت عينيها بامتعاض بينما هز أليكس رأسه باستسلام، ومع ذلك أشار بيده باتجاه الشرفة سامحاً له بالتقدم، فرقع وارويك لسانه بسعادة ثم انطلق بحماس وقابل الشعب بذراعين مفتوحتين فهتف الجميع للقاء أحد مؤسسي المملكة، لوح لهم منتشياً بالطريقة التي يمجدونه بها ثم أشار لهم ليخفضوا أصواتهم بعد برهة، نظف حنجرته وقال:

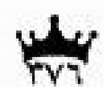
«شعب إيماتيروس العزيز، أعلم أن لا سعادة ستضاهي سعادتكم لرؤيتي» صدحت أصوات الضحكات مختلطة بصوت ضحكته قبل أن يكمل بصوت رزين: «على أي حال، رحبوا بالملك والملكة!»

عندها تقدم أليكس موثقاً قبضته حول يد كيارا ليرسل لها بعض الراحة، فقد لاحظ توترها الذي حاربت نفسها لإخفائه، شعرت بالاطمئنان وسكن قلبها المهتاج لكن ذلك لم يدم طويلاً عندما عاد لها الاضطراب بغتة.

فما أن أطل كلاهما من الشرفة الملكية حتى عم الهدوء المفاجئ، أغلقت كيارا عينيها محاولة الصمود في مكانها وإبقاء قدميها واقفتين، كانت ردة الفعل التي تخيلتها أسوأ من هذا، فالغضب وأصوات الاستهجان التي رسمتها مخيلتها بالتأكيد أكثر إذلالاً، ومع ذلك أثقلها الصمت الذي لاح في الأجواء.

أُخذ الشعب على حين غرة، فقد كانت حقيقة أن كيارا ليست من بني جنسهم مفاجأة لهم، لكنهم تداركوا الأمر بعد لحظة قصيرة لم يشعر بطولها إلا كيارا التي كانت تتعذب من الداخل وأليكس الذي كان على وشك الانفجار في وجوه كل من كان في أرض مملكته حينها.

لكن لحسن الحظ لم يدم الصمت طويلاً قبل أن تعلو الهتافات والتراحيب مرة أخرى، تنفست كيارا الصعداء وابتسم أليكس حين رأى الارتياح وقد عاد لها، شد قبضته حول يدها بخفة قبل أن يتركها متوجهاً لمقدمة الشرفة ليبدأ بإلقاء خطابه، بينما كانت الأخرى تتأمله من الخلف بافتتان دون الاستماع لأي مما يقول، وكزها رو من جانبها فالتفتت إليه عائدة لوعيها، أخفت إحراجها سريعاً وأعادت نظراتها مرة أخرى لأليكس الذي كان يقول بصوت جهوري أجش:



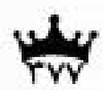
«.... يستخدمون الملكة كعذر لتغطية نيتهم الحقيقية، حان الوقت لنثبت لهم أن إسقاطنا لحكم السحرة لم يكن ضربة حظ» بدأ الشعب بالهتاف حينها بحماس وروح قتالية، أكمل أليكس بصوت أكثر ارتفاعاً: «حان الوقت لنريهم من هي مملكة إيماتيروس!!» فتعالت الصيحات والهتافات باسم الملك والمملكة.

بعد انتهاء الخطاب أخذ أليكس كيارا في جولة حول المملكة، بينما لحق وارويك بآيريس في الأرجاء مستمتعاً بالطريقة التي تُستفز بها بسهولة، ومدركاً أنه الوحيد الذي يحمل هذا التأثير عليها.

ثم أنهى أليكس الجولة سريعاً عندما لاحظ أن تضايق كيارا كان في تزايد مقلق، رغم أنها حاولت بذل ما في وسعها لرسم ابتسامة مشرقة ومصافحة كل من مرت بجانبه، سألها عن السبب عند عودتهما للقصر لكنها تجنبت الإجابة وفي النهاية استأذنت للذهاب لجناحها بعد يومها الطويل، فرافقها لباب جناحها ثم تركها بعد أن تحقق أنها استلقت على فراشها لنيل قسط من الراحة.

أغلق الباب والتفت ناظراً لآيريس الواقفة بجانبه بنظرة جادة فهمت مغزاها وأومأت له استجابةً لأمره، ثم توجه لغرفة الاجتماعات حيث وجد وارويك يتفحص الخرائط المفرودة على الطاولة.

«علينا أن نتحدث» قال وارويك فأومأ له أليكس ليردف مكملاً: «كيف تسير الترتيبات؟»



أجابه على عجل: «بشكل جيد» ثم قال بفضول: «والآن أخبرني، كيف وجدتها؟»

قال ناظراً لأليكس: «وجدت جنية في الغابة وشككت أنها تخفي أمراً ما» تجنب ذكر فراشات الميستِكو لكونها أحد الأسرار البالغة الأهمية للجن، وعلمه بها من أكبر المخاطر التي قد تودي بحياته، ثم أضاف بتحفظ ليرى إن كانت كيارا قد أخبرته بالحقيقة أم لا: «وهي بدورها قادتني للمدعو فانكا الذي أوصلني لكيارا».

قال أليكس بنبرة غير مرحبة: «آه، الثعلب».

قال واررويك بارتياح: «أخبرتك إذاً» ثم أردف بشفقة: «لقد كان الأمر يعذبها لفترة طويلة، من الجيد أنها صارحتك».

قال أليكس بارتياب: «هل أنت واثق من أنه رسولٌ للسلام؟»

أومأ واررويك: «واثق تماماً، فقد شعرت بتأثيره» ضاقت عيناه قبل أن يردف: «لماذا تشك بأمره؟»

أجابه أليكس: «أنا فقط لا أفهم لم يقوم بمساعدتها، الثعلب ذو الأذيال التسعة لا يبقى في مكان واحد لوقت طويل، بل يتنقل حول العالم لإحداث السلام».

قاطعه واررويك مصفياً شكوك صديقه: «لقد شهد على حب والديها» نظر له أليكس بتعجب فأكمل مبتسماً بأسىً: «لم يستطع إنقاذهما من العشيرة لكنه يلبي آخر طلب لوالدتها بحمايتها».



طُرق حينها الباب فقال أليكس: «ادخل».

أطل رو برأسه بتردد قبل أن يقول: «هل الأجواء صافية؟»

ابتسم أليكس مجيباً: «ادخل يا رو نحن نُطلع بعضنا بعضاً على ما فاتنا فقط».

لمع الفضول بعيني رو ودخل بخطوات مندفعة قائلاً: «أوه، عد للبداية، أنا أيضاً أريد أن أعرف كل شيء».

«اهدأ يا صغير، كنت في البداية» قال وارويك مبتسماً ثم أطلعه على ما فاته: «كنت أخبر أليكس عن فانكا صاحب الكتب وكيف اتضح أنه ثعلب بأذيال تسعة، يحاول حماية كيارا منذ وقت طويل».

عقد رو حاجبيه باستغراب قائلاً: «لم أخفت علينا ذلك؟»

«لم تكن تعلم حينها» أجابه وارويك ثم أردف: «لكنه كان يرسل لها مفاتيح الألغاز عن طريق لمحات من الماضي ظنت كيارا أنها كوابيس، وعندما شعرت بأن هناك ما يحاول إخبارها به خرجت من المنزل».

«إذاً هو من أخبرها بماضيّ كعنقي» قال أليكس فالتفت له رو متفاجئاً مما سمعه لكن كليهما لم يعطياه الوقت للتفاعل مع الخبر الجديد، فقد أومأ وارويك وقال مؤكداً:

«أخبرها بكل شيء كذلك، وبعد ما حدث في الغابة فضلت الاختباء لحماية الجميع».

قال رو متذكراً بنظرة متسائلة: «صحيح، أين كانت تختبئ؟»



«في أحد الكهوف» قال وارويك وبدا كأنه يصارع أمراً ما بداخله عندما نقل نظراته بين رو وأليكس، لكنه تحدث أخيراً بنبرة مشفقة: «لقد كان حالها مزرياً وبالياً، لا أعلم كيف تحملت العيش بتلك الطريقة البدائية كل ذلك الوقت، لم أتحمل النظر إليها لوقت طويل لكن المنظر حول الكهف كان أسوأ» زفر نفساً مثقلاً ثم نظر لأليكس مضيفاً: «شعرت أنني خذلتها عندما رأيتها في تلك الحالة» ضم يديه خلف ظهره وأكمل مسترسلاً: «على أي حال، نعلم الآن أنها ليست المختارة، وهذا ما ساعدها على الاختباء، كانت تتخفى بتعويذة ما وتتدرب على استخدام السحر».

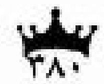
عم الصمت للحظات، كان أليكس متوشحاً ببروده الذي يخفي عادة غضبه خلفه، أما رو فبدا عليه الغيظ ظاهراً ولم يتعن إخفاءه فقال بضيق:

«لم تحملت كل ذلك وحدها؟ لماذا لم تعد إلينا لنساعدها؟»

«كانت تريد حمايتنا» أجابه وارويك بوجه متجهم ثم أردف: «ما أخبرتني به يفوق طاقة أي فتاة في عمرها، لكنها حملت الكثير من الحقائق على عاتقها، تحملت هي كل شيء حتى لا تضطر أنت لمواجهتها».

«أي حقائق؟» سأل رو غافلاً عن مقصد وارويك.

تبادل وارويك النظرات بقلق مع أليكس قبل أن يقرر أن عليه



إخباره، فقال بأسىً: «قتلت العشيرة والدك رونالد عندما علموا أنك طفل سومو» شحب وجه رو في صدمة بينما أكمل: «ثم قتلوا والدة كيارا بينما كانت والدتك تخبئها بالتعويذة التي كسرتها أنت».

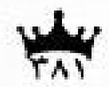
انتفض جسد أليكس حينها ملتفتاً لرو وانقشع البرود الذي أخفى مشاعره خلفه، رفع وارويك يده لإيقافه عما كان سيفعله ثم أردف: «ثم أعدموا والدتك لحماية كيارا وإخفائها عليهم».

تمالك أليكس غضبه أمام حالة رو المثيرة للشفقة، فقد كان يهتم له كأخ صغير، بالإضافة لكون كل ذلك من الماضي، أبعد نظراته عنه بعد أن شعر أن رؤيته للتعاسة في وجه ذلك الصغير لا تحتمل.

قال أليكس متذكراً: «ماذا عن العنقي؟» ثم أضاف مشككاً: «لا أصدق أنهم استطاعوا التخلص منه».

تنهد وارويك بثقل قبل أن يجيبه: «والدها قتل نفسه عندما ظن أنه خسر جميع أفراد عائلته».

تجهمت تعابير أليكس عالماً أن كيارا تحملت معرفة كل هذه المآسي وحدها، إضافةً للخوف على حياتها واحتمالية إصابتها بمصير عائلتها نفسه، شد قبضتيه بحنق ثم خفف عن نفسه بتذكر أن الحرب قادمة بعد أيام قليلة، ولن يوقفه عن الانتقام لها أي شيء وقتها، وبينما كان يتخيل مشاهد القتال التي قد تحصل والطرق العديدة التي يستطيع بها التخلص من تلك العشيرة التي سببت لهم كل هذه المصاعب؛ سمع صوت وارويك الذي أعاده للحاضر.



قال واريك بتحفظ: «رو!»

التفت أليكس ليلاحظ تعابير واريك الحذرة فالتفت لرو متسائلاً عما رآه فيه، كانت عينا رو تتوقدان غضباً بطريقة لم تكن من خصاله أبداً، بينما اشتعلت يداه بنيرانه القرمزية التي لم يستخدمها منذ وقت طويل، اقترب منه الاثنان بهدوء واحتراس لتهدئته لكنه قال قبل أن يصلا إليه:

«حان وقت استدعاء أبناء الغراب».



أنا هي الحرب

«حان وقت استدعاء أبناء الغراب» التفت باتجاه الباب مبتعداً عنها: «أعرف ما عليّ فعله» ثم تحول لغراب وطار عبر ممرات القصر حتى خرج منه.

التفت أليكس لوارويك بنظرات متعجبة فهز الآخر كتفيه كناية عن عدم معرفته.

«على أي حال» زفر واروبك بعد برهة والتفت للخرائط التي استلقت على الطاولة أمامها مكملاً: «ألن تطلعني على خططك للحرب؟»

«بلى» أجابه أليكس ووقف أمام الخرائط ثم التفت لواروبك وقال بنبرة جادة: «هناك بعض الفخاخ التي لن تنجح بدونك».

ألقى واروبك المزاح جانباً وبدأ بالاستماع والتخطيط مع أليكس تجهزاً للحرب.

كانت كيارا لا تزال مستلقية على فراشها منذ أن تركها أليكس، فلم تكن مرهقة أو بحاجة لبعض النوم كما أخبرته، بل أرادت الخلو بأفكارها لبعض الوقت، وسماع الصوت بداخلها علّها تجد حلًّا لأمر المحاكمة، فقد أصبح أمرها يؤرقها بعد أن شهدت ولاء الشعب للملك وانطلاقهم للحرب خلفه دون التشكيك بأسبابه.



كانت عيناها تتأملان الرسومات التي زخرفت السقف فوقها، لكن جميع أفكارها كانت تدور حول نقطة واحدة، ألا وهي طريقة لإيقاف المحاكمة كي لا يتحمل شعب مملكة إيماتيروس عواقب جريمتها، وبعد أن شعرت بالإرهاق من الدوران في حلقات مفرغة ونصائح مطولة من الصوت، وجدت أن الطريقة الصحيحة للتملص من هذه المعضلة ليست بإيقاف المحاكمة، بل بإيقاف أليكس عن التدخل بها.

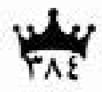
وما أن وصلت لهذا الاقتراح، حتى بدأت تخطط لخطة وطريقة مناسبتين لتنفيذه.

وأثناء انشغالها بالتفكير في الزمان المناسب، سمعت طرقاً خفيفاً على الباب، خمنت أن أليكس وحده من سيطرق بهذه الطريقة محاولاً عدم إزعاجها، فابتسمت دون أن تبعد نظراتها عن السقف، ثم قالت بصوت منخفض عالمةً أنه سيتمكن من سماعها:

«يمكنك الدخول».

وبعد لحظة انتبهت لاقترابه من فراشها بهدوء، التفت رأسها باتجاهه تلقائياً وحدقت به لوهلة قبل أن تزيح له مكاناً بجانبها فاستلقى هناك دون تردد، وبقي كلاهما في صمت مطبق وأنظارهما متجهة لرسومات السقف، بينما انشغلت أفكارهما بأمرين مختلفين.

قال أليكس بعد لحظات: «هل تسمحين لي بسؤال؟» همهمت موافقةً بشرود فطرح سؤاله: «لم أخفيتِ أمر الكوابيس؟» عقدت



حاجبيها بعدم فهم بينها أكمل: «ظننت أن كابوس البارحة كان أمراً عرضيّاً، لكن وارويك أخبرني بأن الكوابيس تراودك منذ أن أتيتِ لمنزلي».

«بل من قبل ذلك» صححت معلوماته ثم أكملت بنبرة متسائلة: «ربما كان أمراً غريزيّاً! فقد اختلف السبب من يوم لآخر، في البداية كُنت غير متيقنة ما إن كانت ثقتي بك في محلها، ثم وجدت أنني لا أريد أن أبدو كثيرة التذمر وبعدها خفت أن أثقل كاهلك بكل ما يحدث لي» سكتت قليلاً ثم تنهدت قائلة: «ليس لدي سبب محدد لكنني شعرت بأن عليّ إبقاء الأمر لنفسي».

صمت أليكس لوهلة ثم أخذ نفساً عميقاً قبل أن يقول: «هذه الأمور ليست غريبة على العنق» ضحك ضحكة مكتومة ثم أضاف: «مع أن الأمر أزعجني قليلاً إلا أن إخفاءك له كان الخيار الصحيح».

التفت إليها أخيراً فالتفتت هي كذلك، حدقت بعينيه لبرهة قبل أن تسأل: «الكوابيس شائعة بين العنق؟»

«بل رسائل روح العنقاء» قال مصححاً ثم أردف: «تأتي بأشكال مختلفة والأحلام أحدها، لا أعلم لم تأتيكِ بصورة كوابيس».

فكرت قليلاً ثم أجابت بصوت منخفض: «ربما لأنها متعلقة بي».

«ربما» قال هامساً ثم أعاد نظراته للسقف وأكمل: «رغم أن لدي خبرة طويلة كعنقي إلا أنني لا أستطيع تخمين أي شيء عندما يتعلق الأمر بك».



قالت بتهكم: «لأنني هجينة».

«بل الأولى من نوعك» قال ثم التفت لها وأضاف مبتسماً: «أنتِ مميزة».

بادلته كيارا الابتسامة ممتنة لمحاولته رفع معنوياتها لكن ذلك لم يخفف من كرهها لحقيقتها المشوهة، وبطبيعة أليكس، استطاع الرؤية خلال عينيها فأكمل:

«في الحقيقة أنتِ تشبهين العنق كثيراً».

قالت بلا اهتمام: «كيف ذلك؟»

«ألم تقولي إن إخفاءك للأمر كان غريزيّاً؟» قال مسترجعاً كلماتها ثم أضاف: «العنق تقودهم غريزتهم والصوت بداخلهم، وأنتِ تملكين كليهما».

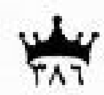
قالت بسخرية: «إذاً إخفائي لأمر الكوابيس جعل مني عنقية أكثر؟»

«صحيح» أجابها مؤكداً ثم وضح أكثر: «لأن مشاركتها قد تغير مجراها، لذا من الأفضل إبقاؤها سرّاً».

قالت مجاريةً له: «حسناً».

أدرك أليكس أن مزاجها قد تعكر فقفز من فوق الفراش وقال: «سأريكِ شيئاً يذهب عبوسك».

وقبل أن تعترض أمسك بيدها وسحبها من فوق فراشها، وما



أن وقفت حتى بدأ بالمضي إلى وجهته دون إخبارها بما ينتظرها، سار كلاهما خلال الأروقة والممرات داخل القصر حتى توقف أمام بوابة واسعة.

فُتحت البوابة الثقيلة لهما ببطء كاشفةً خلفها ممرّاً طويلاً، علمت كيارا من هيئته الزجاجية أنه سيقودها للمحمية التي رأتها سابقاً، تقدم أليكس وتبعته هي حتى وصلا لباب صغير في نهاية الممر فتحه بنفسه.

تقدمت خطوة واحدة وانخطفت أنفاسها، فقد كان الأمر وكأنّها دخلت إلى عالم آخر منفصل تماماً عن المملكة، فما رأته كان مساحات خضراء واسعة، أشجار تتراقص أوراقها مع الرياح، شجيرات ونباتات تدرجت في لونها الأخضر البديع وتنوعت في أشكالها.

كادت أن تُكذب عينيها عندما رأت البحيرة الزرقاء الصافية التي يشرب منها الحيوانات التي تعيش في المكان، وتفاجأت عندما رأت قطيعاً من الأبقار والخيول، وحتى الظباء، ثم ابتسمت عندما رأت مجموعة من الأرانب الظريفة تركض على العشب وتابعت تأملها للمحمية الزجاجية وهي منبهرة ومذهولة مما تراه.

كان هناك فتحات مخصصة لتتسلل منها الرياح الباردة على الرغم من أن المكان دافئ ومنعش، فأخبرها أليكس أن لديهم نظام تدفئة سحرياً يوازن برودة المناخ في الخارج مع الحرارة لتعيش الحيوانات وتنمو النباتات في بيئة مناسبة، وأخذ يشرح لها المزيد والمزيد حتى استطاعت أن تزفر أنفاسها أخيراً بابتسامة سعيدة خطفت قلبه وقالت:



«أحببتُ المكان يا أليكس».

بعد لحظات أتت آيريس وهمست بأمر ما في أذن أليكس فاستأذن كيارا بشكل مريب وخرج على عجل، التفتت لآيريس بنظرات متسائلة فأجابتها الأخرى فوراً:

«لا أستطيع إخبارك إلا بما يوافق عليه جلالة الملك».

شخرت كيارا بسخرية ثم قالت: «لا داعي للتحامق، أعلم أنكِ لا تحبين وجودي بجانبه».

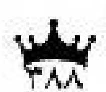
«صحيح» قالت آيريس بلا تردد، فنظرت لها كيارا بحاجب مرفوع لتسأل آيريس ببرود: «هل تتضمن مسؤولياتي حماية مشاعرك؟»

أمالت كيارا رأسها وأجابتها بابتسامة جانبية: «لا أظن ذلك» ثم أكملت بثقة: «لكن ما تفعلينه قد يعد تطاولاً، فمن أنتِ لتقرري من يقف بجانب الملك؟» تفرست في تعابير وجهها للحظات ثم أخذت نفساً عميقاً لتلتفت مكملةً رحلتها حول المحمية.

لحقت بها آيريس وسارت خلفها ببضع خطوات ثم قالت مصرحةً بعد لحظات: «لن أقوم بتملقك».

أجابتها بصوت أقل حدّة من قبل: «لا بأس، أنا لا أبحث عن المجاملات».

مشت كلتاهما للحظات حتى وجدت كيارا مقعداً خشبياً وبدأت بالتوجه نحوه، ورغم أن الموضوع لم يزعجها إلا أنها تطرقت له قائلة:



«هل تحبينه؟» لم تجب آيريس فأكملت موضحة: «أليكس.. هل تحبينه؟»

ابتسمت آيريس ابتسامة صغيرة بعد أن أدركت مقصدها ثم أخفتها بسرعة قبل أن تجيب: «أنا أحترمه».

«هكذا إذاً» قالت كيارا بتفهم ثم أردفت باستغراب: «إذاً لماذا تكرهين وجودي بجانبه؟»

«لأنني أحترمه» أجابتها ثم صمتت للحظات قبل أن تكمل: «جلالته يستحق شخصاً أفضل من جالبة للمشكلات».

حينها وصلت كيارا للمقعد وجلست عليه قائلة بعدم فهم: «جالبة للمشكلات؟»

وقفت آيريس جانب المقعد بعدة خطوات وقالت مبررة مقصدها: «لا يدخل مخلوق قائمة المحاكمة بلا سبب» ترددت لبرهة ثم أضافت: «وأظن أنه نفسه السبب الذي أشعل حرباً كانت فاترة لسنوات طويلة».

تنهدت كيارا ناظرةً للسماء عبر الأسقف الزجاجية وقالت: «أنا أتفق معك» رفعت آيريس حاجبيها فلم تتوقع سماع ذلك بينما أكملت الأخرى: «لكن ذلك سينتهي في ساحة المعركة عندما أقتل المرأة التي بدأت كل هذا».

قالت آيريس بعدم تصديق: «ساحة المعركة؟»



«أجل» أجابتها كيارا فقالت باستنكار:

«كيف تنزل ملكة لساحة المعركة؟»

التفتت لها كيارا باستنكار مماثل: «هل تختبئ الملكة خلف شعبها؟»

التفتت آيريس بكامل جسدها وقالت: «أجل، خسائر الشعب غير مهمة مقارنة بخسارة الملكة».

وقفت كيارا وقالت بجدية: «كل فرد في هذه المملكة مهم» اقتربت منها قليلاً وأكملت: «وكل خسارة ستكون على عاتقي أنا، لذا سأبذل ما بوسعي لمنع ذلك من الحدوث».

تبادلت كلتاهما النظرات، حيث حملت عينا كيارا العزيمة بينما حملت خاصتا آيريس صدمتها مما سمعته قبل أن تلتفت باتجاه الأشجار في احتراز، قفزت أمام كيارا لحمايتها ووقفت بوضعية متأهبة للهجوم ثم قالت:

«أظهر نفسك!!»

رمقت كيارا الأشجار للحظة قبل أن تظهر تريشا من إحداها.

«تريشا!» قالت كيارا باستغراب وتقدمت باتجاهها وآيريس تسير خلفها بتحفظ، ثم احتضنت كيارا تريشا قائلة: «ما الذي تفعلينه هنا؟»

قالت تريشا بوجه مضطرب: «أتيت لتحذيرك».

عادت كيارا خطوة للوراء قبل أن تسأل: «بأي شأن؟»

«الأشجار تتحدث» بدأت تريشا بنبرة قلقة ثم استرسلت: «السحرة

يحتشدون بشكل متواصل ويتدربون في الغابات، بات الجميع يعلمون بالحرب القادمة، ويتكهنون بخسارتكم، أتمنى لو أستطيع المساعدة لكن...» ترددت في إخراج ما بجعبتها فقالت كيارا:

«تريشا... هل أنتِ بخير؟»

«أجل» أجابتها ثم بدأت بإخبارها بما يثقلها: «مساعدتي لفانكا قد تم الموافقة عليها من ملك مملكة الجن منذ ثمانية عشر عاماً، لذا حمايتي لك طوال سنواتك بريفر ريتش كانت شرعية، لكنها كانت مشروطة بقدرتك على الدفاع عن نفسك، والآن بما أنكِ لا تحتاجين الحماية لم يعد بإمكاني مساعدتك».

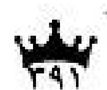
قالت كيارا بامتنان: «أهذا ما يزعجك؟ عدم قدرتك على الانضمام للحرب؟»

«بل عدم قدرتي على حمايتك» قالت مصححة ثم أكملت: «قوانين مملكتنا صارمة عندما يتعلق الأمر بالحروب والتدخل بها، والعقوبات شديدة لمن يخالف ذلك».

قالت كيارا بصرامة: «إذاً عليكِ البقاء خارج الأمر».

قالت تريشا بنبرة حانية مقتربة من كيارا: «كيف لي أن أتجنب حرباً أنتِ فيها؟» وضعت كفها على وجنة كيارا ومسحت بلطف مردفة: «بعد أن أبقيتك آمنة لثمانية عشر عاماً».

تنهدت كيارا ثم ابتسمت مجيبة: «لهذا السبب عليكِ الالتزام



بالقوانين» أمسكت بيد تريشا وأنزلتها لصدرها قبل أن تحتضنها متابعة: «حتى أستطيع العودة إليكِ بعد انتهاء كل شيء».

أومأت تريشا على مضض وقالت بعد برهة: «أرسلني فانكا لتنفيذ آخر مهمة لي» أرعت كيارا انتباهها لها فأكملت: «فانكا يقول لكِ ألا تنسي أن اختيار الوقت المناسب لكشف الحقيقة هو السبيل للخلاص».

تذكرت حينها كيارا ما قاله عن كشف حقيقتها سابقاً، أومأت مدركة مقصده أخيراً فتراجعت تريشا عدة خطوات للوراء قبل أن تلج لإحدى الأشجار، التفتت كيارا لآيريس شاعرة بمدى ثقل الواقع، انتبهت الأخرى لكمية الاهتمام الذي تحمله ملكتها بعد أن ظنت أنها ليست سوى كائن أناني يبحث عن الحماية في أي مكان، وقبل أن تكسر أي منهما ذلك الاتصال بين النظرات اقترب منهما جندي ذو شعر أشقر اللون وعينين بزرقة السماء، انحنى احتراماً لكيارا ثم قال لآيريس:

«المارشال زينارد يبحث عنك».

تأملت كيارا جسده الضئيل قبل أن تقول بتعجب: «أنت جندي؟»

ابتسم بوجهه البريء وأومأ بحماس قائلاً: «أجل جلالتك».

قالت آيريس: «بسبب الوقت الضيق قمنا بتجنيد جميع المتدربين وقبول كل من يتقدم لصفوف القتال».

تذكرت كيارا من رأتهم في جولتها السابقة في المملكة وكيف



أخبروها برغبتهم في الانضمام للجنود بروح قتالية، لكنها لم تفكر في الأمر كثيراً فقالت باستنكار:

«لكن بعضهم مجرد مواطنين».

«لا فرق بين الجنود والمواطنين العاديين» قالت آيريس ثم التفتت للجندي وأكملت: «لا تجعلي بنية ليون الصغيرة تضللك فهو مقاتل ماهر».

التفتت كيارا له وقالت بابتسامة كئيبة: «اسمك ليون إذاً؟»

حك ليون مؤخرة رأسه بإحراج وقال متلعثماً: «أ.. أجل جلالتك».

أمرته حينها آيريس بالانصراف واستأذنت لتلحق به لكن كيارا أمسكت بيدها وانتقلت للباب المؤدي للمحمية، ثم طلبت منها أن تقودها لمكان أليكس، وبعد أن وصلت لباب القاعة الملكية أذنت لها بالذهاب.

فتح الحراس الباب لها فدخلت متفحصةً المكان بعينيها حتى انتبهت للعنقي ذي الشعر الأحمر الطويل، حدقت به لوهلة قصيرة ثم سمعت صوتاً دخيلاً داخل رأسها يقول:

«كيارا جرانت».

وقبل أن تعطي ردة فعل قال الصوت الخاص بها: «صحيح، لكن من أنت؟»

«سبارك» أجاب الصوت الدخيل ثم أضاف: «القائم على محاكمتك».



اضطربت نبضاتها في رهبة منه وحقيقة أنه القاضي الذي سيحكم على حياتها، لكن ما شتتها عن خوفها هو فهمها لما يحدث، أدركت أن الأصوات الداخلية للعنق تستطيع التخاطر فيما بينها، كمكالمة خاصة لا يسمعها غيرهم، أمر لم تقرأ عنه في كتاب العنقاء، وكأنه سر يحمله العنق بينهم.

وفيما استرسلت أفكارها في ذلك الاتجاه، تذكرت أن أليكس كان عنقياً فيما مضى، وأنه بالتأكيد يعلم عن هذه القدرة، التفتت إليه متسائلةً إن كان الصوت قد بقي بداخله بعد تحوله، وإن كان يستطيع سماعهم، لكن نظراته القلقة مما يدور بينها وبين سبارك أخبرتها بأن ذلك الجزء من عنقيته السابقة قد اختفى.

«كيارا» قال أليكس أخيراً عاقداً يديه خلف ظهره في محاولة لإخفاء عدم ارتياحه لهذا اللقاء: «ما الذي تفعلينه هنا؟»

«أبحث عنك» أجابت ببساطة لكن ذلك لم يخفف من اضطرابه.

حدقت بعينيه للحظات تبدو هادئة لمن ينظر لهم، لكن الحقيقة كانت أن أصوات أفكارهما عالية للغاية، مع أنها تدور حول الفكرة نفسها، فكل ما أراده أليكس هو إبعادها عن سبارك قدر المستطاع، ولم يدرك أن كيارا أرادت إبعاده هو عن سبارك كذلك، حينها لمعت برأسها الفكرة الأمثل لمنع أليكس من التدخل في المحاكمة وربما إيقاف الحرب، فقالت لأليكس:



«سأنتظرك في جناحك».

التفتت متجهة للخارج بينما قال الصوت داخلها لسبارك: «أريد مقابلتك على انفراد، في أقرب وقت ممكن».

فُتح الباب لتخرج كيارا وقبل أن يُغلق خلفها سمعت إجابة الصوت الدخيل الخاص بسبارك:

«انتظري استدعائي».

انتقلت كيارا لجناح أليكس وبقيت واقفة في مكانها للحظات انشغلت بها في رسم الخطط داخل رأسها ومشاورة الصوت في كل خطوة، وبعد أن شعرت بالتعب في ساقيها توجهت للمقعد المقارب للشرفة وجلست هناك، حيث جلس أليكس يروي لها عن ماضيه.

حدقت بفراشه لوهلة حتى دخل هو للجناح ووقف في منتصفه ناظراً لها بارتياب، كانت المقابلة التي حدثت سابقاً تدمر أعصابه فلم يعلم ما دار بينهما رغم قصر الوقت الذي حظيا به، أخذ نفساً عميقاً ثم توجه بهدوء للمقعد المقابل لها وجلس هناك بصمت، فأكملت تحديقها بفراشه بينما تفرس هو في تعابير وجهها الغامضة.

«هناك أمر يثير فضولي» قالت بعد لحظات فجهز نفسه لكل ما هو آتٍ وقال بترقب:

«ما هو؟»

«لم لديك سرير في حين أنك لا تنام؟» قالت بفضول مَحْض وكأن المملكة لا تنتظر حرباً بعد عدة أيام.

رمش أليكس بعينيه ببلادة عدة مرات قبل أن يتتبع نظراتها لفراشه قائلاً: «سرير؟»

«أجل» قالت مؤكدة ثم أردفت: «لطالما أثار السرير استغرابي، ظننت أن الذي في منزلك في ريفر ريتش أتى مع المنزل» أشارت للسرير أمامها: «لكن هذا من فعلكم».

التفتت إليه في انتظار إجابته فالتفت إليها ناظراً لها بعدم تصديق، ثم انفجر ضاحكاً.

قالت باستغراب: «ما المضحك؟» لكن استغرابها لم يدم طويلاً، فلم تستطع منع عينيها من تأمله بإعجاب.

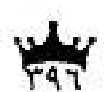
قال وسط ضحكاته: «لا يمكنني توقع ما يدور في رأسك أبداً».

ضحكت هي كذلك ثم قالت بانزعاج لطيف: «هل تستهزئ من فضولي؟»

«حسناً حسناً، سأتوقف» قال ثم أخذ نفساً عميقاً ليحبس ما تبقى بداخله من مزاح: «ما هو سؤالك تحديداً؟»

هزت رأسها باستسلام غير قادرة على قمع ابتسامتها ثم سألت: «لماذا تملكون أسرة؟»

لكن ابتسامتها تلاشت تماماً حين التفت إليها بحاجب مرفوع قائلاً بنبرة لعوب:



«ما ظنك؟» احمرت وجنتاها فأزاح وجهه عنها قبل أن ينظف حنجرته ويجيب سؤالها بجدية: «عند استخدامنا لقوانا لوقت طويل ترتفع نسبة الحرارة في أجسادنا» أشار للسرير بكلتا يديه «والاستلقاء هو أفضل طريقة لنزولها».

لكن كيارا لم تستطع تجاوز تلميحه السابق فوقفت من مكانها بارتباك قائلة: «آه فهمت الآن» ثم استطردت: «أريد أن أرى الترتيبات والخطط المعدة للحرب».

وقف حينها وقال مستغرباً: «لماذا؟»

«لأعرف أين سيكون موقعي، وما هو دوري من كل ذلك».

تجهم وجهه قبل أن يقول بنبرة حازمة: «لا يعقل أنكِ جادة بالانضمام للمعركة؟»

قالت بصرامة: «بلى، أنا جادة، ولن يردعني أي شيء عن ذلك» تذكرت ما قالته تريشا عن تزايد صفوف السحرة فأكملت بعزم: «لن أقف مكتوفة الأيدي بينما يتعرض البقية للقتل بدلاً عني».

قال منفعلاً: «كيارا!» ثم أغلق عينيه ليتمالك نفسه قبل أن يكمل محذراً: «أنتِ لا تعلمين ما سيقابلك هناك، أنتِ لم تخوضي أي معركة سابقاً، ما حدث في الغابة يوم هروبك لا يعد قتالاً ناهيك عن حرب ضارية» نظر لعينيها ووجد العزيمة والإصرار يتوقدان بداخلهما فعلم أن إقناعها بالعدول عن قرارها أمل لا طائل منه، فقال بنبرة أقل حدة:

«لقد خضت الكثير من المعارك والقتالات.. قد لا تتحملين وطأة الحرب يا كيارا».

قالت بصوت أقرب للهمس: «أنت مثل الجميع غير مدركٍ لواقع الأمر» ثم اقتربت منه بهدوء وأكملت ببطء: «أليكس... أنا هي الحرب!»

حضرت كيارا التدريبات برفقة الجميع في الساحة الجنوبية للقصر، لم تكن هذه الحرب الأولى بين مصاصي الدماء والسحرة، لذا كان أغلب الجنود على معرفة بما ينتظرهم، لكن واروِيك اضطر للتدخل في تدريبات الأفراد الجدد الغافلين تماماً عن كيفية قتال ساحر.

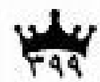
أمرهم بالتقسم إلى ثنائيات والتدرب فبدأ جنديان بالقتال أمامه بطريقة شرسة كما يفعل مصاصو الدماء عادةً، ثم بدأت الثنائيات الأخرى بالقتال كذلك، وبينما راقبت كيارا القتال العنيف بوَجَل، اقترب منها أليكس قائلاً:

«ما بك؟»

دفنت ذلك الإحساس بسرعة مغيرةً تعابير وجهها ثم قالت: «لا شيء».

هز أليكس رأسه بتهكم قبل أن يطمئنها: «أنتِ في صف مصاصي الدماء لذا لن تضطري للمواجهة الجسدية، لا تقلقي» التفتت إليه وبصيص الأمل يشع من عينيها مرة أخرى فتنهد مستسلماً ثم أردف: «كما أن السحرة لا يتقاتلون بهذه الطريقة العدوانية».

حينها سئم واروِيك مما يحدث فاستوقفهم قائلاً: «حسناً، هذا يكفي» أخذ نفساً عميقاً وعقد يديه خلفه ثم بدأ بالتجول بين الجنود وتلقينهم أساسيات القتال: «أسوأ خطأ قد تقترفونه في المعركة هو قتال



ساحر بالطريقة نفسها التي تقاتلون بها مصاص دماء» التفت لجنديين منهكين من قتالهما الخشن وقال: «عليكم التصرف بذكاء بدلاً عن الوحشية» رفع ثلاث أصابع ثم أضاف: «هناك ثلاث استراتيجيات عليكم معرفتها» رفع سبابته: «الأولى هي الدهاء، فعلى كل واحد منكم تقدير مدى قوة خصمه جيداً قبل مجابهته، فإن كان ساحراً عتيقاً فمن الأفضل عدم قتاله بشكل فردي» التفت حوله ليعمم كلامه: «ولا تدعوا كبرياءكم يعيق تقييمكم للموقف» ثم رفع إصبعه الأوسط مكملاً: «الاستراتيجية الثانية هي التشتيت، كلما ازداد تركيز الساحر كان هجومه أقوى، وبالتالي كلما تشتت تركيزه ضعفت هجمته أكثر».

وقتها شارك أليكس: «قد يمتلك السحرة قدرة التنقل، لكن مصاصي الدماء لديهم السرعة التي لا تستطيع العين المجردة إدراكها، وهذا سيكون سلاحنا الأول» اقترب من ليون ووضع يده على كتفه قائلاً: «حاول الهجوم على وارويك».

شعرت كيارا بالقلق تجاه الجندي الضئيل بينما كانت الروح القتالية تفيض منه، استخدم سرعته للاقتراب من وارويك لكنه قبل أن يصل لمنتصف المسافة الفاصلة بينهما استوقفته تعويذة دفعته للهواء، تشقلب ليون عدة مرات برشاقة ثم هبط على الأرض بخفة دون ضرر، وعندما حاول معاودة الهجوم رفع أليكس يده لإيقافه وقال:

«لو لم يكن هذا تدريباً لكنت في عداد الموتى الآن» التفت لوارويك وقال محدثاً جنوده: «والآن راقبوا».

ابتسم وارويك باستثارة قبل أن يختفي أليكس من أمامه، انتقل من مكان لآخر مستخدماً سرعته بينما وجه وارويك ضرباته كلما لمح ظلاً له، كان أليكس يتوقف بقربه مرة ثم يبتعد مرة أخرى ويعاود الأمر بعدها، وكأنه يدور حول وارويك بشكل عشوائي بينما يضرب الآخر تعويذاته في كل جهة.

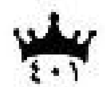
وأخيراً وقف خلفه دون أن يفصل بين جسديهما سوى بضعة إنشات، تنبه وارويك للموقف وعندما هم برفع يديه لتوجيه ضربة أمسك أليكس بكلتا يديه من الخلف، ضحك وارويك مدركاً خسارته بينما أكمل أليكس محدثاً الجنود:

«قد تبدو يدا الساحر هما مصدر قوته، لكن ذلك غير صحيح، يستطيع الساحر الهجوم حتى بعد قطع كلتا يديه» ثم ترك إحدى يدي وارويك وأمسك بعنقه مكملاً: «توجهوا للرأس دائماً، لكن لا داعي لقطعه بوحشية، فكسر الرقبة أسرع».

ثم عاد لمكانه ليواجه جميع جنوده وقال: «لا تجعلوا هجماتكم مباشرة، بل تلاعبوا بتحركاتكم حول خصمكم، فهذا سيقوم بتشتيته وبالتالي سيتردد بالهجوم إلى أن يستجمع تركيزه وإن لم يفعل ذلك فسيكون هجومه أضعف بالتأكيد».

ثم أومأ لوارويك بأن يكمل فتابع الآخر درسه قائلاً:

«الاستراتيجية الثالثة هي توقيت الهجوم» بدأ بالتوجه لمكانه



السابق بينما أكمل توجيهاته: «أفضل وقت للهجوم هو بعد هجوم الساحر مباشرةً، فتلك أضعف حالة يكون بها».

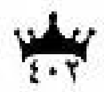
سأل ليون بقلق: «ماذا إن انتقل لمكان آخر بعد هجومه؟» ثم تذكر أمراً آخر فأكمل بذعر: «أو تخفى؟ ماذا لو تخفى الجيش بأكمله وقاموا بقتلنا دون أن نراهم؟»

أمال وارويك رأسه باستغراب ثم التفت لأليكس الذي ضحك بخفة لقلة خبرة ليون، أعاد وارويك نظراته لليون وفسر الأمر مردفاً:

«التخفي أو التنقل هو تعويذة بحد ذاته، لا يستطيع الساحر الهجوم إذا كان متخفياً لأن تركيزه منصب في إبقاء الغطاء قائماً» عندها انتقل وارويك من مكانه لجانب ليون مسلياً نفسه بارتباك الفتى قبل أن يكمل: «الشيء نفسه بالنسبة للتنقل، من الصعب الانتقال لمكان آخر بعد الهجوم مباشرةً، لأن الأمر يتطلب تركيزاً عالياً، فعلى الساحر أن يفكر بتعويذة الانتقال من جهة والمكان الذي يريد الانتقال له من جهة أخرى، والأمر أصعب في حالة الحرب فهو لا يعلم ما الذي ينتظره في المكان الذي سينتقل إليه».

أومأ ليون بتفهم ثم قال بنظرات متسائلة: «ماذا لو انتقلوا لداخل المملكة؟ ألن تكون العائلات في خطر؟»

تنهدت حينها كيارا بضيق ثم قالت: «لا يستطيع الساحر الانتقال لمكان لم يره من قبل» التفتت لأليكس وقالت بقلق: «كيف تسمح لفتى صغير مثله أن يشارك بالحرب؟»



أجابها أليكس دون الالتفات إليها: «لا يستطيع الملك منع شعبه من الاشتراك بمعركة سيشارك بها بنفسه، تلك ليست قوانين إيماتيروس» أدار وجهه قليلاً ونظر لها من طرف عينه: «لكن إن كانت لدي القدرة لمنع أي شخص من المشاركة في المعركة فسأختارك أنتِ».

تقدم حينها وأمر الجنود بالتدرب وفقاً لما سمعوه للتو، تقدمت آيريس أمام وارويك مقترحةً التدرب معه، كانت تأمل أن تتمكن من أن تكسر غروره وتُفحمه بالهزيمة كما فعل أليكس لكنها تفاجأت بمهارته العالية، ومع ذلك ما آثار غضبها ليس فوزه، بل هو تعليقه الساخر كلما خسرت أمامه.

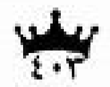
«افتحي عينيك جيداً» رددها واروبك على مسامعها كلما اقتربت من إصابته لتجد أنه استطاع إصابتها قبل أن تصل إليه، فتشتعل غيظاً من الداخل وتعاود المحاولة.

بينما انضمت كيارا للتدريبات واختارت ليون كشريك لها لكي تقيّم قدراته القتالية، وبعد عدة ساعات من رؤية ما هو قادر عليه شعرت بالقليل من الراحة، وتذكرت أن آيريس قد امتدحت مهاراته سابقاً.

قال ليون مشيراً لكيارا بالهجوم: «الآن دورك».

ترددت في توجيه هجومها تجاهه خوفاً من إصابته بضرر فلم تتعلم طريقة الهجوم الأليف بعد، اقترب منها رو حينها وقال:

«من الأفضل التدرب معي».



وأخذها مبتعداً عن بقية الجنود قليلاً وبدأ بالتدرب معها، راقبهما أليكس من مكانه بوجه بارد خالٍ من التعابير لبعض الوقت حتى اقترب منه واروبك وراقب تدريباتهما معه.

قال أليكس بعد وهلة: «يقلقني أنها ستكون الوحيدة ذات الهالة العنقية بالمعركة» التفت لواروبك مكملاً: «جزء من ذلك الجيش آتٍ من أجلها بالتحديد، سيكون تقفي أثرها سهلاً للغاية».

فكر واروبك قليلاً ثم انتقل لمكانهما بينما استمع أليكس لما يدور بينهم من مكانه.

قال واروبك لكيارا: «عليكِ التبديل بين قواك بشكل مستمر حتى يصعب تتبعك، ومن المفضل التقليل من استخدام قوى العنق قدر المستطاع».

احتجت شاعرةً بالتوتر: «لكنني تدربت على استخدام قوتي العنقية لوقت أطول».

تذكر واروبك حينها أمراً فقال باستغراب: «ألم تقولي إن ذلك الصقر قام بتعليمك بعض السحر باستراق النظر لعشيرة ما؟»

«أغلب ما تعلمته من سنقر كان من أجل الاختباء وحماية حياتي، ما تعلمته عن الهجوم يعد على الأصابع» قالت مفسرةً الأمر ثم أضافت: «كل ما أعرفه عن القتال تعلمته من أليكس، وباستخدام نار العنقاء، كيف لي ألا أستخدمها؟!»



«سأدربك قدر استطاعتي خلال الأيام القادمة» قال واروبك ثم صمت مفكراً لوهلة قبل أن يكمل: «وسأعلمك على أساليب تمويه خاصة بك لتجنب ملاحقتك».

وبعد عدة ساعات أخرى من التدريب أنهى أليكس اليوم بكلمات تحفيزية للجنود وأمرهم بالراحة ليكملوا تدريباتهم في اليوم التالي، ثم توجه لغرفة الاجتماعات مُلحقاً بزي لمناقشة الخطط المقترحة.

بينما وقفت آيريس خلف كيارا التي جلست إلى المائدة برفقة رو وواروبك، كان رو يفكر في أبناء الغراب وإن كان استدعاؤه لهم قد نجح، أما واروبك فقد كان شارد الذهن محاولاً رسم التمويه المثالي لحماية كيارا ممن سيحاول مطاردتها في ذلك اليوم، مما جعله يختنق أثناء طعامه ويسعل بشدة، تقدمت آيريس من موقعها وصفعت رأسه من الخلف حتى اصطدم بالطاولة، توقف السعال فرفع رأسه ونظر لها بصدمة بينما كان وجهه مغطىً بالحساء.

أمسك كل من رو وكيارا ضحكاتهما وأكملا الطعام بلا تعليق، عادت آيريس لمكانها ووقف واروبك تاركاً الطعام، وقف بجانبها وأومأ لها بامتنان لإنقاذه، ثم حدق بعينيها لوهلة قبل أن يمسح الحساء عن وجهه ويومئ مرة ثانية متوعداً بردها لها.

وبعد أن انتهوا جميعاً توجه رو لغرفته حتى يرتاح بعد التدريب المنهك، وانضم واروبك لأليكس في غرفة الاجتماعات، أما كيارا

فعادت لجناحها، وبعد أن استحمت وألقت بجسدها على السرير أتاها استدعاء سبارك الذي كانت تنتظره بفارغ الصبر.

في اليوم التالي بعد الإفطار أمسكت كيارا بيد آيريس وانزوت إلى مكان هادئ وقالت لها:

«أريد التحدث معك في أمر ما، هل المكان آمن؟»

زمّت آيريس عينيها ناظرةً لها بارتياب قبل أن تجيبها: «الممرات مليئة بالخدم، هناك أذن منصتة في كل أنحاء القصر».

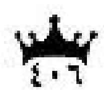
زفرت كيارا باستياء: «كل أنحاء القصر؟»

أومأت آيريس ثم قالت: «ما عدا جناحك وجناح الملك، لا يمر الخدم بالجناحين الملكيين أو بالقرب منهما إلا إن كانا فارغين» ثم هزت أكتافها بلا مبالاة مكملة: «للخصوصية الملكية».

شعرت كيارا بالإحراج لبرهة ثم هزت رأسها لكيلا تتشتت عن الموضوع الأساسي ثم قالت: «هذا مناسب».

أمسكت بيد آيريس مرة أخرى وانتقلت لجناحها، ثم تحولت ملامحها للجدية قبل أن تبدأ كلامها بصوت منخفض: «أريدك أن تنصتي جيداً في حال اقتراب أحدهم من هنا، فالأمر سري للغاية» أومأت آيريس فأكملت: «أريد منك أن تفعلي أمراً ما يوم المعركة».

تجهمت تعابير آيريس بينما أكملت كيارا كلامها، وبعد أن انتهت قالت الأخرى بنبرة مشحونة:



«ما تطلبينه قد يعد انقلاباً!»

أجابتها كيارا: «لا، ذلك غير صحيح، فكل ما أطلبه منكِ هو أن تكوني وسيلة تشتيت، لتعطيني وقتاً كافياً حتى أنفذ خطتي».

قالت آيريس باستنكار: «كيف لي أن أفعل ذلك بجلالة الملك؟»

«أنتِ لن تفعلي أي شيء للملك، سأتولى أمر أليكس بنفسي» أجابتها ثم وضعت يديها على كتفي آيريس وأكملت بهمس: «آيريس، فكري في الأمر جيداً، قد نتمكن من إيقاف الحرب» رفعت آيريس حاجبها بسخرية فتراجعت عن كلماتها قائلة: «قد نتمكن من تقليل الخسائر».

صمتت آيريس مفكرة في الأمر، وبعد أن قلّبت الفكرة داخل رأسها وجدت أن حماية المملكة وشعبها هو كل ما عملت من أجله طوال حياتها وإن كلفها ذلك منصبها أو حتى رقبتها، نظرت لعيني كيارا بعد أن حسمت أمرها وأومأت لها بالموافقة.

ابتسمت كيارا براحة وقالت: «والآن سأكرر لكِ ما عليكِ فعلـ...»

وضعت آيريس يدها على فم كيارا لتمنعها من الكلام، ثم جثت على ركبتيها بسرعة وقامت بحل عقدة حذاء التي أمامها، وقبل أن تعبر كيارا عن استغرابها طُرق باب الجناح مفسراً لها تصرفات آيريس الغريبة.

قالت كيارا بهدوء مصطنع: «ادخل».

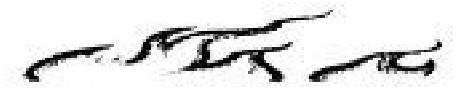
فُتح الباب وأطل أليكس من خلفه، نظر لآيريس نظرة خاطفة وهي تعقد الحذاء ثم قال موجهاً كلامه لكيارا التي أخفت توترها جيداً:

«مستعدة لتدريب اليوم؟»

أجابت بسرعة: «أجل».

كان أليكس يعلم أن إجابات كيارا المتسرعة تدل على ارتباكها أو إحراجها، ولأنه كان مشغول البال بالحرب القادمة رجح الاختيار الثاني ولم يفكر في الأمر كثيراً.

وقفت آيريس بعد انتهائها، فتقدم أليكس وأمسك بيد كيارا ليتوجها للساحة الجنوبية.



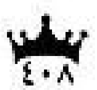
(قبل المعركة بيوم)

راقبت كيارا رو وليون وهما يتدربان، وبينما كان ليون يتجنب ضربات رو باحتراف ويشتته بتغيير مكانه بسرعة، التفتت لأليكس الواقف بجانبها وقالت بارتياح:

«ليون مقاتل ماهر!»

ابتسم أليكس ابتسامة جانبية وقال: «أعلم ذلك».

عقدت حاجبيها قائلة: «هل كنت تعلم منذ البداية؟ ألهذا سمحت له بالاشتراك؟»



هز رأسه مدعياً خيبته: «يؤلمني أنكِ ظننتِ أنني سأرسل فتىً ضعيفاً لأرض المعركة، هل نظرتك لي بهذا التدني؟»

أجابته ضاحكة بخفة: «لا» ثم زفرت تنهيدة عميقة وأكملت: «لكنني أعلم كم تهمك سلامتي، وكم ستضحي من أجل الحفاظ عليها».

حدق كل منهما بعيني الآخر لبرهة قبل أن يقترب أليكس ويلف ذراعه حول كتفها ليعيدا نظراتهما للجنود، حينها سمعا زمجرة آيريس الغاضبة فالتفتا باتجاه الصوت حيث كان وارويك يضحك قائلاً:

«كم مرة سأقولها لكِ في يوم واحد؟» ثم أكمل بنبرته اللعوب: «افتحي عينيك جيداً!»

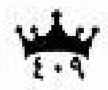
فصدرت عنها زمجرة أقوى من سابقتها، حدقت بهما كيارا لبرهة بحاجبين معقودين قبل أن تقول لأليكس:

«هل آيريس سريعة الغضب عادةً؟» التفتت له بنظرات متسائلة: «ظننت أنها هادئة ورزينة، لكنني كلما رأيتها تتدرب وجدتها منفعلة».

ضحك أليكس ضحكة مكتومة قبل أن يجيبها: «ظنك في محله، فهي دائماً هادئة، لكن وارويك وحده لديه هذا النوع من التأثير عليها».

أعادت نظراتها لهما قائلة: «إذاً ليس التدريب ما يجعلها بتلك الطريقة، بل وارويك!»

قال مسترجعاً ذكرياته: «لطالما كانت علاقتهما هكذا، تصبح آيريس مشوشة حالما تراه بينما يحاول وارويك استفزازها دائماً».



همهمت كيارا في الوقت الذي خسرت فيه آيريس مرة أخرى وعندما همت بمعاودة الهجوم اقترب زي وبادر بمهاجمتها لتتدرب معه، انشغلت آيريس بصد هجومه بينما زم وارويك شفتيه بامتعاض وابتعد عنهما ليقف بجانب كيارا وأليكس متذمراً:

«لم يقاطعنا ذلك الصامت كلما بدأنا بالاستمتاع معاً؟»

نظرت له كيارا بدهشة وقالت: «أي جزء من زمجرة آيريس استدللت به على استمتاعها!!»

قال لها أليكس بنبرة عابثة: «اتركيه وشأنه، ألا ترين أنه يغار؟»

«يستطيع الأعمى رؤية ذلك» قالت ضاحكة ثم أضافت: «لكن الأعمى نفسه يرى أنه يدفعها لكرهه أكثر كلما قام بهزيمتها».

تنهد وارويك وقال: «لو كانت هذه التدريبات لمجرد المتعة لكنت تركتها تفوز».

اختفى المزاح من عيني كيارا عندما وجدت القلق مرتسماً على وجه وارويك فقالت: «إذاً أنت تحاول حمايتها بالفوز عليها» أومأ لها فالتفتت ناظرةً لآيريس التي انهمكت بالتدرب مع زي.

قال أليكس بعد برهة: «زي كذلك يحاول حمايتها» التفت له وارويك بينما أكمل: «لو لم أتعرف عليه خلال الأشهر الفائتة لظننت أنه يحاول التفريق بينكما، لكنه يريد تدريبها فحسب».

التفت أليكس لكيارا ليجد نظراتها القلقة لآيريس، لاحظ اختلاف



العلاقة بينهما خلال الأيام القصيرة الماضية، فبعد أن كانت علاقتهما رسمية أصبحت كيارا تهتم لأمرها بينما تكن آيريس لها الاحترام، علم أن هناك أمراً ما قد حدث، فقد أصبحت كيارا لا تذهب للمحمية إلا برفقتها وتمضي أغلب أوقاتها معها، وبعد أن كانت تقف آيريس خلف كيارا على مسافة قريبة أصبحت الآن تقف بجانبها وتمضي وقتها بداخل جناحها بدلاً من خارجه بجانب الباب.

ابتسم شاعراً بالراحة لتأقلم كيارا في المكان وتقربها من الجميع، قبل أن يعيد نظراته للأمام ليراقب ثلاثتهم التدريبات في صمت، وبعد مرور بعض الوقت ظهر زاجل أزرق أمام وارويك جاذباً انتباه الجميع، مد وارويك يده واستلم الرسالة التي اتضح له أنها من أخيه، وبعد أن قرأها أعلمهم بما فيها:

«يريد لقائي».

نبهه أليكس قائلاً: «لا تنسَ أن تمسح هالاتنا عنك قبل أن تقابله».

أومأ له وارويك وقبل أن يختفي التقت عيناه بعيني آيريس المتوجسة من الرسالة المفاجئة، شعر وكأنها تريد إخباره بأمر ما لكنها لم تفعل فابتسم لها بعبث لم يعكس ما بداخله، ثم اختفى منتقلاً لخارج المملكة، قام بمسح هالتهم ثم انتقل لغابات النور، وبالتحديد للمكان الذي انتظره به إدريفيار، مساحة عشبية صغيرة بين الأشجار.

لف وارويك نظراته حول المكان مسترجعاً اللقاءات اللا نهائية مع



أخويه في هذا المكان، فمنذ أن اكتشف أخوهم ماغوس تلك البقعة حتى أصبحت مقرهم السري، ومع أن وارويك كان صغيراً إلا أنه أتقن أول تعويذة حماية له حينها، ليبقى ذلك المكان بعيداً عن الأعين والآذان، سنوات طويلة حملت الكثير من الذكريات السعيدة قبل أن ينقلب كل شيء رأساً على عقب.

قال إدريفيار باشتياق: «وارويك» لكن وارويك اكتفى بإيماءة باردة، فتنهد إدريفيار ثم قال: «ألن تعود الأمور إلى نصابها بيننا؟»

قال وارويك متهكماً: «هل ستعود كالونيس من الموت؟»

تجهم وجه إدريفيار وقال بضيق: «ربما إن عاد ماغوس كذلك، أم أن أمره لا يهمك؟»

أجابه وارويك متضجراً: «لا قوة لي لتكرار النقاش نفسه معك».

التفت للذهاب لكن إدريفيار قال بنفاد صبر: «توقف يا وارويك، لننتهِ من هذا الأمر، ألم يتبدد غضبك بعد؟» التفت إليه وارويك وعيناه تشعان غضباً بينما أكمل الآخر: «لقد خسرت أخي كذلك وكنت غاضباً لوقت طويل لكنني قررت أن أتجاوز الأمر، لم لا تفعل المثل؟»

صاح وارويك بأخيه: «لأنني خسرت كل شيء!» ثم أكمل بنبرة مشحونة: «خسرت أخي، خسرت عائلتي.... وخسرت كالونيس» تنهد ثم قال بحسرة: «أخبرني يا إدريفيار، متى تجاوزت الأمر؟ بعد أن قابلت حب حياتك؟ أم بعد زواجك منها؟» صمت إدريفيار وقد أدرك مقصده بينما أضاف: «كم أصبح لديك من الأبناء؟»

«ثلاثة» أجابه ثم ردد أسماءهم: «دري، ويك، وماغ».

رقت عينا وارويك للحظة خاطفة متخيلاً أبناء أخيه الذين لم يرهم بعد، ضحك ضحكة مكتومة ثم قال: «لمسة لطيفة، أن تسميهم بأسمائنا».

قال إدريفيار بنبرة حانية: «لم أملك سبيلاً آخر، أنا أفتقد إخوتي بشدة».

شد وارويك قبضتيه محاولاً ردع مشاعره عن أن تفيض به، أخذ نفساً عميقاً ثم قال بهدوء: «زوجتك... من عائلة نقية ورفيعة، أليس كذلك؟»

أجابه إدريفيار بنبرة حائرة: «بلى».

سأله وارويك: «هل كنت ستتزوجها لو لم تكن من تلك العائلة؟»

أجاب بنظرات متسائلة: «ربما.... لا أعلم».

«ماذا لو لم تكن نقية؟» أكمل وارويك ففهم الآخر مقصده حينها وأجاب بنبرة قاطعة:

«لا! على السلالة أن تبقى نقية وإلا امتلأت العشيرة بالمهجنين».

ضحك وارويك بمرارة ثم قال بسخرية: «إذاً أنت لم تكن لتنظر باتجاهها أو تعطي لنفسك الفرصة للوقوع في حبها إلا إن ارتقت لمعاييرك الخاصة؟» أطلق تنهيدة متهكمة ثم نظر لعيني أخيه وقال بازدراء: «أنت تعيش حياة بائسة!»

قال إدريفيار باستنكار: «هل الحفاظ على نقاء العشيرة أمر سيء؟»

أجابه وارويك دون تردد: «أجل! إن وصل الأمر لإعدام شخص ذنبه الوحيد هو الوقوع في حب ساحر نقي فالحفاظ على النقاء أمر شنيع» هز رأسه مردفاً: «أرفض أن أكون شريكًا في ذلك».

ثم بدأ بالتراجع للخلف للخروج من ذلك المكان فاستوقفه إدريفيار قائلاً على عجل:

«جميع العشائر النقية مشاركة في الحرب» توقف وارويك ونظر لأخيه بتحفظ بينما أكمل: «وعشائر السحر الأسود كذلك، حتى السحرة المنشقون أتوا للانضمام، هذا أكبر تجمع للسحرة منذ عهد مورغان لو فاي».

قال وارويك بريبة: «لم تخبرني بهذا الأمر؟ تعلم أنني لن أنضم لكم».

«أجل، أعلم ذلك» أجابه ثم زفر أنفاساً مثقلة وأكمل: «لكنني أعلم أن الوريث الشرعي لمملكة إيباتيروس قد عاد لحكمها، وأتذكر جيداً أنك صديقه الوفي».

فهم وارويك حينها سبب لقاء إدريفيار به، فبعد كل شيء كان إدريفيار أخاه الأكبر الذي لطالما حاول حمايته، لكنه تذكر أنه من قاد تلك الفرقة لإعدام كالونيس ظناً منه أنه يحميه من تدنيس نسله، فابتسم بانكسار وقال:

«هل تخاف قتالي؟»

تجهم وجه إدريفيار عندما أجابه: «بل أخاف أن أضطر لقتلك».

ضحك وارويك ضحكة باردة خالية من المزاح ثم قال: «لا تقلق، لقد قتلتني بالفعل في اليوم الذي توجهت فيه لإعدام كالونيس».

شحب وجه إدريفيار لما سمعه، بينما حدق وارويك بعينيه عالماً أن أخاه فهم أخيراً ما يشعر به، ثم اختفى عائداً لمملكة إيماتيروس.

ظهر في الساحة الجنوبية فانتبه أليكس لحضوره فوراً واقترب منه مستفسراً عما حدث، بينما انتبهت كيارا التي كانت تتدرب مع رو لتعابير وجهه الجادة فاقتربت منه كذلك ليلحق بها رو هو الآخر.

وقف ثلاثتهم أمامه وأرعوا انتباههم له بينما قص لهم ما أخبره به أخوه لتوه، انتقلت ملامحهم من التركيز للقلق ثم للذعر قبل أن تتحول لليأس.

قال رو بائساً: «نحن هالكون!»

لكن حينها وبدون سابق إنذار، ظهر في الأفق سرب كبير من الغربان، استمروا بالتوافد حتى عزلوا ضوء الشمس عن المملكة، وأثناء ذعر بعض الجنود بدأت الغربان بالهبوط على الأرض وأسطح البيوت وأبراج القصر، بينما بدأ بعضهم بالوقوف على أقدامهم بعد التحول لهيئتهم الآدمية.

وبعد أن عاد ضوء الشمس وحطت جميع الغربان، تبادل الجنود

النظرات مع الدخلاء ذوي الملابس السوداء متوجسين دخولهم المفاجئ، ثم التفت الدخلاء لغراب وحيد ما زال محلقاً في السماء حتى هبط وتحول لهيئته الآدمية أمامهم.

رجل ذو شعر طويل أسود توسطته خصلات بيضاء كعلامة للعمر الطويل الذي عاشه، قامة طويلة ورشيقة، لكن الرصانة والثقة اللتين انبعثتا من عينيه دلتا على قوته، وأخبرتا الجميع بأنه القائد.

دار بنظراته متفحصاً الجميع للحظات قبل أن يقول بصوت رزين: «أين هو ابن أخي رونالد؟»

لكنه ما أن أنهى سؤاله حتى وقعت عيناه بعيني رو.

طبول الحرب

وقفت كيارا متمركزة بجانب أليكس وممسكة بيده بين أشجار الغابة، بينما كانت نظراتها منصبة على المساحات الشاسعة أمامهما، حيث الأرض التي حملت بقايا مملكة سابقة، مملكة ستونهنج التي ستحمل معركة أخرى.

هناك جيش من مصاصي الدماء يحيط بهما، وجيش آخر من أبناء الغراب الذين توزعوا بين الأشجار حولهم وفوق الجبال المحيطة بالمملكة إضافة إلى البعض الذين ينتظرون فوق القصر تحسباً لوصول السحرة لداخل المملكة.

اختفت أشعة الشمس إثر تلبد السماء بالغيوم، منبئةً بعاصفة لم يتوقع قدومها أحد، وكأن الأرض بانتظار حرب من نوع آخر.

لم يكن صمت مصاصي الدماء أو حتى خفوت أنفاسهم أمراً جديداً لكيارا، لكن ما فاجأها هو صمت الصوت بداخلها بعد أن اعتادت سماعه يثرثر طوال الوقت، ومع ذلك كان أكثر ما أهابها هو صمت الطبيعة، فلم تصدر الرياح صوتاً، بينما كانت الأشجار ساكنة بشكل غريب، شعرت بأن كل ما حولها كان يكتم أنفاسه معها في انتظارِ حذر، كان الهدوء يعم المكان بشكل رهيب.

وفي أثناء ذلك الهدوء المهيب، سمعت صوت وارويك يحدث آيريس قائلاً:

«إن تمكنا من النجاة اليوم، فهلّا توقفتِ عن كراهيتي؟»

قالت آيريس ساخرة: «ما بك؟ هل تمكن الخوف منك؟»

أجابها بجدية: «ينتابني شعور سيئ» وعندما حدقت به لفترة من الوقت زيّف ابتسامة مغرورة تخفي توجسه وأكمل: «لم يتمكن الخوف مني، أنا أستغل الموقف فقط» اقترب منها وأكمل هامساً بشيءٍ من الضيق: «من الصعب التقرب لشخص لا يطيق رؤيتي».

استمرت آيريس بتحديقها بعينيه فابتسم ابتسامته اللعوب لكنها لم تبادله العبث فأعادا نظراتهما للأمام، ثم قالت بعد وهلة بصوت رخيم: «أنا لا أكرهك».

التفت إليها فابتسمت له ابتسامة عذبة، مدت يدها وأمسكت يده مقتربةً منه أكثر لتتسع ابتسامته هو الآخر بسعادة، بينما انعزلت عنهما كيارا غير قادرة على التفكير في شيءٍ آخر عدا خطتها، مدت يدها لجيب معطفها بهدوء لتتحقق للمرة العاشرة أن الخاتم ذا الحجر الفولاذي وقطعة الورق الصغيرة ذات الكتابة الغريبة ما زالا في مكانهما.

بدأ غراب بالنعيق فجأة مروعاً ما تبقى بها من سكينة، التفت الجميع باتجاهه قبل أن يلتفت أليكس لكيارا بنظرات متسائلة عما يقوله الغراب، لكنها هزت رأسها بهدوء فقط، فلم يكن الغراب يتحدث، بل كان يصرخ وحسب، لسبب لم تفهمه، لكنه سبّب لها قشعريرة لم تستطع التخلص منها.

ومع ازدياد حدة ترقبهم باتت أصغر التفاصيل تسبب لكيارا جزعاً أخفته على من حولها جيداً، كالأرض العشبية التي وقفت فوقها، فقد ارتبطت تدريباتها خلال الأيام السابقة بالثلوج الناعمة، ورغم أن القتال فوق الثلج غير مستقر بشكل مقلق إلا أنها اعتادت الأمر، نقلت وزنها بين قدميها بين حين وآخر لتعتاد ذلك الإحساس الصلب أسفلها إلا أن ذلك لم يزدها إلا هلعاً.

دُقّت الطبول بخفة معلنةً أن السحرة بدؤوا بالتوافد لمملكتهم السابقة، فنقلت كيارا نظراتها للأمام بتركيز وراقبت صفوفهم وهي تتكاثر بشكل مرعب متيقنةً أن لا مجال للتراجع الآن، وأن هذه هي النهاية التي كانت لا تطيق انتظارها، دست يدها في جيب معطفها ولبست الخاتم بإصبعها الأوسط ثم أمسكت بالورقة الصغيرة التي كُتب عليها:

من حيث وُلدنا سنعود... لنصلح ما شوههُ الخلود.... إلى أن نُمحى من الوجود.

ثم أخرجت يدها من جيب المعطف والتفتت لآيريس التي كانت تنظر إليها كذلك بانتظار إشارتها، أدارت وجهها للأمام بانتظار تجمع جميع العشائر، لكنهم استمروا بالظهور بأعداد مهولة مما أعطى لخطتها أهمية أكبر، وبعد وصول آخر عشيرة أعادت نظراتها لآيريس وأومأت لها بخفة، شدت قبضتها حول الورقة وقامت بحرقها داخل كفها لكيلا ينتبه أحد للأمر لكن أليكس سمع حسيس النار لمقربته منها فالتفت إليها باستغراب قبل لحظة من ظهور ثقب ناري أمامهم.

اتسعت عيناه وقد استنتج ما تخطط له، أعاد نظراته لها قائلاً: «كيارا أنتِ....»

لكنه لم يجد الوقت لإكمال جملته فقد لفت يدها الأخرى على ذراعه وانتقلت معه عائدة للقصر.

قالت بنبرة معتذرة على عجل: «آسفة لكن عليّ فعل ذلك» ثم أبعدت يديها عنه عائدة لساحة المعركة في ومضة.

كانت تعلم أن أليكس سيعود للساحة في وقت قصير بسرعته الخارقة لكن ذلك الوقت القصير هو كل ما تحتاجه، وفور وصولها لمكانها وجدت أن سبارك قد وصل كما اتفقت معه، التفتت لآيريس التي بدأت بتأدية دورها سريعاً.

وقفت أمام ورويك الحائر وأمسكت بيده الأخرى قبل أن تجره للاتجاه الآخر ليعطيَ كيارا ظهره، استخدمت سرعتها كي لا يجد الوقت الكافي لإعطاء ردة فعل أو استيعاب ما كانت تفعله، وبالفعل ما أن فعلت ذلك حتى وجهت كيارا تعويذة باتجاهه وشلت حركته بشكل مؤقت.

حينها طار رو من مكانه وهبط فوق جسد ورويك الملقى على الأرض وقبل أن يقول أو يفعل شيئاً أمرته بنبرة صارمة:

«إياك وأن تلحق بي!»

فلم يجد القوة لعصيان أمرها واللحاق بها، بينما أسرعت هي منتقلةً

لمملكة ستونهنج أمام حشود السحرة، وما أن ظهرت أمامهم حتى استعد البعض للهجوم لولا أن سبارك وصل لجانبها فوراً.

علم الجميع بهويتها فور وصولها من هالتها شبه العنقية، لكن رؤية العنقي بجانبها منعتهم من الهجوم وبعثت الشك بداخل بعضهم، وقبل أن يلقوا بآرائهم تركوا المجال لها وآثروا الإنصات أولاً.

شعرت كيارا بالتوتر يجتاحها لكن ضيق الوقت دفعها للتحدث بسرعة، فقالت بنبرة متحفظة: «أعتقد أنكم تعلمون بأنه تم خداعكم فكما ترون جميعاً.. أنا لست المختارة!»

بدأ البعض بالتهامس بينهم فتقدم إلوديوس من بين الحشود وبجانبه ابنه إدريفيار ومن خلفهما إستل وبجانبها وقف دريزور، أعادت وجوههم لكيارا ذكريات إعدامها فشدت قبضتي يديها لئلا يتمكن منها الخوف أو الغضب، أو كلاهما معاً كما حدث في الغابة.

تقدم قائد إحدى العشائر وقال لإستل: «لقد كنتِ واثقة من أنها المختارة، فسري موقفك».

ظهر الامتعاض في وجه إستل فلم تتوقع وقوعها في هذا الموقف، أو أن تواجه أكاذيبها فقالت بحنق: «لم تظهر علامات السحر عليها سابقاً، علمت بحقيقتها للتو».

أجابها مستاءً: «إذاً لن تقاتل عشيرتي معكم!»

ثم اختفى ولحقت به عشيرته قبل أن يقول قائد آخر بانزعاج:

«هل جمعت عشيرتي لأقاتل هجينة؟ هذا مهين! أنا عائد كذلك».

اختفى الآخر وعشيرته وبعض السحرة المنشقين الذين انضموا للقتال للتخلص من المختارة فقط، ازدادت إستل حنقاً مما يحدث لكنها أخفت الأمر سريعاً قبل خسارة عدد أكبر من الجيش، أمالت رأسها بخبث ناظرةً لعيني كيارا بتحدٍّ ثم قالت:

«لكن ذلك لا يغير من حقيقة أنها سومو خطيرة، وقد قتلت عدداً كبيراً من عشيرتي».

ردت كيارا ابتسامتها الخبيثة بأخرى ماكرة وأجابت: «صحيح، لقد فعلت ذلك» أشارت لسبارك بيدها «ولذلك أنا سأخضع للمحاكمة أمام الجميع».

تعالت الهمسات بين استغراب ودهشة بينما تمتم البعض الآخر بتساؤل لما يحدث وانزعاج لضياع الوقت.

التفتت بكامل جسدها تجاه سبارك وأومأت له، فرفع يده لتقع هي على ركبتيها في خضوع تام، وضع كفه بجانب رأسها وبدأ بالدخول لرأسها دون تأخير.

توقعت كيارا الإذعان الذي سيتملكها أثناء المحاكمة، وتكهنت بمرور حياتها أمام عينيها، ولم تعر ذلك الأمر أي اهتمام لعدم وجود شيء يذكر في حياتها كبشرية، لكن ما لم تكن مستعدة له هو الهوان الذي عصف بها، امتثالها للمحاكمة أمام حشد كبير كإقرار للجميع

بإجرامها الذي لم تتقبله بعد، وما جعل الأمر أسوأ هو وصول أليكس في تلك اللحظة، شعرت بالخزي يسري في كامل جسدها حتى لمعت عيناها بدموع حاولت كبحها.

«كيارا» قال لاهثاً بحرقة عالماً أنه تأخر، فالتفت لسبارك متوسلاً: «أبقِ على حياتها!»

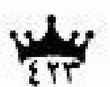
حينها سحب سبارك يده معلناً نهاية الأمر، فترقب الجميع حكمه بينما التفت هو لأليكس قائلاً:

«تعلم أنني لا أستطيع إعطاء الخدمات في هذه الأمور».

خفضت كيارا رأسها في انتظار سماع حكمها باستسلام ثم شعرت بيدي أليكس حول كتفيها، سحبها للوقوف بجانبه فنظرت لعينيه لتجدهما ساكنتين بشكل مفاجئ، تشوشت أفكارها لوهلة قبل أن تدرك معنى هدوئه، وهو أنه قرر مشاركتها الحكم أياً كان.

تقبلت كيارا أمر المحاكمة منذ أن سمعت بأمرها لأول مرة من رو، بل شعرت بالسكينة كونها ستدفع ثمن جريمتها وتتحرر من ذنبها، لكنها الآن خشيت الحكم لمشاركة أليكس المصير نفسه.

«بالنظر لكل شيء» قال سبارك معيداً أفكارها للحاضر فأرعت انتباهها له «قتالك لسحرة كانوا في أثرك لا يعد جريمة، بل دفاعاً عن النفس، وما حوله إلى جريمة هو الفرق الكبير بين القوى، وهو ما لم يكن في إدراك أي من الطرفين» صمت سبارك قليلاً ورمشت عيناه



بهدوء للحظة قبل أن يردف بصوته العميق: «كيارا جرانت... أنتِ بريئة!»

تنهدت بارتياح والتفتت مبتسمة لأليكس الذي سكن قلبه أخيراً، لكنه لم يبادلها الابتسامة، بل نظر لها بنظرات معاتبة ولائمة في صمت.

قالت إستل بنبرة مشحونة: «ما هذا الهراء؟» ثم أضافت باستنقاص: «أي محاكمة هذه؟!!»

التفت لها سبارك ونظر لعينيها وبوهج خفيف من حدقتي عينيه كان غرورها قد تبدل إلى رعشة سرت في جسدها كاملاً ثم عبرت بها واحدة أخرى عندما قال بصوت رزين:

«أشعر بدافع قوي لتحقيق العدالة اللازمة هنا، لكنني أفضل أن تترقبي محاكمتك بنفاد صبر!»

تنحنح إلوديوس والتفت لجيش السحرة قبل أن يقول بصوت جهوري: «من أتى من أجل العنقية فليذهب...» التفت ونظر لعيني أليكس مردفاً: «ومن أتى من أجل قيامة مملكة ستونهنج من جديد فليستعد للقتال».

بادله أليكس النظرات الحادة قبل أن يسحب كيارا عدة خطوات للوراء حذراً من أي هجوم مفاجئ، عندها لاحظت كيارا أن زي وليون يقفان خلفهما بعد أن تبعا أليكس لكنها لم تلحظ وجودهما من قبل، وعندما همت بأمرهما بالعودة ظهر وارويك بجانبهما، نظر لجميع

الحاضرين واستطاع استنباط ما حصل فالتفت لكيارا بنظرة موبخة قبل أن يقول إدريفيار مكذباً عينيه بحزن:

«أخي!»

تقدم وارويك لجانب أليكس بخطوات واثقة باعثاً المهابة لبعض السحرة، فبدأ البعض بالاختفاء شيئاً فشيئاً، كان حضور سبارك سبباً كافياً لتراجع الكثير منهم، لكن وجود وارويك دفع عدداً أكبر للعودة أدراجهم، ومع محاكمة كيارا وتبرئتها تقلص الجيش للنصف، لكنه مع ذلك كان أكبر من جيشهم.

قال سبارك بصوت غليظ منخفض: «انتهى دوري هنا» ثم أردف قبل أن يذهب: «آمل رؤيتكم جميعاً بخير عند زيارتي القادمة».

أما إلوديوس فقد تبادل النظرات المشحونة مع ابنه وارويك قبل أن يقول: «هل تخون عشيرتك مرة أخرى؟»

أجابه وارويك بحسرة: «بل العشيرة من قامت بخيانتي» اعترى الألم تعابير إدريفيار في صمت بينما أكمل وارويك بنبرة محذرة ناظراً لإستل: «أنت تعلق ثقتك بحبل أفّاك».

«أعلم جيداً أين ومتى أعلقها» أجابه إلوديوس ثم تنهد خائب الظن بابنه وأردف: «على عكسك».

استغلت إستل تلك اللحظة وعدم احتراسهم لترسل تعويذة حارقة باتجاه ليون الذي بدأ بالصراخ فجأة محاولاً نزع ثيابه عن جسده، نظر

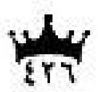
له الجميع باستغراب فقد بدا لهم سلبياً، لكنه سرعان ما احمر جلده وازدادت صرخاته حدة، وعندما أرادت كيارا الاقتراب منه لمساعدته تفجر جسده أمامها.

تناثرت الدماء في كل مكان وصولاً لوجه كيارا التي شحب لونها وبدأت أذناها بالطنين فاصلة حواسها عن الحاضر، فتحدث الصوت بداخلها أخيراً:

«هذه فرصتك.. اهجمي الآن!»

كان كل ما بداخلها يصرخ بها للهجوم، كل ما عليها فعله هو الالتفات وتوجيه نارها التي لن يستطيع أحد ردعها، لكن إحساس الذنب تجاه ليون أصابها بشلل مفاجئ ومنعها عن فعل أي شيء، أخذت تدرك مدى واقعية الأمر بالنظر لأشلائه المتناثرة، وهو الجزء الذي لم تصل له مخططاتها، الحرب ذاتها، القتال والقتل، أو كما حدث حينها... خسارة الأرواح، ازدادت حدة الصوت لكنها لم تقو على التحرك، فبقيت تحدق بأجزاء جسد ليون في مكانها.

التفت وارويك لإستل ليجد الرضا مرتسماً بوجهها فعلم أن الحرب قد بدأت، مد يده باتجاه زي الذي أدرك مبتغاه فتقدم مسرعاً وأمسك به، بينما وضع وارويك يده الأخرى على كتف أليكس الذي فهم الأمر كذلك وأمسك بمعصم كيارا، وقبل أن ينتقل بهم لمكانهم بين الأشجار اندفع إدريفيار إليه وأمسك بذراعه لينتقل معهم.



وفور عودتهم لموقعهم المقرر تنبه الجميع لحضور الساحر الغريب، فتجهزوا للهجوم لكن وارويك استوقفهم فوراً عندما لاحظ الأسف على تعابير أخيه الذي قال بندم:

«لقد خسرت أخاً في السابق» وضع يده على كتف وارويك وأكمل بعزيمة: «لا يهمني في أي صف أقف اليوم، لن أخسر أخاً آخر» ثم وقف بجانبه منضماً إليهم.

في الوقت نفسه اقترب رو من كيارا قلقاً بينما كانت تمسح دماء ليون عن وجهها باضطراب قبل أن يتحول الاضطراب لغضب متصاعد، فقالت من بين أسنانها:

«فلتُقرع طبول الحرب!»

ليعلوَ صوت الطبول محدثاً ضجة عالية لكنها لم تكن أعلى من صوت ضربات قلبها المشتعل.

الحرب

علا صوت الطبول محدثاً ضجة عالية لكنها لم تكن أعلى من صوت ضربات قلبها المشتعل، ومع أنها كانت غاضبة إلا أن صورة الأجساد المحترقة في الغابة لم تفارق ذهنها، كرهت أن تفعل هذا بكائن آخر ولو كانت ظلال الحرب تدفعها لذلك.

ركزت تفكيرها في إستل، وناقشت مع الصوت فكرة القبض عليها وجلبها لوارويك وأليكس للتعامل معها، ولكن قبل أن يجيبها الصوت شعرت بالفعل بمدى جبن ذلك الحل ومحاولتها للتهرب من القتال، ليس خوفاً من الموت، بل خوفاً مما قد تفعله يداها.

وأثناء تصارعها داخلياً، أتتهم ضربة سحرية منطلقة بهيئة شعلة زرقاء، استطاع الجنود تجنبها فارتطمت بشجرة خلفهم تاركةً فيها فجوة سوداء، ألهتهم تلك الضربة عن التي تلتها فأصابت جندياً وطرحته أرضاً.

تلفت إدريفيار حوله باستغراب لعدم وجود رد فعل للهجوم، فقال بنبرة متسائلة: «ما الذي تنتظرونه؟»

أجابه وارويك ونظراته موجهة للأمام بتيقظ: «عليهم الاقتراب أكثر» استنتج إدريفيار أن لديهم خطة فبقي منتظراً بصمت للحظات قليلة قبل أن يقول وارويك على عجل: «الفأر في المصيدة!»

نظر أليكس لزي وأمره بالذهاب، فتوجه الآخر للشاطئ بسرعة

البرق، بينما بدأت كيارا باحتساب الوقت المتفق عليه بينهم داخل رأسها، ثم التفتت للغربان التي على الأشجار وقالت بنبرة آمرة:

«الآن!»

بدأ أبناء الغراب حينها باستخدام قوة الزيروسكو على الصفوف الأولية من السحرة فسقطوا مرتعشين على الأرض، توقفت الصفوف اللاحقة بهم لعدم معرفتهم بما أصاب من أمامهم.

حينها تقدم حفنة من الجنود بقيادة آيريس لموقعهم ووقفوا في تشكيلة تبدو عشوائية لمن يراها، إلا أنها كانت مدروسة بعناية، نظر لهم السحرة بتوجس بينما بدأت آيريس بضرب الأرض بقدمها اليمنى ضربتين متتاليتين ثم ضربة ثالثة بعدها بلحظة خاطفة، كررت الأمر عدة مرات حتى بدأ أتباعها بتقليدها.

ظن السحرة أنها طقوس للحرب لا غير، فتقدموا مستكملين القتال، وما أن اشتبكوا بهم حتى اهتزت الأرض من أسفلهم وبدأ جنود آخرون بالخروج منها بعد أن اختبؤوا في الأسفل لأيام بمساعدة وارويك الذي أخفى هالتهم، اضطرب السحرة لخروج مصاصي الدماء من بين أقدامهم وفضلوا التراجع حينها للاحتماء وراء جدران مملكتهم فبدؤوا بالانتقال لها، لكنهم ما أن وصلوا لموطنهم القديم حتى فاجأهم زي الذي استدعى أتباعه المنقوعين بماء البحر إثر اختبائهم هناك بانتظار لحظة استدعائهم.

ومع أن الطرقات داخل المملكة كانت شاسعة إلا أن سرعة مصاصي الدماء جعلتها تبدو أضيق مما ينبغي، فوجد السحرة أن أفضل مكان للقتال هو الساحة المفتوحة بجانب المملكة لقدرتهم على قتال مصاصي الدماء من مسافة بعيدة وآمنة، فانتقلوا لها واحداً تلو الآخر.

في ذلك الوقت اقترب جندي من أليكس بعد أن أتى مسرعاً وقال: «نجحت الخطة!»

التفت إدريفيار لوارويك وسأل: «ما الخطوة التالية؟»

لم يبعد الآخر نظراته عن ساحة المعركة، وقبل أن ينتقل لها أجابه: «الآن نهجم!»

تبعه إدريفيار وانطلق جميع الجنود عدواً للقتال، تقدمت كيارا للحاق بهم لكن أليكس أمسك بيدها فالتفتت له ليقول ناظراً لعينيها بعمق:

«مهما حدث، إياكِ أن تموتي!»

أخذت نفساً عميقاً ثم قالت: «أنت كذلك، الموت ليس خياراً لك».

حينها توهجت عينا أليكس بلون اللهب كقطعتي جمر مشتعلتين، ثم انتشر ذلك اللون عبر عروق وجهه ورقبته لأسفل ملابسه قبل أن يصل لشرايين يديه، ورغم أن كيارا تكهنت سابقاً بأنه ما زال يحتفظ بقليل من قوى العنق إلا أنها لم تستطع منع نفسها من النظر إليه بفم مفغور.

«لا، الموت ليس خياراً لنا» قال معيداً عينيها لعينيه ثم أكمل مبتسماً: «فقد بدأنا للتو».

ثم توجه لساحة المعركة ليبدأ القتال، بينما بقيت هي وراءه لوهلة مرددةً خطوات التمويه الذي تعلمته من وارويك:

«ضربة، انتقال، ضربة، انتقالان، ضربة».

لم يطل الأمر كثيراً حتى تحول المكان لساحة معركة حقيقية، كانت كيارا تتوقف وتلتفت حولها بعد كل اشتباك بحثاً عن أليكس، لكن كل ما رأته هو الأجساد المتلاحمة، والشعل المتطايرة من كل الجهات، إضافةً إلى الجثث التي بدأت بالتزايد على الأرض والدخان المتصاعد من بعضها أو من مكان قريب منها إثر احتراق الحشائش بتعاويذ السحرة.

ترددت في استخدام نارها منذ بداية المعركة خوفاً من أن تخطئ مرة أخرى وينتهي بها الأمر بقتل أحد جنودها، فالتزمت بالسحر فقط، لكن ذلك لم يكن عائقها الوحيد فقد ترددت في القتل كذلك، ورغم أنها ذكرت نفسها بعائلتها لتجاوز ذلك الخوف، إلا أن ما شجعها حقاً لتجاوزه وأثار عزيمتها بشكل مستمر هو موت ليون.

وبعد عدة لحظات وجدت أليكس أخيراً، منغمساً في قتال مستعر مع ساحر قوي، وقبل أن تصل إليه لمساعدته ظهر ساحر أمامها،



استعدت لقتاله لكنه اختفى من أمامها فوراً، ولسرعته لم تلحظ أنه انتقل وراءها إلا بعد أن قبض على كتفها ثم ركل ساقها ليطرحها أرضاً.

رفع يده لتتجمع بها ضربة علمت كيارا من لونها الأسود أنها خبيثة كالتي حذرها منها أليكس، وقبل أن تتمكن من الدفاع عن حياتها والتملص من الموقف شحب وجه الساحر وذبلت عيناه ثم وقع أرضاً بجسد مرتعش.

وقفت بسرعة ولهثت أنفاسها ناظرةً له بعدم فهم، ثم تلفتت حولها لتنتبه لغراب يقف على جثة قريبة منها، ورغم امتنانها لإنقاذه حياتها إلا أنها شعرت بالقلق على حياته فأمرته بالعودة بعد أن أنهت أمر الساحر.

أعادت نظراتها حيث كان أليكس، فوجدته لا يزال في قتال ضار مع الساحر نفسه وقد انضم له ساحر آخر، وبعد أن قررت الانتقال لمكان قريب منه ومساعدته اختفى الساحران ثم ظهرا معاً على مقربة منه، ومما بدا لكيارا كانا يقومان بتوحيد قواهما معاً لتوليد ضربة قوية، ثم أطلقاها باتجاهه.

علمت أنها لن تصل في الوقت المناسب فدفعتها غريزتها لاستخدام نارها بلا تردد، أطلقت نارها باتجاه الضربة فتولد انفجار إثر التحام القوتين، تقاذفت الشعلات حول المكان وأصابت إحداها كتف أليكس بشكل طفيف قبل أن يبتلعه الدخان، فقد أدت تلك الضربة إلى تزايده حولهم وانتشاره حول ساحة المعركة، مما سبب لهم لبساً بين



العدو والحليف، فقد كانوا يرون الظلال دون معرفة صاحبها واستغل بعض السحرة ذلك الموقف وبدؤوا بتوجيه ضرباتهم بشكل عشوائي غير مبالين بمن قد تصيبه.

سمعت كيارا الصوت يقول بنبرة محذرة: «خلفك!»

التفتت لتجد إحدى الضربات متوجهةً إليها، فانزاحت جانباً بسرعة وتمكنت من تفاديها، تلفتت حولها باحثةً عن أصدقائها، لكنها لم تستطع الرؤية بسبب الدخان، بدأت بالركض باتجاه المكان الذي كان أليكس يقف فيه حتى بدت لها معالمه المتنبهة، يتلفت حوله باحتراس، فصرخت باتجاهه:

«أليكس!»

التفت إليها في الوقت نفسه الذي ظهرت فيه ضربة متجهة إليه من خلفه، انتقلت كيارا لمكانه بسرعة وأمسكت بيده منتقلةً لمكان آخر لتفادي الضربة.

وفي الوقت ذاته كانت إستل تحاول البحث عن كيارا عن طريق هالتها، لكن استخدام كيارا للطاقة العنقية والسحرية بطريقة متبدلة أدى لتشتيتها بشكل متواصل وازدياد حنقها.

حينها رأت إدريفيار يقاتل ساحراً من عشيرتها ثم أنهى حياته بضربة سريعة منه، ازداد غضبها واستغلت عدم انتباهه لوجودها

لتوجه له تعويذة سوداء أصابت أطرافه بالشلل فسقط على الأرض، انتقلت لجانبه ونظرت له بازدراء قائلة:

«ستدفع ثمن انقلابك ضدي...» ابتسمت بخبث مكملة: «بقوتك!»

توجهت للساحر الميت بجانبه وغمست يدها في دمائه قبل أن تلفها حول عنق إدريفيار، رفعت جسده للهواء بسحرها، واسودت عيناها بينما بدأت بممارسة تعويذة خبيثة محرمة، ألا وهي سرقة قوة ساحر آخر.

وفي مكان آخر، كان وارويك يقاتل ثلاثة سحرة التفوا حوله، وجه أول ساحر ضربته فانتقل وارويك من مكانه لتصيب الساحر الواقف خلفه، وفي لحظة ارتباكهم من إصابة حليف لهم استغل وارويك ذلك بإصابة الآخر قبل أن يهرب الثالث فوراً.

وبعد تخلصه من ذلك المأزق واستمراره بقتال من يظهر أمامه انتبه لآيريس التي سبب لها الدخان الاضطراب، فقتل خصمه بضربات متتالية لا يستطيع تجنبها إلا من كان بمستوى قوته، ثم انتقل لمكان آيريس التي أفزعها ظهوره المفاجئ.

نقلت نظراتها بين جثث مصاصي الدماء التي انتشرت حولهم، ثم أعادتها له قائلة:

«نحن نخسر» أشارت بيديها حولها مردفة: «إنهم يقتلون جميع بني جنسي، إنها نهايتنا!»

عندها ومضت بقربهما ضربة تجاوزتهما في لحظة خاطفة أنذرت كليهما، أمسك واررويك بيديها ونظر لعينيها بعمق قائلاً لها الكثير مما عجز لسانه عنه، كانت أعينهما توحي بالرضا والقبول بالنهاية الوشيكة، لكن زي أتى بالقرب منهما حاملاً ذراع أحد السحرة بيده.

ألقاها على الأرض قائلاً: «هرب قبل أن أتمكن من قتله، لكنني أخذت ذراعه على الأقل» تنبه لتعابير آيريس اليائسة فأكمل: «إنهم خائفون لذا يلقون بضرباتهم في الأرجاء، لا يعلمون أنها تصيبهم وحدهم لأننا نستطيع تفاديها بسهولة».

حينها ظهر ساحر من وراء واررويك وقبل أن يستطيع إلقاء ضربته استخدمت آيريس سرعتها للذهاب خلفه ونهش رقبته بأسنانها، التفت واررويك متنبهاً للأمر فمسحت الدماء عن شفتيها وقالت ممازحة بعد أن عاد لها الحماس:

«افتح عينيك جيداً!»

ابتسم واررويك ابتسامة ملتوية وأومأ لها ثم انتقل ليقاتل في مكان آخر كما فعلت هي وزي.



كان انحجاب الرؤية عائقاً للغربان، فلم يستطيعوا المساعدة إن لم يروا، لم يستطع رو البقاء بعد أن اختفت كيارا على ناظريه، فنزل لساحة القتال متحولاً لهيئته الآدمية باحثاً عنها، لكنه تصادم مع ساحر من عشيرته السابقة فور وصوله فبدأ بقتاله منشغلاً عن هدفه الأساسي.



بعد انتقال كيارا وأليكس لمكان آخر، وجدا حولهما عدداً من السحرة الذين قاموا بقتالها فوراً، فانفصل الاثنان أثناء ذلك، تخلصت كيارا من جميع السحرة عدا واحداً كان يراقبها على مقربة منها وكأنه يدرس طريقتها في القتال، وما أن تخلصت منهم حتى اشتبك معها موجهاً ضرباته باتجاهها بشراسة.

تصدت كيارا للضربات بكل قوتها، ولكن خصمها كان لديه مخطط آخر، حيث كان يدفعها رويداً رويداً نحو الغابة غير مدركٍ أن الغربان كانت تساعدهم من هناك.

كانت كيارا تجاري مخططه باطمئنان وتصد ضرباته بشكل متواصل أثناء تراجعها للخلف حيث كان يقودها، وما أن وصلت لأطراف الغابة حتى تأرجح مصاص دماء من إحدى الأشجار ثم وثب خلف الساحر وثبت يديه، انزلق مصاص دماء آخر من شجرة أخرى وبحركة سريعة وجه له ركلة مرتفعة مزقت رأسه عن جسده.

أومأ الاثنان لكيارا قبل أن يعودا لمراكزهما على الأشجار لقتال أي



ساحر يحاول التسلل للمملكة، بينما نظرت هي حولها بقلق لما سببه هذا الدخان، فلم يكن باستطاعتها رؤية مجرى المعركة وما وصلت إليه، تمنت لو باستطاعتها إزالته بطريقة ما، لكن استخدام قوتها سيزيد من كثافته أكثر.

وفجأة، بدأ الدخان بالانقشاع متجهاً للأعلى بوتيرة سريعة أعلمت كيارا أن هناك من يحاول المساعدة، سمعت صوت انكسار غصن من خلفها فالتفتت بسرعة لتجد تريشا منزوية خلف شجرة تنظر بتركيز لساحة المعركة، فعلمت أنها من يقوم بتنظيف الساحة من الدخان لكنها لم تستطع الشعور بالامتنان وقد تملكها الضيق عالمة أنها ستواجه عقوبة قاسية نتيجة لتدخلها.

ابتسمت لها تريشا لكن كيارا لم تبادلها تلك الابتسامة، بل رمقتها بوجه متجهم قلق ثم التفتت عائدة للمعركة، وقبل أن تستطيع تريشا العودة لداخل الشجرة التي خرجت منها، خرج من تحت الأرض رجلان عاريا الصدر طويلا القامة، علمت من النقوش الذهبية على أجسادهما أنهما من جنود الجن، أمسك كل منهما بإحدى يديها وسحباها للأسفل من حيث أتيا.

ومع انجلاء الدخان واتضاح الرؤية، كان كلٌّ ينظر حوله ليرى من المتقدم في المعركة، لكن وارويك لم يجذب عينيه إلا منظر أخيه معلقاً

بيد إستل وطاقته تُمتص منه لآخر قطرة، شحب وجهه لذلك المنظر وقبل أن يستطيع التقدم لمساعدته كانت إستل قد انتهت من أمره فألقت جسده بعد أن بليَ وغادرته الحياة.

انتقل لمكانهما في الوقت نفسه الذي اختفت فيه إستل، فالتفت إلى جسد أخيه في صدمة، اقترب منه وجثا على ركبتيه بجانبه، مد يده وأغلق عيني إدريفيار ثم سمع صوت والده يشتعل غضباً من خلفه:

«إستل!!»

التفت إليه واروبك بتعابير لائمة بعد أن حذره منها، فشد إلوديوس قبضتيه بغيظ ثم التفت وصاح موجهاً أوامره لكل من يتبعه:

«اتركوا مصاصي الدماء وتخلصوا من إستل وكل من يتبعها فوراً!!»

تجمد الجميع في أماكنهم للحظة، والتبس عليهم ما يحدث، مرت لحظة قصيرة قبل أن يحصل انشقاق كبير بين السحرة، لم تتردد عشيرة أفيتاز في طاعة قائدهم، فانتقلوا واحداً تلو الآخر للضفة الأخرى من المعركة واقفين بين صفوف مصاصي الدماء، أخذت بعض العشائر الموالية لهم لحظة أخرى لكنها انضمت لهم في النهاية، بينما رفضت عشائر السحر الأسود التي أتت مع إستل الانصياع لهم.

صرخ إلوديوس وسحره يحيط به في الوقت نفسه الذي دوى فيه صوت الرعد، ثم بدأ القتال من جديد، احتار مصاصو الدماء في البداية بين السحرة الموالين لهم والأعداء، لكنهم أدركوا الفرق سريعاً بسبب الاختلاف في ألوان الضربات.



أظلمت السماء بسبب ارتفاع الدخان، مما سبب انحجاباً جزئيّاً للضوء، بدا الأمر وكأن الشمس قد بدأت بالغروب مع أنها ما زالت في منتصف السماء، وبالإضافة إلى الجو الغائم بدأت الأمطار بالهطول بشكل كثيف، مما سبب تشوشاً في الرؤية.

استخدم مصاصو الدماء ذلك الوضع لمصلحتهم، مستخدمين الوحل الذي بدأ بالتكون للانزلاق متجنبين ضربات السحرة ثم الوثب للقفز عليهم، في حين أن الأرض الزلقة سببت اضطراباً للصفوف المعادية لهم..

حارب زي ببسالة، كلما تخلص من ساحر ظهر بعده آخر، ومع أنه كان مصاباً بجراح عديدة إلا أنه أكمل قتاله دون أن يتمكن السحرة من إرغامه على التقهقر.

انتبهت له آيريس وسط قتالها وقررت الانضمام له بعد أن تنتهي من الذي أمامها، لكن أثناء ذلك أتتها ضربة عشوائية في جنبها الأيمن سببت لها إصابة بالغة، فوقعت أرضاً ممسكةً بجنبها، وجد الساحر الذي أنهكه القتال معها أن هذه هي فرصته للهرب فاختفى من هناك بينما التفتت هي باحثةً عن زي لتجد أنه لم يعد في المكان نفسه.

بدأ جسدها بالارتعاش قبل أن تنتبه لرو المذعور في ساحة القتال، كان يدفع بالسحرة بعيداً عنه دون قتلهم فلم يتوقع أن يكون في هذا

المكان، أرادت الذهاب إليه ومساعدته لكن ألم الضربة كان ينتشر في جسدها بسرعة ويستنزف قوتها.

انتبهت إستل لرو فقامت بتجميع يديها لتكوين ضربة قاضية لتنهيه فوراً، حاولت آيريس تنبيهه لكن أصوات الرعود والأمطار غطت على صوتها الذي بدأ يضعف أكثر، اختفى الساحر الذي كان يبارز رو فجأة بعد أن انتبه لإستل تحاول إصابته، استغرب رو لكنه لم يجد الوقت الكافي للتفكير، فأسرع باتجاه الغابة عائداً لموقعه.

وأثناء ركضه ظهر دريزور أمامه فجأة فتوقف متوجساً، أطلقت إستل حينها ضربتها فأمسك دريزور بكتفي رو ثم قام بلف جسده للاتجاه الآخر بسرعة ليتلقى الضربة بدلاً عنه، اخترقت تلك الضربة صدره بالكامل ليصيب بعضُها صدر رو.

اندفع كلاهما للاتجاه المعاكس نتيجة للقوة التي حملتها تلك التعويذة، حتى سقطا على الأرض بعضهما بجانب بعض، دريزور بثقب يتوسط صدره ورو بقلب متوقف إثر الضربة.

في مكان آخر كانت كيارا تحارب ساحراً أنهكها بتلاعبه وخبثه، وعندما بدأ اليأس يتسلل إليها، زمجر الرعد فجأة لتشعر بألم مفاجئ في قلبها، لم تستطع النظر حولها جيداً بسبب المطر المنهمر لكنها مع ذلك كانت واثقة أنه رو.

ظهر الساحر أمامها كونها اللحظة المناسبة لقتلها، لكن أليكس أسرع إليه من خلفه وكسر عنقه لينقذها منه، نظر لحالتها المشتتة بقلق قبل أن يسمع صوت أنين آيريس، التفت محاولاً تحديد مكانها وحالما استطاع فعل ذلك أمسك كيارا من جنبيها وحملها مسرعاً لجسد آيريس المحتضر، نظر برثاء لحالها بينما كانت تحاول التقاط أنفاسها بقوة لإخبارهما بما حدث لكنها لم تستطع إخراج أي شيء من شفتيها سوى:

«رو».

تلفتت كيارا بذعر حول المكان حتى استطاعت رؤية جسده الملقى على الأرض تماماً ككابوسها، لكنه لم يكن يحتضر الآن، بل مفارقاً للحياة، انتقلت لمكانه ونظرت له بأنفاس متثاقلة في نكران لما تراه، أعادت نظراتها لآيريس التي توقفت عن الحركة، ثم انتبهت لزي في ساحة القتال على وشك السقوط بسبب إصاباته، وارويك مهتاجاً بسبب خسارة أخيه، وبعض الغربان ملقاة على الأرض إضافة للجثث العديدة التي أحاطت بهم من كل الجهات، كان كل ما حولها يضغط على صدرها أكثر، أعادت نظراتها لرو ولملامحه التي لطالما كانت بريئة.

حينها وصلت لمسامعها ضحكة سببت لها القشعريرة، التفتت لمصدرها لتجد إستل تضحك بانتشاء لتخلصها منه، فتحولت أنفاسها الثقيلة لأنفاس حارة مشتعلة، تزداد حرارتها مع كل ثانية، لم تكلف كيارا نفسها عناء ردعها، بل تركت العنان لغضبها، ولكيلا ترتكب الخطأ نفسه مرتين، رفعت رأسها للسماء وصرخت بكل قوتها،

تفجرت النيران من داخلها كالبركان الهائج وصولاً للسماء مخترقةً السحب المتلبدة، وساحبةً انتباه الجميع.

توقفت صرختها مع انقطاع نفسها تزامناً مع توقف المطر، فأعادت نظراتها لإستل في الوقت الذي تضاءلت فيه النيران عائدة لجسدها ومحيطة بها، امتزجت النار مع خصلات شعرها واشتعلت من مقلتيها ومن بين أصابعها وأسنانها.

ارتفع جسدها عن الأرض قبل أن تنطلق كالنيزك باتجاه إستل التي أصابها الجزع من ذلك المنظر الذي لم يره أحد من قبل، وعندما حاولت الهرب وجدت أنها لم تعد قادرة على الحركة، هبطت كيارا ببطء أمامها عالمة أن أبناء الغراب يستخدمون قدرتهم عليها الآن.

قالت بغضب متأجج: «تحاولين الهرب؟» ثم أكملت والنيران تخرج من بين شفتيها: «حانت نهايتك!»

دفعت كيارا يدها لعنق إستل وتركت نيرانها تتسلل لداخل جسدها لتذيبه من الداخل، فكرت بتفجيرها كما فعلت بليون لكنها لم ترد إعطاءها نهاية سريعة، فتركت النيران تكوي أعضاءها ببطء، حاولت إستل الصراخ لكن كل ما صدر منها هو عويل لم يدم طويلاً قبل أن يذوب جسدها ويتحول لعظام متفحمة.

حدق الجميع في ذهول تام لما فعلته كيارا في ثوانٍ قصيرة غير تاركة لإستل فرصة للتملص منها، وقبل أن تلتفت للبقية أخذ أتباع إستل

بالاختفاء انسحاباً من المعركة، بدأ بعض مصاصي الدماء بالهتاف فرحاً لانتصارهم بينما التفت البعض لمساعدة المصابين، كما فعلت كيارا عند عودتها لمكان رو متبعةً بوارويك وأليكس، وبعض أبناء الغراب الذين عادوا لهيئتهم البشرية.

عاد جسدها لوضعه الطبيعي واختفت النار عندما جثت أمامه تتلمس جسده باحثةً عن مكان الإصابة لعلاجها، شاركها واروبك البحث لكن كليهما لم يجد شيئاً.

قال أليكس باستغراب: «لا أسمع نبضاته».

حينها تذكر آيريس فالتفت حوله باحثاً عمن ينقلها للقصر لإسعافها، لكنه وجد زي واقفاً بجانب جسدها محدقاً بها بأسىً، فعلم أنه قد فات الأوان، توجه لجثتها ونظر لوجهها لوهلة، جثا بجانبها وأغلق عينيها ثم أمسك بيدها وأغلق عينيه مودعاً.

وقف والتفت لزي ثم وضع يده على كتفه مواساةً له، قبل أن يأمره بأخذ جثتها للمملكة، وبعد أن حملها زي مبتعداً عن ذلك المكان التفت أليكس لوارويك الذي لم يلحظ بعد مقدار خسارته في المعركة.

فعاد لمكان رو عازماً على عدم خسارته هو الآخر، حدق بجسده محاولاً اكتشاف مكان إصابته، عندها لاحظ اختلاف لون ملابسه في منتصف صدره، اختلاف طفيف كان وارويك ليلاحظه لولا شدة ارتباكه، فكر أليكس في الأمر قليلاً ثم خطرت بباله فكرة فقال مقترحاً:

«ربما ما أوقف قلبه ليس الضربة، بل قوة اصطدامها».

نظر له وارويك ولم يضيع وقتاً كثيراً بالتفكير، فوقف فوق جسد رو مباعداً ساقيه، ووضع كفيه على صدره ثم رفعهما قليلاً وبدأ بتجميع قوته، توجست كيارا من الكرة الفضية التي بدأت بالتجمع متوهجة فوق صدر رو فأمسكت بذراع وارويك فزعة:

«ما الذي تفعله؟»

لم يلتفت إليها وارويك وأكمل ما كان يفعله فهمّت بإيقافه قبل أن تسمع صوت والده مقترباً منهم من الخلف:

«إيقاظ القلب بصدمة مماثلة».

التفتت إليه قبل أن تشعر بيدي أليكس تحملانها بعيداً عن رو ليفسحا المجال لوارويك الذي استقام في وقفته رافعاً يديه قبل أن ينزلهما بكل قوته، ارتد جسد رو مرتفعاً عن الأرض ثم سقط لمكانه مرة أخرى، أعاد وارويك تجميع قوته ليعيد الكَرة لكن أليكس استوقفه بعد برهة قائلاً:

«قلبه ينبض».

عرض إلوديوس خدمات عشيرته الطبية لكثرة وكفاءة المعالجين فيها، فقبل أليكس الأمر متفقاً معه على بداية اتفاقية سلام بينهما، أخذ وارويك جسد أخيه وعندما حاول أخذ رو رفض أبناء الغراب ذلك

في البداية، لكنه أقنعهم بعد لحظات بأنهم خبيرون بعلاج إصابات السحر فوافقوا بشرط مرافقة عدد منهم له.

أخذ السحرة بعض المصابين معهم لعشيرتهم بينما استدعى إلوديوس معالجين للبعض الآخر بمملكة إيماتيروس.

بقي أليكس في أرض المعركة بعد أن أصرت كيارا على البقاء والمساعدة، حاول البقاء بقربها لكنها تجنبته قدر استطاعتها، فقد شعرت برغبة مفاجئة بالبكاء لم تعلم سببها، كانت تهرب منها دمعة كل حين وآخر ثم تسرع لمسحها دون أن يلاحظ أحد.

كان الأمر وكأنها ترى حصيلة خطئها، ومآب من وقفوا خلفها لدعمها، ومع كل جسد ساعدتهم بنقله للمملكة كانت أنفاسها تصبح أكثر ثقلاً، حتى رأت جسد آيريس بين كومة الأجساد الميتة فشعرت أنها تريد الهرب والاختباء مرة أخرى، لكن ما ثناها عن ذلك هو الصوت الذي ذكرها بأن هربها لن يعيد آيريس للحياة.

بعدها قررت المساعدة في مكان آخر، فبدأت بجمع كل ذراع منفصلة أو رأس مقطوع لبقعة تم تحديدها ليتم حرقها فيها، كانت تلك الرغبة بالبكاء تزداد أكثر مع الوقت، حتى أصبحت عارمة وملحة وغير قابلة للردع، علمت أنها على وشك الانفجار فاختفت في مكانها كي لا يرى دموعها أحد.

تدافعت الدموع دون توقف بينما كانت تنظر حولها، للجثث التي

احترق بعضها أثناء المعركة، وبعض بقع الدماء التي لم يمسحها المطر، بالقرب من بقع أخرى امتزجت بالماء متحولةً لبركة صغيرة حمراء، كان منظراً مروعاً يختصر المجزرة التي حدثت قبل قليل.

شعرت بالغثيان من كل ذلك، ثم شعرت بجسدها وقد بدأ يرتعش، وبعد أن علمت أنها لم تعد قادرة على البقاء هناك لوقت أطول؛ انتقلت لجناحها بالقصر بعيداً عن رائحة الدماء، احتضنت جسدها بيديها لتوقفه عن الارتجاف، لكن دون فائدة، أخذ الوهن يتسلل لساقيها حتى وقعت على ركبتيها مجهشةً بالبكاء.

كلما أرادت التوقف عن البكاء كانت الدموع تنهمر أكثر، ومع تزايد اضطراب نبضاتها، تثاقلت وضاقت أنفاسها، وبعد وهلة بدأت تشعر بالدوار حتى سقطت مغشياً عليها.

بدايات

استيقظت كيارا على صوت منبه ساعتها المرتفع، دفعت الغطاء عن جسدها وتلفتت حول الغرفة باحثة عن أليكس لتنتبه لباب دورة المياه مفتوحاً قليلاً، نهضت متوجهة له بخطوات متثاقلة إثر النوم، فتحت الباب بهدوء لتجد أليكس عاري الصدر يحاول استراق النظر لكتفه المصاب عبر المرآة.

عادت ذكرياتها للحظة التي أصيب بها في الحرب، وبالرغم من أنها تتذكر جيداً أن تلك الشعلة أصابته بشكل طفيف إلا أنها بقيت تعذبه لوقتهم الحالي، اقتربت منه ومدت يدها لأخذ المرهم الذي أعطاه إياه المعالج من عشيرة أفيتاز، تنهد مناولاً القارورة لها فبدأت بدهنه مكان الإصابة بصمت ووجه متجهم بينها راقب أليكس انعكاسها في المرآة.

بدأت ذكريات الحرب التي لا تزال تحاول دفنها بالمرور أمام عينيها رغماً عنها، وبالرغم من أن الفوز كان حليفاً لهم إلا أن الأضرار كانت أصعب من أن تتجاوزها بسرعة، أغلقت عينيها بقوة بعد أن مرت صورة جثة آيريس أمامها، ثم فتحتها لتعيد تركيزها بكتف الذي أمامها.

قالت مغلقة القارورة: «لقد تحسنَت، واختفى اللون الأسود تماماً».

«أجل، لاحظت ذلك» قال أليكس متناولاً القارورة من يدها، مناولاً لها الضمادة باليد الأخرى «بقي اختفاء اللون البني».

أخذت الضمادة وحدقت بكتفه بمرارة، كانت تعلم أنه تحسن بشكل كبير، لكنها تعلم أنه لا يزال يتألم منها كذلك، فتنهدت قائلة:

«أجل، بقي القليل».

وضعت الضمادة في مكانها بحذر، وبعد أن انتهت بدأ هو باعتمار قلنسوته بتأنٍ ليتفادى الاحتكاك بذلك المكان، توجهت لسلة المهملات وألقت أوراق الضمادة فيها لتبدو عفوية حين توجه السؤال الذي كان يشغل أفكارها.

قالت مدعية الشرود: «بالمناسبة... هل وصلك أي خبر بشأن وارويك؟»

تنهد عالماً بقدوم السؤال قبل أن يقول بقلق: «كيارا!»

استنتجت الإجابة من نبرته فقالت بكلمات متسارعة: «إذاً لا خبر، فهمت».

توجهت للمغسلة وفتحت الصنبور لتتدفق المياه منه وتتناثر في كل الاتجاهات، دفنت يديها أسفلها لبرهة قصيرة قبل أن يغلقه أليكس قائلاً:

«أخبرتك ألا تقلقي بشأنه».

قالت منفعلة: «كيف تتوقع مني ألا أقلق؟!» ثم التفتت إليه مكملة: «لقد مضت خمسة أشهر!»

قال بصوته الهادئ ممسكاً بكتفيها بلطف: «عندما خسر وارويك كالونيس وماغوس توارى عن الأنظار لعدة سنوات، هذه طريقته في تخفيف أحزانه».

قالت مبعدة يديه: «توقف عن تكرار ذلك» التفتت واتكأت بيديها على المغسلة خافضةً رأسها «هذه الكلمات لا تخفف عني».

صمت لوهلة ثم قال: «ليس عليكِ أن ترهقي نفسك بالقلق عليه، واروبك قادر على حماية نفسه وإن كان في أضعف حالاته».

رفعت رأسها ونظرت لانعكاسه في المرآة بعدم تصديق: «هل تظن أن هذا ما يقلقني؟» اعتدلت في وقفتها والتفتت بكامل جسدها مواجهةً له ثم أردفت: «ما يقلقني هو أنه يعاني بمفرده، أن لا أحد معه للتخفيف عنه أو التربيت على كتفه عندما تعصف به خسارته».

نظرت لعينيه بانتظار إجابة، وعندما لم تجد واحدة فتحت صنبور المياه وبدأت بغسل وجهها استعداداً للمدرسة، وقف أليكس في مكانه لبرهة ثم توجه لخارج الحمام قائلاً:

«هذه طريقته في التعامل مع أحزانه».

فقالت قبل أن يغلق الباب خلفه: «لا أعلم إن كنت تستخدم

هذه الكلمات للتخفيف عن نفسك لكن...» أدارت وجهها لتتقابل أعينهما مكملة: «لو كانت لدي القدرة لتقفي أثره والبقاء بجانبه رغماً عنه لفعلت ذلك» أعادت نظراتها ليديها وأكملت بصوت منخفض: «أعلم أن هذا ما سيفعله وارويك».

وقف في مكانه للحظات بينما أكملت كيارا اغتسالها، ثم أغلق الباب أخيراً بعد أن بدأت بخلع ثيابها.

دفعت جسدها أسفل الماء البارد متمنيةً أن يغسل عنها بعضَ قلقها، لكنها وجدت نفسها تعود بذكرياتها للأشهر الخمسة الفائتة ولكل ما حدث بعد الحرب.

تذكرت الهلع الذي أصابها بعد المعركة وفقدان وعيها في جناحها، وتذكرت استيقاظها بعد ذلك في جناح أليكس لتجد أن إغماءها استمر لأسبوع كامل أصاب أليكس بالوهن.

لكن استعادتها لوعيها لم تكن النهاية السعيدة التي توقعها، فلم تتحمل البقاء في القصر أو في المملكة لوقتٍ أطول، ولم تستطع الاستمرار بالهرب والاختباء داخل المحمية للتهرب من أليكس الذي وبعد أن شاهد حالتها وكيف تعزل نفسها أكثر وأكثر، اقترح العودة لريفر ريتش.

ولم يستطع ببساطة أن يرسلها وحدها حتى بعد زوال الخطر وانتهاء

الحرب، ولأن رو ما يزال تحت العلاج قرر العودة معها بعد أن أوكل زي أن ينوب عنه ويرسل له تقريراً بكل شيء.

لكن ذلك ومع الأسف لم يستمر لوقتٍ طويل، حيث حظي بزيارة من سبارك يعلمه فيها أنّه لا يقوم بدوره كملك كما ينبغي، فتحتم عليه العودة لإيماتيروس من أجل تعيين وزراء جدد أكْفَاء ومخلصين لكل قطاع في المملكة، وسيكون مشرفاً عليهم من موقعه في ريفر ريتش، كما سيقوم بزيارات بين الحين والآخر لتفقد شعبه والأوضاع بشكل عام.

سرحت كيارا بذكرياتها، بدايةً من اختفاء وارويك بعد وصول خبر آيريس له، ثم شفاء رو ولحاقه بهما، وانتهاءً بتحقيقات الشرطة معها لاختفائها المفاجئ، وبعد عدة أسابيع من الأكاذيب والأوراق المزورة والكثير من السحر، استطاعت أخيراً التملص منهم، فعادت للمدرسة محاولةً العودة للحياة الطبيعية ونسيان كل ما حدث.

نزلت كيارا للطابق السفلي بعد أن أنهت استحمامها الطويل، لتجد رو عند طاولة الطعام يتناول إفطاره بمفرده والكآبة تعتلي وجهه، جلست على الكرسي المقابل له وبدأت بالأكل من الطبق الذي أعده لها بهدوء فقال بعد لحظات:

«أرسلت زاجلاً أزرق آخر».

قالت متوقعةً الإجابة: «لا إجابة؟»

هز رأسه نفياً فهمهمت متفهمة وأكملا إفطارهما في صمت، إلى أن نبههما أليكس إلى أن الوقت قد تأخر وأن عليهم الذهاب، فنهضا وانضما له وعندما لاحظت كيارا أن رو لم يكن في مزاج رائق قررت أن تكون وسيلة نقلهم اليوم بدلاً عنه، فأمسكت بيديهما وانتقلت لمكان قريب من المدرسة ثم أكملوا طريقهم سيراً.

كانت آمبر تنتظر رو أمام المدرسة وفور رؤيته لها زاد من وتيرة خطواته، أمسك بيدها على عجل محاولاً تجنب مواجهتها لكيارا لكنها لم تتحرك من مكانها وتبادلت النظرات الحادة معها أثناء اقترابها منها.

رفعت كيارا حاجبها بتحد قبل أن تشع مقلتاها باللون البرتقالي، شد أليكس قبضته حول يدها لإيقافها فاستجابت لإشارته فوراً، سحب رو آمبر لداخل المدرسة بينما أكمل أليكس وكيارا طريقهما.

قال أليكس أثناء وقوف كيارا أمام خزانتها لأخذ كتابها: «إنها تخافك».

قالت بتعجب: «آمبر؟! لا أظن ذلك».

«قد تدعي العكس، لكن نبضات قلبها ولغة جسدها تكشف ذلك» قال ثم أكمل مفسراً: «كانت الغيرة تتملك قلبها لكنها الآن ممزوجة بالخوف».

صمتت كيارا عائدة بذكرياتها لأول أيام عودتها ومقابلتها لآمبر بعد كل ذلك الوقت، كانت آمبر قد اعتذرت لها كبادرة لبداية صداقة بينهما، لكن عودة كيارا سببت فقدان آمبر لمركزها كالطالبة الأولى على المدرسة، فلم يمض شهر واحد حتى استولت كيارا على ذلك المنصب معيدة الغيرة التي لطالما كانت السبب في توتر علاقتهما.

قالت مغلقة الخزانة: «لا يبدو أنها تهابني على الإطلاق» ثم اتكأت عليها بجانبها مواجهةً لأليكس وأردفت: «هل رأيت الطريقة التي حدقت بها لعينيّ؟»

أمال رأسه وقال: «هل تظنين أن هناك بشرياً لن يخافك إذا رأى ما رأته آمبر؟»

علمت كيارا مقصد أليكس والحادث الذي يتحدث عنه، وهو إحضار رو لآمبر لتناول طعام العشاء معهم، ورغم أن آمبر تحملت غيرتها من كيارا لوقت طويل إلا أنها لم تستطع ردع كلماتها اللاذعة في تلك الليلة، مما أخرج كيارا عن السيطرة لتتفجر النيران حولها قبل أن يردعها أليكس عن الهجوم.

لكن ذلك لم يكن سبب توقف كيارا عن إلحاق الضرر بآمبر، بل تعابير رو الخائفة، فبين حبه غير المشروط لآمبر وولائه الأعمى لكيارا، وقف في مكانه عاجزاً عن فعل أي شيء، فولاؤه يمنعه عن

صد الهجوم وحبه يعذبه من الداخل، ومنذ ذلك الحين بذل مجهوداً في إبقائهما بعيدتين بعضهما عن بعض.

قال أليكس معيداً كيارا للحاضر: «كبرياؤها هو كل ما تبقى لها، ألا تشعرين بالشفقة تجاهها؟» هزت كتفها بلا مبالاة فأكمل: «لقد أخذتِ منها منصبها الذي كانت تعتز به».

زفرت بانزعاج وبدأت بالتوجه للصف قائلة: «لِمَ تستمرون بقول إنّني أخذته منها! لقد عملت بجد واستحققت ذلك المنصب فأصبح من نصيبي» توقفت والتفتت له مردفة: «بالطريقة نفسها التي حصلت هي بها عليه، ما الفرق بيننا؟»

اقترب منها بهدوء وأمسك بيدها ثم قال ناظراً لعينيها: «الفرق هو أنكِ حصلتِ على عائلة، بينما لا تزال آمبر يتيمة تحاول تعزيز مكانتها الاجتماعية عن طريق تحصيلها الدراسي».

حدقت بعينيه لبرهة قبل أن تتنهد مستسلمة: «حسناً».

توجه كلاهما لحصة التاريخ بصف الأستاذ دافيس، وقبل أن يدق الجرس كان الأستاذ يتحدث عن نهاية حرب فيتنام قائلاً:

«دائماً ما تكون النهاية بداية لفصل آخر، فبعد انتهاء الحرب توحد الشمال والجنوب لتعود فيتنام كدولة واحدة».



كانت كيارا تستمع له بتركيز، وعندما لاحظ الأستاذ اندماجها أكمل ناظراً لها:

«يقول الفيلسوف أفلاطون: (كل بداية لها نهاية، وإن النهاية هي البداية لشيء آخر)، لذا قد يكون من المسلمات أن انتهاء قصة هو بداية لغيرها».

التفت الأستاذ للوح مكملاً درسه بينما سرحت كيارا بأفكارها، فقد آمنت بانتهاء الحرب خلال الأشهر الماضية وظنت أنها النهاية، لكن إن كانت كل نهاية مجرد بداية لأمر مختلف فما هي البداية التي تنتظرهم؟

هل هي بداية لفصل آخر من قصتهم؟

أم بداية لقصة أخرى مختلفة؟

حينها رن جرس المدرسة معلناً نهاية ذلك الدرس، فقامت بتوضيب طاولتها والخروج برفقة أليكس، توجهت لخزانتها مرة أخرى لتضع كتابها لكن صوت رو المتحفظ جذب انتباهها فأغلقت خزانتها والتفتت إليه بينما كان يقول ناظراً باتجاه الصف الذي خرج منه:

«هناك طالبة جديدة، هالتها غير بشرية».

تتبع كلاهما نظراته حتى خرجت الفتاة المعنية من الصف، سمراء

البشرة مجعدة الشعر وجميلة الملامح بشكل لافت، لكن هالتها كانت تنافس وجهها في الجمال.

استرخى أليكس حال رؤيتها ثم قال: «غريو».

قالت كيارا باستغراب: «حملة التاريخ؟ قرأت الكتاب لكنني لم أر واحداً من قبل».

قال رو: «وأنا كذلك لم أقابل أي غريو من قبل، سمعت القصص عنهم فقط، أهذا ما تبدو عليه هالتهم؟»

قال أليكس أثناء عبور الفتاة الجديدة من جانبهم: «الغريو بالعادة مسالمون».

لكن الفتاة توقفت عندما التقت عيناها بعيني كيارا وحدقت بها بتعابير مصدومة لبرهة قبل أن تستجمع شتاتها وتلتفت مكملةً طريقها بسرعة، لم تهتم كيارا لما حدث كونها الأول من نوعها، وتعلم أن هالتها غريبة ولافتة للجميع، لكن أليكس أضاف بتوجس:

«لنكنْ حذرين، تجنبوا ملامستها حاليّاً».

قالت كيارا متذكرة: «آه، صحيح، الغريو يرى ماضيك عن طريق لمسك».

أومأ أليكس قائلاً: «اتصال مباشر للبشرة، لذا تجنبوا المصافحة».



قاطع جرس الحصة الأخيرة حديثهم فقالت كيارا قبل أن يتفرقوا: «لنتجمع هنا بعد انتهاء الصف».

قال أليكس مذكراً: «زي قادم بعد قليل، لنتجمع أمام المدرسة».

حدق رو بالفتاة لوهلة قبل أن يتجه لصفه، وبعد انتهاء الدوام المدرسي، وضعت كيارا كتبها في خزانتها وعندما همت بالتوجه للخارج شعرت بأن أحدهم يراقبها، فتلفتت حولها حتى وقعت عيناها بعيني الفتاة الجديدة التي كانت تحدق بها بذهول ثم تجنبت نظراتها سريعاً بارتباك، رفعت كيارا حاجبها باستغراب لأمرها ثم توجهت للخارج حيث انتظرها أليكس وبجانبه زي الذي كان يخبره عن أوضاع المملكة أثناء انتظارهم لرو.

توقف زي عن الكلام عندما خرجت الفتاة الجديدة من بوابة المدرسة، وبينما سرح بملامحها اقترب رو منه قائلاً:

«هالتها خلابة، أليس كذلك؟»

قال زي بشرود: «من تكون؟»

«اسمها تاشا» أجابه رو ثم أضاف: «انتقلت اليوم للمدرسة».

قال زي باستغراب: «لكن أليس تخرجكم بعد أسابيع قليلة؟»

«بلى» أومأ رو ثم هز أكتافه مكملاً: «ربما اضطرت للانتقال مع والديها».

قال زي بارتياب: «أو اضطرت للهروب».

لكن أليكس قال مطمئناً: «هذا مستحيل» التفتوا جميعاً إليه بعدم فهم فأردف: «السبب في جمال هالة الغريو هو حماية الجن لهم، فهم تحت حماية مملكة الجن منذ ولادتهم».

التفتوا جميعاً باتجاهها متأملين هالتها فانتبهت لهم وحدقت بهم بتوجس، أدار أليكس وكيارا نظراتهما عنها بينما قال رو لكيارا:

«سأقوم بتوصيل آمبر للميتم، انتظريني على الغداء».

أومأت له بالموافقة ثم انتبهت لزي الذي لم يزح نظراته عن تاشا فوكزته من الجانب قائلة:

«توقف عن التحديق بها، لا تبدو أنها مصدر للخطر».

قال أليكس بابتسامة جانبية: «لا أظن أن هذا سبب تحديقه بها».

تنحنح زي بإحراج ثم استطرد: «هل نتسابق للمنزل؟»

ضحكت كيارا بخفة ثم قالت: «تسابقا أنتما، سأمر بفانكا قبل أن أعود».

نبهها أليكس: «كوني حذرة».

سألت بتعجب: «ألم تقل إن اتفاقية السلام وُقعت؟»

«بلى» أجابها ثم أكمل مفسراً: «لكن السحرة منقسمون لسحر نقي وسحر أسود، واتفاقية السلام قائمة على القسم الأول فقط».



«فهمت، سأبقى متيقظة» وعدته ثم توجهوا جميعاً لبقعة بعيدة عن الأعين ليبدأا سباقهما وتختفي هي متنقلة لمتجر فانكا.

وصلت كيارا للمتجر وتلفتت باحثةً عن فانكا حتى وجدته واقفاً في أحد الأروقة ينظر إلى الكتب التاريخية عاقداً يديه خلف ظهره.

«فانكا» قالت لتعلمه بوصولها مقتربة منه «وصلني استدعاؤك، هل من أخبار جديدة عن تريشا؟»

«تريشا بخير، خُففت عقوبتها لعدم تدخلها بالحرب بشكل مباشر.. لكن هذا لم يكن سبب استدعائي لكِ» التفت إليها مبتسماً وقال: «أردت توديعك».

توقفت في مكانها وعبس وجهها قبل أن تقول: «أنت راحل؟»

أجابها متجهاً لرواق آخر: «عليّ الذهاب، فقد انتهى دوري هنا».

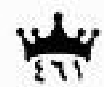
«لكن...» قالت ثم أشارت حولها متذرّعة: «ماذا عن المتجر؟»

أجابها بابتسامته المعتادة: «المتجر لا وجود له في الحقيقة».

أخذت كيارا لحظة لتدرك مقصده وبعد أن فهمت الأمر نظرت حول المكان بذهول ثم قالت بحزن:

«ماذا عنك؟ ألست حقيقياً؟»

ضحك ضحكة خافتة ثم قال: «بلى، وسأبقى كذلك».



قالت معترضة: «لم أنت ذاهب إذاً؟»

ثم انتظرت تبريره بينما بقي صامتاً للحظات قبل أن يجيب:

«لأن هناك شخصاً آخر يحتاج مساعدتي» اقترب ووضع يده على وجنتها المبللة بدموعها: «شخصاً شبيهاً بكِ في مكان آخر» أنزل يده وعقدها مع الأخرى خلفه مرة أخرى ثم التفت لتحفه التي تكومت في ذلك المتجر الصغير وكأنه يودعها كذلك.

قالت باكتئاب: «إذاً هذه هي النهاية؟»

التفت لها قائلاً: «ظننت أن النهاية مجرد بداية لشيء آخر» نظرت له بضياع فابتسم والتفت لتحفه مرة أخرى ثم قال: «اسم كيارا له معنىً مختلف في كل لغة، وكل معنى ينطبق عليكِ لسبب ما» أمسك بقطعة أثرية متمثلة بشكل نجمة سباعية مصنوعة من الزجاج، وتأملها لوهلة قبل أن يكمل: «لكن أجمل معنىً هو البريق، لذا أعلم أنكِ ستتوهجين دائماً».

حينها اندفعت كيارا واحتضنته من الخلف، فرفع يده ووضعها فوق يدها وعندما بدأت بالبكاء بدأ هو بالتربيت عليها.

سألت وسط نشيجها: «هل ستقوم بزيارتي؟»

أجابها مطمئناً: «بالطبع».

وبعد لحظات خرجت كيارا من المتجر وعندما التفتت لتأخذ نظرة

أخيرة كان المتجر قد اختفى، فانتقلت للمنزل ودخلت الغرفة لتبديل ملابسها، دخل أليكس خلفها بعد أن لاحظ بؤسها وقال بقلق:

«ما الأمر؟ هل تريشا بخير؟»

أجابته بتكدر: «أجل» نظر لها باستغراب لتجيب تساؤلاته: «لقد رحل فانكا».

«أوه» قال ثم ارتفع حاجباه وكأنه أدرك أمراً ما ليضيف: «لهذا اختفت الكتب» التفتت إليه بأعين متسعة فأخبرها: «الكتب التي أهداكِ إياها اختفت قبل وصولك بوقت قصير».

زفرت تنهيدة عميقة وقالت: «هكذا إذاً» أكملت تغيير ثيابها ثم سألت: «أين زي؟ هل عاد؟»

«ليس بعد» قال ثم أشار للحائط مردفاً: «سيبيت في غرفتك السابقة حتى الغد».

«هذا جيد» قالت ثم توجهت للطابق السفلي وبدأت بإعداد الغداء.

وبعد أن عاد رو شاركها بإعداد الطعام لكن كليهما لم يريدا تناول أي شيء، وبعد أن تبادلا أطراف الحديث فهمت أنه تشاجر مع آمبر لسبب ما، لذلك لم يشعر برغبة في تناول طعامه.

انضم لهما زي وأليكس وأمضيا بعض الوقت معهما حتى غابت الشمس، ومع أن الوقت يمضي إلا أن الجو داخل المنزل ما زال قاتماً

وكئيباً لذا قرر كلاهما الذهاب للنوم مبكراً، فتوجه الجميع لغرفهم.

قالت كيارا لأليكس أثناء استلقائها على فراشه الذي أصبحا يتشاركانه: «لست مجبراً على الاستلقاء بجانبي كل ليلة».

أجابها أثناء استلقائه بجانبها: «وأنتِ لستِ مجبرة على قول ذلك كل ليلة» فابتسمت رغم أنها لم تشعر برغبة لفعل ذلك.

استلقى كلاهما على جنبيهما مواجهين بعضهما لبعض، شعرت كيارا بأن كل شيء يتسرب من بين أصابعها بينما تحاول هي جمعه بلا نجاح يذكر، تجهمت تعابيرها عندما أدركت أنها لا تستطيع دفع إحساس الفشل الذي يخيم عليها، وأن كل شيء قد تغير ولا يبدو أنها تستطيع إعادة الأمور لسابق عهدها.

تأمل أليكس تعابير وجهها وهي تعبس أكثر فأكثر، فبدأ بالتربيت على رأسها بهدوء حتى استسلمت للنوم.

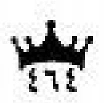


الساعة 11:55

«كيارا» قال أليكس بصوته الهادئ موقظاً كيارا بلطف.

فتحت عينيها تدريجيّاً ثم قطبت حاجبيها بعدم فهم لما يدور حولها، وبعد برهة فركت عينيها قائلة:

«ما الأمر؟»



التفتت للساعة ثم أعادت نظراتها المتسائلة لأليكس الذي أجابها بنبرته الباردة التي يستخدمها ليخفي مشاعره الحقيقية:

«رو يحتاجك، يبدو أن شجاره مع آمبر أكبر مما توقعنا».

رمقته بشك لوهلة ثم أومأت قائلة: «سأغسل وجهي وأنزل».

لف ذراعه حول كتفها وساعدها على النهوض برفق ثم توجه للباب قائلاً: «سأسبقك للأسفل، لا تتأخري».

نظرت للباب الذي أغلقه خلفه بارتياب ولم تنتظر أكثر، فانتقلت للطابق السفلي فوراً، نظرت للظلام الدامس حولها باستغراب وقبل أن تستخدم قوتها لترى جيداً، أُضيئت المصابيح وصرخ ثلاثتهم:

«ميلاد سعيد!!!»

نظرت لهم بشحوب قبل أن تدرك ما يحدث، كعكة ميلاد، زينة معلقة حول المكان وأخيراً أليكس الذي هز رأسه ساخراً وهو يقول:

«كنت أعلم أنكِ لن تنتظري».

لمست وجهها غير المغسول بإحراج وبررت: «لقد كنت مريباً، ظننت أنك تخفي شيئاً ما».

قال مشيراً حوله: «أجل، كنت أحاول إخفاء المفاجأة».

تساءلت ناظرةً لزي الواقف خلف الكعكة بصمت: «ألهذا السبب لم يعد زي للمملكة؟»

ابتسم أليكس قائلاً: «أصر على البقاء».

ابتسمت بامتنان ثم نظرت للساعة على الحائط لتجد أنها لم تصل للثانية عشرة بعد، فهمت حينها لمَ أرادها أن تغسل وجهها أولاً، لكنها استبقت الأمور كعادتها.

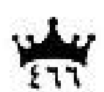
وأثناء انتظار الجميع دخول يوم ميلادها بترقب، كانت كيارا تتساءل ما إن كان عذابها سيتكرر ككل سنة، حدقت بعقرب الساعة وهو يتحرك ببطء متجهاً للثانية عشرة بينما عادت بذكرياتها لأعياد ميلادها السابقة، الميتم والعلية وصراخ الآنسة ميلر وهمسات الفتيات يتهمنها بالجنون.

ثم دقت الساعة ليختفي كل شيء تدريجياً مع كل دقة، كل الذكريات التعيسة والليالي التي قضتها وحيدة ومعاقبة، التفتت لعائلتها الجديدة ودموع السعادة تترقرق في عينيها، ابتسمت ابتسامة واسعة واقتربت منهم ماسحةً دموعها بظهر كفيها.

قال رو بارتباك: «لمَ تبكين؟»

أخذت نفساً عميقاً ثم قالت مبتسمة: «لأنني لم أتخيل أن يمر بي يوم ميلاد خالٍ من الألم».

التقط أليكس منديلاً ومده لها قائلاً: «رحبي بالبدايات السعيدة إذاً».



عندها هموا بالغناء لها لكن ظهور فانكا المفاجئ جذب انتباههم جميعاً، نظر حول المكان حتى وقعت عيناه على كيارا، فابتسم وقال:

«وجدت أن ذهابي دون ترك هدية من أجلك سيكون غير لائق».

ثم تقدم باتجاهها ومد علبة ذات غطاء مخملي كالتي تحمل المجوهرات بداخلها عادة، استغربت كيارا فلم تتوقع هدية غير أثرية، لكنها مدت يدها وتناولتها بتلهف، وعندما فتحتها وجدت قنينة صغيرة تحمل بداخلها شيئاً ظنته تربةً في بادئ الأمر، لكنها بعد لحظات من تحديقها به أدركت أنه رماد.

رفعت نظراتها المتعجبة لفانكا وعلامات الاستفهام تحوم حولها فقال مجيباً لأفكارها المشوشة:

«بعض رماد آلدريتش جرانت» رمشت كيارا بعينيها بعدم تصديق بينما أكمل: «لا أريد رفع سقف آمالك لكن ربما إن وجدتِ الشخص المناسب، قد تستطيعين إقناعه بالعودة».

شهق رو وانتقل لجانبها ليأخذ نظرة قريبة للقنينة، لكنه انتبه للكلمات التي نُقشت على غطاء العلبة، فزم عينيه بتركيز وقام بقراءتها بصوت مرتفع:

«أجمل أنواع السعادة هو تلقي الحب غير المشروط».

أومأ فانكا ثم قال موضحاً: «عادة ما يأتي الحب غير المشروط من



الوالدين، لذا أعطيكِ هذه القنينة على أمل أن تجدي هذا الحب عن طريقها يوماً ما».

لكن أليكس قاطعه بنبرة حادة: «أمل ضئيل».

قال فانكا متفقاً معه: «أجل، ضئيل للغاية» ثم مسح على كتف كيارا قائلاً: «إلى لقاءٍ آخر».

اختفى من أمامهم فأعادت نظراتها للقنينة داخل يديها بمشاعر متضاربة، بينما بقي ثلاثتهم يراقبونها في صمت قبل أن يقول زي:

«هل نشعل الشموع؟»

نظرت له كيارا لبرهة ثم قالت: «لحظة واحدة».

انتقلت لغرفتها وفتحت أحد أدراج منضدة السرير، ثم فتحت العلبة وأعادت القنينة لداخلها، وقبل أن تغلقها انتبهت إلى أن الكلمات المنقوشة قد تغيرت إلى:

«لا تدعي البحث عن السعادة المحتملة يلهيكِ عن السعادة التي بين يديكِ».

ابتسمت وأغلقت العلبة ثم وضعتها بداخل الدرج قبل أن تستقيم بوقفتها، التفتت للسرير ثم للجزء الذي يستلقي عليه أليكس كل ليلة بجانبها، حدقت بمكانه للحظات قبل أن تعود للانضمام للبقية.

اقتربت من الكعكة بابتسامة واسعة لم تلاحظ مدى اتساعها حتى وضع رو يده فوق كتفها قائلاً:



«ما بال الابتسامة البلهاء؟»

حينها ضحكت بلطف ثم رفعت يدها وحدقت بالخاتم المحيط ببنصرها قبل أن ترفع نظراتها لأليكس قائلة: «نسيت أن أخبر فانكا بأنني وجدت الحب غير المشروط منذ وقت طويل» ابتسم لها وتبادلا النظرات العاطفية الدافئة للحظات ثم التفتت لزي وأكملت: «هيا لنشعل الشموع».

أشعل أليكس عود الثقاب، وهم بإشعال تسع عشرة شمعة، لكن كيارا سبقته بإشعالها فتنهد باستسلام قبل أن يبدؤوا بالغناء لها بينما صفقت بيديها بسعادة، وحالما انتهوا حدقت بالشموع باحثةً عن أمنية، لتتذكر الشخص الذي تتمنى لو يشاركهم هذه اللحظة، فأغلقت عينيها وتمنت عودته ثم نفخت على الشموع وأطفأتها.

هم رو بفتح المصابيح لكنها أُنيرت فجأة، فنظر الجميع له باستغراب قبل أن يأتيهم صوت وارويك بنبرته اللعوب قادماً من المطبخ:

«لا يكتمل الاحتفال من دوني يا صغيرة!»

النهاية

«ثم إن الدنيا ليست سوى فصل واحد من رواية سوف تتعدد فصولها..» ـ مصطفى محمود.

«لقد اختفت جثة آيريس»




ضاد
t.me/twinkling4

لأنها كيارا

بعد أن تم اختطافها وإعدامها حرقاً، تجد كيارا نفسها في الباحة الخلفية لمنزل أليكس، أكثر فتى حاولت تجنبه في المدرسة، دون أن تعلم لم سقطت في باحته هو بالذات أو حقيقة أنه مصاص دماء !

من اختطفها ؟
ولماذا تم حرقها؟
وكيف ما زالت على قيد الحياة؟
والأهم من ذلك ..

ما الذي سيفعله أليكس عندما يجدها في باحته؟

سما سامي
@samasami2828




9 786038 411933

